دير القديس أنبا مقار

تاريخ إسرائيل

من واقع نصوص التوراة والأسفار
وكتب ما بين العهدين

الأب متى المسكين

كتاب: **تاريخ إسرائيل**

من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين

المؤلف: **الأب متى المسكين**

الطبعة الأُولى: 1997

مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.

صندوق بريد 2780 القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 97/7668

رقم الإيداع الدولي: 977-240-057-X

هذا الكتاب ليس له أي اتجاهٍ سياسي لا من قريب ولا من بعيد،

فهو يسجِّل حقائق تمَّت على مستوى التاريخ

نقدِّمها للقارئ ليكون له دراية بتاريخ شعب إسرائيل في القديم.

المحتويات

❋❋❋

مصادر الكتاب

1 ـ **التوراة بكتبه الخمسة**: التكوين ـ الخروج ـ اللاويين ـ العدد ـ التثنية.

2 ـ **الأسفار المقدَّسة للعهد القديم**: يشوع ـ القضاة ـ راعوث ـ صموئيل الأول والثاني ـ الملوك الأول والثاني ـ أخبار الأيام الأول والثاني ـ عزرا ـ نحميا ـ أستير.

3 ـ **كتب ما بين العهدين**: الأسفار المحذوفة: مكابيين أول وثاني.

Bibliography

Bevan, E.R., *The House of Seleucius*, 1902.

Bevan, F.R., *The Ptolemaic Dynasty*.

Bright, John, *A History of Israel,* SCM Press, London, 1960, reprint 1976.

Busch, F.O., *The Five Herods.*

Edersheim, A., *The Bible History: Old Testament,* in German 1890; Eng. Tr. 2 vols., Eerdmans, Grand Rapids.

Edersheim, A., *The Temple, Its Ministry and Services*, Eerdmans, Grand Rapids, 1990.

Freemann, H.E., *An Introduction to the Old Testament Prophets*, Moody Press, Chicago, 1968, 1978[12].

Josephus, *The Works of Josephus, Complete and Unabridged, New Updated Version*, by William Whiston, Hendrickson Publishers, Peabody, Massachusetts, 1987, 1993[8].

Oesterley, W.O.E., & Robinson, Th. H., *A History of Israel*, 2 vol., Clarendon Press, Oxford, 1932, reprinted 1957.

Pfeiffer, R.H., *Introduction to the Old Testament*, Harper & Row Publishers, New York 1941, reprinted 1948.

Pritchard, J.B., *ANET* = *Ancient Near Eastern Texts*, Princeton, 1950.

Schlatter, A. *Israels Geschichte von Alexander dem Grossen bis zum Hadrian*, 1900.

Schürer, E. *The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ*, in German 1901, Eng. Tr. 1973, 3 vols.

Thompson, *The Bible and Archaeology*.

Weiser, Artur, *The Old Testament: Its Formation and Development*, (in German, Göttingen, 1948); Eng. Transl. New York, 1961, 1968[5].

Willrich, H., *The House of Herod.*

Wright, G.E., *Biblical Archaeology*, London, 1957.

الجزء الأول

تاريخ شعب إسرائيل

إبراهيم أب الآباء يستقبل الثلاثة الملائكة الذين أنبأوه بميلاد إسحق

«ملاك الرب يمنع أبانا إبراهيم من ذبح ابنه وحيده إسحق قائلاً لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تُمسك ابنك وحيدك عني.» (تك **12:22**)

1 – بداية شعب

شعب إسرائيل حسب التقليد كان في أصله أرامياً من جهة الجنس، يضرب جذوره عميقاً في أرض الكلدانيين حيث مدينة أور التي تقع جنوب نهري دجلة والفرات، ثم مدينة حاران في الشمال وهي مدينة تاريخية مشهورة عاش فيها تارح أبو إبراهيم، وهي المنطقة التي انحدر منها إبراهيم أبو الآباء الذي ـ بحسب التوراة ـ هو أبو كل المؤمنين بالله على وجه الأرض. هذا الذي دعاه الله ليخرج من موطنه ومن وسط عشيرته، ولينطلق تحت رعاية الله وتوجيهه، ليتغرَّب في أرض كنعان، حيث استقر في المنطقة الوسطى في فلسطين بعض الوقت. ولكنه ارتحل قليلاً قليلاً نحو الجنوب حيث جبل حبرون، وضرب خيامه في بئر سبع، وامتد حتى إلى وادي العريش. لم يفلِّح أرضاً ولا بنى بيوتاً؛ بل عاش هو وأولاده في الخيام يرعون قطعانهم، ولم يمتلك من الأرض إلاَّ مقدار قبر. وهكذا ظل متغرِّباً كل أيام حياته: «ثم تصرِّح وتقول أمام الرب إلهك: أرامياً تائهاً كان أبي، فانحدر إلى مصر، وتغرَّب هناك في نفر قليل، فصار هناك أُمة كبيرة وعظيمة وكثيرة» (تث 5:26). كان ذلك حوالي سنة 2000 قبل الميلاد أو بعد ذلك بقليل.

وكان إبراهيم يُدعى **عبرانياً** (تك 3:14)، فالعبرانيون كانوا طائفة من البدو الرحَّل لهم نظام معيَّن في الحياة وقوانين يعيشون بمقتضاها[1]، يعيشون

---

(1) G. Ernest Wright, *Biblical Archaeology* (1957), pp. 23, 24.

حول المدن في نوع من الاستقرار. وقد ترك إبراهيم بصماته المقدَّسة على أماكن كثيرة في فلسطين، فقد بنى مذابح على مرتفعات بلوطة مورة بقرب شكيم (نابلس الآن)، ومرتفعات جبل الموريَّا في أُورشليم، وفي بيت إيل حيث رفع ذبائح كثيرة وخدم الله حسب شريعة تلك الأيام.

هدف منذ البداية:

ومنذ البداية يعلن الله في وضوح عن مقاصده الأزلية المرسومة بدقة، كيف اختار الله إبراهيم ليكون أباً للإيمان، والوسيط لإبلاغ بركات الإيمان إلى كل أُمم الأرض:

+ «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أُريك، فأجعلك أُمة عظيمة، وأُباركَكَ وأُعظِّم اسمكَ، وتكون بركةً... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض.» (تك 12: 1-3)

وبهذا الوعد، وعلى هذا الإيمان، وبمقتضى هذه الرسالة، تصوَّر شعب إسرائيل في صُلب إبراهيم، وتسجَّل ميلاده على صفحة تاريخ أعمال الله بالنسبة للعالم.

الروح القومية:

لقد أخذ إبراهيم نسله بوعد من فم الله، ومن صُلب حفيده يعقوب ـ إسرائيل ـ خرجت الأسباط الاثنا عشر. ولكن العجيب حقًّا أن تتآلف هذه الأسباط بغاية السرعة لتأخذ الروح القومية، بالرغم مما كانت تعانيه هذه الأسباط فيما بينها من اختلافات بلغت أحياناً حد الحروب الداخلية، حتى كادت تُفني بعضها بعضاً. وأكبر مثل على ذلك قصة محاولة قتل أولاد يعقوب لأخيهم يوسف، وأخيراً باعوه لقافلة مرتحلة إلى مصر. هذه الروح القومية التي كانت تتأجَّج في دمائهم ـ بالرغم من عراكهم الداخلي

المستمر ـ هي التي أهَّلت بني يعقوب أو شعب إسرائيل لتحديد هويتهم كأُمَّة، كما أن هذه الروح القومية كانت هي العامل ـ وليست الأساس ـ لنصرتهم في الحروب، التي أهلتهم لابتلاع القبائل الصغيرة المحيطة بهم وتذويبها في النسيج الإسرائيلي.

اسم "إسرائيل":

كلمة ''إسرائيل'' باللغة العبرية تعني: ''الله يجاهد'' ''yisrãél يسرائيل''. ولكن أُعطيت ليعقوب بن إسحق بن إبراهيم، بمعنى أنه جاهد مع الله وغلب، وذلك بعد ليلة جهاد في الصلاة وتوسل حتى الفجر: «فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال: لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (تك 32: 27و28). ومنذ ذلك الحين ويعقوب يسمَّى: ''إسرائيل''.

ثم أُطلقت كلمة ''إسرائيل'' على أسباط يعقوب الاثني عشر ''بني إسرائيل''. وأول صورة تكوَّنت لبني إسرائيل كشعب تكوَّنت في مصر عندما هاجروا من أرض كنعان مع أبيهم يعقوب (إسرائيل)، وكان عددهم آنئذ سبعين نفساً، والتجأوا إلى مصر على أثر مجاعة اجتاحت العالم مدة سبع سنوات: «جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون» (تك 27:46)، «وأمَّا إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة.» (خر 40:12)

أمَّا تاريخ دخول يعقوب (إسرائيل) مصر فيُحدَّد بالتقريب سنة 1700 ق.م حيث عاصروا في مصر:

- كل حكم الهكسوس (1700ـ1570 ق.م).

- كـل ملـوك الأسـرة الثامنـة عشـر[2] (1570ـ1300 ق.م) الـذين مـنهم تحـتمس الثالـث، وأمينوفيس الثالث، وأمينوفيس الرابع، وأخناتون.
- وبعضاً من ملوك الأسرة التاسعة عشر (1300ـ1200 ق.م) ومنهم رمسيس الأول وسيتي الأول ورمسيس الثاني الذي تمَّ الخروج في أيام مُلكه حوالي سنة 1280 ق.م تقريباً.

---

(2) لقد اكتشف أحد العلماء الألمان اسماً محفوراً على صخور جبل سيناء هو اسم أحد أولاد يوسف بن يعقوب MNSH ومحقَّق من تاريخ كتابته أنه معاصر للملكة حتشبسوت (1500ـ1480 ق.م) أي قبل الخروج بأكثر من 200 سنة.
Cf. Grimme, *Althebräische Inschriften Vom Sinai*, 1923.

2 ـ الخروج

(القرن الثالث عشر قبل الميلاد)

أمَّا ميلاد شعب إسرائيل كأُمة، فقد تمَّ بصورة واضحة عند بدء الرحيل من مصر: «ومن مصر دعوت ابني» (هو 1:11)، إذ كان عددهم وقتئذ ـ حسب تقرير التوراة (بالنسبة للشباب المنخرط للحرب فقط فوق العشرين سنة والذي يبلغ 603550) لا يقل عن مليوني نسمة، إذا أخذنا بالنسبة المعروفة اجتماعياً:

+ «فكان جميع المعدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعداً، كلُّ خارج للحرب في إسرائيل، كان جميع المعدودين ستَّ مائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسين. أمَّا اللاويون حسب سبط آبائهم فلم يُعَدُّوا بينهم.» (عد 1: 45ـ47)

وكذلك اقترن التكوين الفكري والسياسي والديني لشعب إسرائيل باسم موسى، الذي يعتبر المشرِّع الديني والمؤسِّس والقائد الذي حرَّر الشعب وقاده من العبودية والسخرة في أرض مصر.

موسى يهرب من مصر ويلتجئ إلى سيناء ويصاهر المديانيين العرب:

لقد تربَّى موسى في قصر فرعون: «فتهذَّب موسى بكل حكمة المصريين، وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال» (أع 22:7). كما أنه اختلط بالعرب

(مديان) وأخذ عنهم وصاهرهم، فتزوَّج بنت كاهن مديان، واسمه رعوئيل أو يثرون (خر 16:2) وهو النبي شعيب عند المسلمين. أمَّا ابن يثرون أو رعوئيل الكاهن (قبيلة عربية، مديانية) فإن اسمه في التوراة «حوباب» «وقال موسى لحوباب بن رعوئيل المدياني حمى موسى: إننا راحلون إلى المكان الذي قال الرب أعطيكم إياه، اذهب معنا فنحسن إليك، لأن الرب قد تكلَّم عن إسرائيل بالإحسان. فقال له لا أذهب بل إلى أرضي وعشيرتي أمضي. فقال: لا تتركنا لأن بما أنك تعرف منازلنا في البرية تكون لنا كعيونٍ، وإن ذهبت معنا بنفس الإحسان الذي يحسن الرب إلينا نحسن نحن إليك» (عد 10: 29ـ32). وعائلة حوباب عرفت بعد ذلك "**بعائلة القيني**" وهي الصفة المختصة بها، لأن القيني والقينيين تعني ''الحدَّاد'' أو الذي يعمل في صناعة المعادن. وهي أصلاً وفي غالب الأمر العائلة التي كانت تعمل في مناجم سيناء للنحاس المعروفة الآن بسرابيت الخادم، والتي كان يثرون كاهناً لها، والتي صاهرها موسى. وقد جاء عنها في التوراة:

+ «ودعا باراق زبولون ونفتالي إلى قادش، وصعد ومعه عشرة آلاف رجل، وصعدت دبورة (النبية) معه. وحابر **القيني** انفرد من قاين من بني حوباب حمى موسى وخيَّم حتى إلى بلوطة في صعنايم التي عند قادش.» (قض 4: 10ـ11)

ويُلاحَظ أن عائلة القيني (حوباب العربي المدياني) اندمجت في إسرائيل وأخذت سمات البركة مثلهم:

+ «ثم رأى القيني فنطق بِمَثَلِهِ وقال: ليكن مسكنك متيناً، وعشك موضوعاً في صخرة.» (عد 21:24)
+ «وبنو القيني حمي موسى صعدوا من مدينة النخل مع بني يهوذا إلى

برية يهوذا التي في جنوبي عراد، وذهبوا وسكنوا مع الشعب.» (قض 16:1)

والعجيب أن إحدى نساء القيني صنعت معروفاً لإسرائيل سجله لها التاريخ إلى الأبد. فقد قتلت سيسرا رئيس جيش ملك الكنعانيين المدعو يابين، وقد كان سيسرا هارباً من وجه باراق قائد إسرائيل، إذ أدخلته خيمتها كأنها تخبئه وأسقته لبناً خامراً فسكر ثم قتلته تدعيماً لإسرائيل:

+ «فأخذت ياعيل امرأة حابر (القيني) وتد الخيمة وجعلت الميتدة في يدها، وقارت إليه وضربت الوتد في صدغه فنفذ إلى الأرض وهو مثقَّل في النوم ومتعب فمات. وإذا بباراق يطارد سيسرا، فخرجت ياعيل لاستقباله وقالت له تعال فأريك الرجل الذي أنت طالبه، فجاء إليها وإذا سيسرا ساقط ميتاً والوتد في صدغه.» (قض 4: 11ـ22)

وقد كرَّمت دبورة نبية إسرائيل اسم ياعيل امرأة حابر القيني في نشيدها الملهم الرائع:

+ «استيقظي استيقظي يا دبورة (تقول لنفسها)، استيقظي استيقظي وتكلَّمي بنشيد ... تُبَارَكُ على النساء ياعيل امرأة حابر القيني. على النساء في الخيام تُبَارَكُ، طلب ماء فأعطته لبناً (خامراً) مدت يدها إلى الوتد ... وضربت سيسرا وسحقت رأسه ... بين رجليها انطرح ... سقط مقتولاً.» (قض 5: 12ـ27)

وقد ردَّ إسرائيل الجميل لعائلة القينيين بيد شاول:

+ «ثم جاء شاول إلى مدينة عماليق وكمن في الوادي. وقال شاول **للقينيين**: اذهبوا حيدوا انزلوا من وسط العمالقة لئلاَّ أهلككم معهم، وأنتم قد فعلتم معروفاً مع جميع بني إسرائيل عند صعودكم من مصر.

فحاد القيني من وسط عماليق.» (1صم 15: 5و6)

ومعروف من التوراة أن عائلة القينيين انتسبت لكالب بن يفنه أحد اثنين سمح لهم الله بدخول أرض كنعان من جميع أفراد الجيل الذي صعد من مصر، ومن عائلة القينيين خرج الركابيون:

+ «هؤلاء هم بنو كالب بن حور بكر أفراته: شوبال أبو قرية يعاريم، وسلما أبو بيت لحم ... وعشائر الكتبة سكان يعبيص ... هم القينيون الخارجون من حمَّة أبي بيت ركاب.» (1أي 2: 50-55)

وظل الركابيون محتفظين بعاداتهم المديانية (العربية) كل أيام حياتهم. فنسمع عنهم في سفر إرميا النبي أنهم لا يشربون الخمر، ولا يسكنون إلاَّ في الخيام كل أيام حياتهم، ولا يزرعون ولا يحصدون:

+ «فقالوا لا نشرب خمراً لأن يوناداب بن ركاب أبانا أوصانا قائلاً لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد، ولا تبنوا بيتاً ولا تزرعوا زرعاً ولا تغرسوا كرماً ولا تكن لكم، بل اسكنوا في الخيام كل أيامكم.» (إر 35: 6و7)

وقد استحسن الله سلوك الركابيين وأخلاقهم مقارناً بينهم وبين إسرائيل الذي لم يسمع وصايا الله، وأعطاهم الله وعداً أن لا ينقطع من نسلهم من يعبد الله:

+ «هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل ... لأن بني يوناداب بن ركاب قد أقاموا وصية أبيهم التي أوصاهم بها. أمَّا هذا الشعب فلم يسمع لي ... وقال إرميا لبيت الركابيين: هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل، من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم، وحفظتم كل وصاياه، وعملتم حسب كل ما أوصاكم به، لذلك - هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل - لا ينقطع

ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامي كل الأيام.» (إر 35: 12ـ19)

اللغة العربية بحروفها الألف باء:

والعجيب حقـًّا أن الأبحاث الحديثة دلت على أن المديانيين العرب سكان سيناء (الذين منهم القينيون وعائلة حوباب وكاهن مديان يثرون حمو موسى) والذين كانت صناعتهم الحدادة، كانوا يستعملون الحروف الأبجدية العربية حوالي سنة 1500 ق.م، وهي أقدم الحروف الهجائية للألف باء، والتي استعارها الإسرائيليون لتكوين حروف لغتهم. ولكن الذي استنبطها وطوَّرها أصلاً هم الكنعانيون سكان سوريا وأخذها منهم وطوَّرها اليونانيون أيضاً.

وهكذا يتحقَّق لنا أن المديانيين سكان سيناء كانوا شعباً متحضِّراً ذا ثقافة مزدهرة، وله صلات تجارية وصناعية مع كل من مصر وفلسطين[3].

أمَّا موسى فقد فرَّ هارباً من وجه فرعون وهو ابن 40 سنة إلى برية سيناء، التي فيها أعلن الله له عن اسمه "يهوه" (الكائن الذي يكون)، وتلقى منه إعلاناً إلهياً لقيادة شعب إسرائيل والخروج به من مصر.

ومن نتائج الأبحاث في الوثائق التاريخية ومدونات الآثار الفرعونية[4] تحقَّق لدى العلماء صحة ما جاء في سفر الخروج: «فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس» (خر 11:1). على أن فرعون الظلم والسخرة هذا كان رمسيس الثاني، أمَّا فرعون الخروج فأقرب الصحيح أنه مرنبتاح Merneptah وهو ابن رمسيس الثاني. ولكن يعتقد كثيرٌ من العلماء أن فرعون السخرة هو فرعون الخروج أي رمسيس الثاني نفسه.

---

(3) G. E. Wright, *Biblical Archaeology*, p. 41.

(4) *The Museum Journal*, Philadelphia, 1931, p. 245.

ولكن المعروف في تاريخ الفراعنة أن أواخر حكم رمسيس الثاني كان مليئاً بمفاخر عصر نشاط البناء والتشييد. ومن الوثائق المسجلة أنه بنى مدينة رعمسيس المذكورة في التوراة، والمسمَّاه ''أفاريس'' في عصر الهكسوس (بالقرب من صان الحجر الآن بالشرقية)، التي بدأها سيتي الأول وأكملها رمسيس الثاني (1290ـ1224 ق.م)، وشيد فيها مسلة وأسماها مدينة رعمسيس:

+ «ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ... فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس.» (خر 1: 8و11)

وقد اكتشف علماء الآثار وثائق هذه الحقبة ووجدوا مدوناً فيها مرَّات عديدة اسم Hapiru أبيرو أو عبيرو ـ أي العبرانيين كشعب عبيد للدولة يعملون في مشاريع المملكة. كذلك بالبحث تيقن دخول مئات من الكلمات والمصطلحات السامية العبرية في اللغة المصرية القديمة[5]. ومعروف أن حكم رمسيس الثاني دام مدة طويلة جداً، وأنهى حكمه بغزوه فلسطين، كما قام ابنه مرنبتاح Merneptah بغزو فلسطين مرَّة أخرى، وترك نُقُوشاً تشير إلى انتصاره على الإسرائيليين، أي شعب إسرائيل. وتعتبر هذه الإشارة أول مرجع أثري في العالم لوجود شعب اسمه شعب إسرائيل، وهي تعتبر أهم وأخطر وثيقة بالنسبة لإثبات وجود شعب بهذا الاسم في التاريخ يستوطن فلسطين، غير أنها لا تفيد إطلاقاً وجودهم كدولة ولكن مجرد شعب مقيم[6].

وهذا يعني أنه بحلول سنة 1244 ق.م كان شعب إسرائيل قد استقر في

---

(5) J. B. Pritchard, *ANET (Ancient Near Eastern Texts)*, Princeton, 1950, pp. 376-378 note 18, cited by John Bright, *A History of Israel*, p. 112.

(6) John Bright, *A History of Israel*, p. 112.

فلسطين.

وبمعجزات كثيرة خرج شعب إسرائيل من مصر، وبمعجزة أيضاً عبروا البحر الأحمر بقيادة موسى وهارون. وانطلقوا إلى سيناء حيث ظهر لهم الله (يهوه) وأعطى موسى الوصايا العشرة على جبل سيناء (أو حوريب) لتكون هي الدستور الروحي والأخلاقي للشعب. كما سلَّمه كل دقائق العبادة ونظام الحياة والسلوك للفرد والجماعة.

وقصة الخروج بكل الحوادث التي اكتنفتها انطبعت على صفحات قلوب الشعب، وتوارثتها الأجيال، باعتبارها العناصر الأساسية في تكوين وعي الشعب، والتي تحمل له أقوى عناصر الإيمان برعاية الله الخاصة والمتميزة دون كافة شعوب الأرض. ولكن ليس لأجيال شعب إسرائيل فحسب، لأن حادثة خروج شعب إسرائيل من العبودية والسخرة، بكل ما لازمها من وصايا وتوصيات الله، وطقس ذبح خروف الفصح، ومعجزة العبور في وسط مياه البحر الأحمر، كل هذه انتقلت إلى المسيحية ودخلت في صميم العبادة كرموز وأسرار استعلنت حقائقها بواسطة المسيح. والعبودية والسخرة لفرعون مصر هي بالمفهوم المسيحي العبودية للشيطان، والسخرة تحت ثقل الخطية، وذبح خروف الفصح هو صلب المسيح، وعبور البحر الأحمر وفرعون يتبعهم والله (يهوه) فاصل بين الاثنين بواسطة ملاك هو عبور الموت بالصليب (وبالمعمودية)، وبلوغ شاطئ سيناء هو القيامة من الأموات، ودخول أرض كنعان هو الدخول إلى الحياة الأبدية؛ بل ويضيف سفر الرؤيا أن في السماء ستأخذ تسبحة موسى قمة تجليها حيث يكون قد تمَّ العبور الفعلي (رؤ 3:15).

لذلك يلزم أن نوضح أن حادثة ذبح خروف الفصح وعبور البحر الأحمر بقدر ما أخذا الأهمية القصوى في تكوين العنصر الإيماني في عبادة شعب إسرائيل، خريطة الخروج من مصر

فهما بقدر أعظم وبما لا يقاس أخذا موضع الأساس في اللاهوت المسيحي.

في سيناء:

رحلة مريرة دامت في التيه والترحال في براري وجبال سيناء أربعين سنة، أظهر الله فيها لهذا الشعب إحسانات لا تُعدّ ولا تُحصى، وتحمَّل منهم موسى ما لا يطيق حمله بشر، مع أنه كان حليماً جداً: «وأمَّا الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد 3:12). وبالرغم من هذه الوداعة وهذا الحلم الفائق ضج موسى من أخلاق هذا الشعب وصرخ إلى الله: «فقال موسى للرب: لماذا أسأت إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك، حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليَّ؟ ألعلي حبلت بجميع هذا الشعب؟ أو لعلي ولدته حتى تقول لي: احمله في حضنك كما يحمل المربِّي الرضيع إلى الأرض التي حلفت لآبائه؟» (عد 11: 11و12). وبسبب حماقة هذا الشعب غضب عليهم الله، فمات جيل الآباء كله في سيناء، ولم يدخل منه إلى أرض كنعان إلاَّ اثنان: يشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة مع بقية الشعب المولود في الطريق. حتى موسى لم يدخل أرض كنعان بل رآها من بعيد وحيَّاها ومات على الرجاء. ولكن كان قصد الله واضحاً من رحلة التيه وموت جيل بأكمله في سيناء، إذ كان يلزم لهذا الشعب أن تتصفَّى أخلاقه وعاداته غير المرغوب فيها من كل المؤثرات السلبية التي اكتسبوها من مصر على مدى أربعة قرون. كما كانت برية سيناء بهدوئها وانعزالها الكلي عن العالم البيئة المفضَّلة أمام الله لكي يلقن الشعب أصول العبادة الجديدة، وتنضبط أخلاقه وسلوكه بحسب نواميس الله.

وقد اختلفت الأبحاث بخصوص الطريق الذي اتخذه موسى في رحلته إلى أرض كنعان؛ ولكن الطريق الأكثر ترجيحاً هو الذي يمر حول شبه جزيرة

سيناء بمحازاة البحر الأحمر ـ مبتدئاً من خليج السويس وليس العقبة ـ **مما** يتوافق مع الأربعين سنة التي قضوها في الترحال. وبذلك تكون منطقة إيليم المذكورة في سفر الخروج هي الآن واحة أو وادي غرندل الذي يبعد عن السويس 63 كيلومتراً، وحيث ''دفقة'' هي الآن مناجم سرابيت الخادم (عد 33:12)، وحيث رفيديم هي الآن وادي رفايد(7).

الأجناس التي اختلطت بشعب إسرائيل وذابت فيه مبكِّراً:

1 ـ قصة يثرون الكاهن حمي موسى كلها.

2 ـ في سفر الخروج يشير الكتاب أن مجموعات كبيرة من المصريين وغيرهم انضموا لشعب إسرائيل أثناء خروجهم من مصر:

+ «فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد. وصعد معهم **لفيف كثير** أيضاً.» (خر 12:37)

3 ـ حتى كالب نفسه الذي كان أحد متقدمي الشعب، الذي استأمنه موسى ليتجسَّس على أرض كنعان، والذي أخذ نصيبه في التقسيم في منطقة حبرون، كان من قبيلة القنزيين وهي قبيلة أدومية من أدوم:

+ «وهذه مواليد عيسو أبي أدوم في جبل سعير. هذه أسماء بني عيسو: أليفاز ابن عدا امرأة عيسو ورعوئيل ابن بسمة امرأة عيسو. وكان بنو أليفاز تيمان وأومار وصفو وجعثام **وقناز**.» (تك 36: 9ـ11)

+ «فباركه يشوع وأعطى حبرون لكالب بن يَفُنَّة ملكاً. لذلك صارت حبرون **لكالب بن يَفُنَّة القنزي** ملكاً إلى هذا اليوم لأنه اتبع تماماً الرب إله إسرائيل.» (يش 14: 13و14)

(7) G. E. Wright, *Biblical Archaeology*, p. 40.

+ «وأُعطى كالب بن يَفُنَّة قسماً في وسط بني يهوذا حسب قول الرب ليشوع.» (يش 15:13)

4 ـ شعب جبعون كما جاء في سفر يشوع الأصحاح التاسع كله، هؤلاء احتالوا على شعب إسرائيل حتى استحيوهم وعاشوا بينهم واختلطوا بهم، وبكل تأكيد تصاهروا مع شعب إسرائيل وذابوا فيه. وهذا يتضح بعد مدة حينما نسمع أن سليمان نفسه ذهب ليذبح معهم على مرتفعاتهم:

+ «وأحب سليمان الرب سائراً في فرائض داود أبيه، إلاَّ أنه كان يذبح ويوقد في المرتفعات. وذهب الملك إلى جبعون ليذبح هناك لأنها هي المرتفعات العظمى، وأصعد سليمان ألف محرقة على ذلك المذبح.» (1مل 3: 3و4)

بل وحسب التقليد نعلم أن خيمة الاجتماع وجدت مستقرها عندهم:

+ «وترك (داود) هناك أمام تابوت عهد الرب آساف ... وصادوق الكاهن وإخوته أمام مسكن الرب (خيمة الاجتماع) في المرتفعة التي في جبعون.» (1أي 16: 37ـ39)

5 ـ كثير من مدن الكنعانيين تُركت دون اقتحام، وبمضي الزمن ذابت في إسرائيل ـ مثل شكيم ـ وصارت مدناً لإسرائيل بدون حرب (قض 9: 4ـ46). وقد دلت الأبحاث أن شكيم لم يصبها أي تخريب في كل حقبة الغزو الفلسطيني[8].

+ كذلك: «ولم يطرد بنو إسرائيل الجشوريين والمعكيين فسكن الجشوري والمعكي في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم.» (يش 13:13)

---

(8) John Bright, *A History of Israel*, pp. 132.

+ «ولم يقدر بنو منسى أن يملكوا هذه المدن، فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض. وكان لما تشدَّد بنو إسرائيل أنهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردوهم طرداً.» (يش 17: 12و13)

كل هؤلاء ذابوا في إسرائيل ودخلوا ضمن تعداده(9) .

ما فقده إسرائيل من أسباطه مبكِّراً:

1 ـ عندما اختار سبط رأوبين أن يمتلك نصيبه عبر الأُردن تعرَّض لمقاومات عنيفة من الموآبيين حتى اختفى هذا السبط من تاريخ إسرائيل بحلول القرن الحادي عشر ق.م.

2 ـ سبط شمعون لم يستطع أن يحتفظ بكيانه المستقل فذاب في سبط يهوذا، وبدأ هذا في وقت مبكِّر حتى أثناء التقسيم: «ومن قسم بني يهوذا كان نصيب بني شمعون. لأن قسم بني يهوذا كان كثيراً عليهم فملك بنو شمعون داخل نصيبهم.» (يش 19:9)

---

(9) Ibid, pp. 131, 132.

ارتحل الإسرائيليون في هذه البرية القاحلة المليئة بالجبال،
بالقرب من "عصيون جابر".

موسى النبي بين هارون وحور رافعين ذراعيه في وضع الصلاة بينما يشوع يحارب عماليق

موسى النبي وهو نازلٌ من سيناء ولوحا الشهادة في يديه (خر **29:34**)

وادي فيران

مليء بالنخيل وعيون الماء

موسى أمام سحرة فرعون وهارون بجواره (خر **17**: **10**–**12**)

المهاجرون من آسيا إلى مصر
مقبرة خمنحوتب وُجِدَت في آثار بني حسن

موسى النبي أمام العُلَّيقة المشتعلة ناراً ولا تحترق «فغطَّى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله.» (خر 3:6)

يعقوب إسرائيل عندما أراه أولاده قميص يوسف ملطَّخاً بالدماء

3 – غزو أرض كنعان
ومراحل الاستيطان الأولى

بعد محاولة متسرعة لغزو فلسطين من الجنوب، ارتد شعب إسرائيل بسبب ضعفه وعنف مقاومة المدن الحصينة وحرَّاسها المدربين: «لكنهم تجبَّروا وصعدوا إلى رأس الجبل، وأمَّا تابوت عهد الرب وموسى فلم يبرحا من وسط المحلة. فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم إلى حرمة» (عد 14: 44و45). فكانت تجربة زادتهم خبرة بقوة تحصينات ودفاعات أرض كنعان.

وبعد مدة طويلة أخرى استطاعوا أن يدوروا حول أرض أدوم والبحر الميت من جهة الشرق ليكونوا في مواجهة فلسطين من شرق، ونهر الأُردن أمامهم، ولكنهم بالرغم من حذرهم الشديد في مواجهة الشعوب المقيمة في المنطقة – الأدوميين والموآبيين – إلاَّ أنهم لم يستطيعوا أن يتحاشوا شراسة سيحون ملك الأموريين:

+ «وخرج للقاء إسرائيل إلى البرية، فأتى إلى ياهص وحارب إسرائيل. فضربه إسرائيل بحد السيف وملك أرضه من أرنون إلى يبُّوق إلى بني عمون. لأن تخم بني عمون كان قوياً. فأخذ إسرائيل كل هذه المدن وأقام إسرائيل في جميع مدن الأموريين في حشبون وفي كل قراها ... فأقام إسرائيل في أرض الأموريين، وأرسل موسى ليتجسَّس يعزيرَ فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك. ثم تحوَّلوا وصعدوا في

طريق باشان. فخرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في إذرعي. فقال الرب لموسى: لا تخف منه لأني قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه، فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن في حشبون. فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبقَ له شارد وملكوا أرضه.» (عد 21: 23-35)

وبذلك يكون إسرائيل قد وضع قدمه في أرض الميعاد بثبات. وهي أفخر الأراضي الواقعة بين أرنون ويبُّوق.

عبور الأُردن والمعارك الدموية في طول البلاد وعرضها:

+ «وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلَّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات، فالآن قم اعبر هذا الأُردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل ... فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب **على اليابسة في وسط الأُردن** راسخين، وجميع إسرائيل عابرون على اليابسة، حتى انتهى جميع الشعب من عبور الأردن.» (يش 1: 1و3، 17:3)

كانت معجزة عبور الأُردن على مستوى عبور البحر الأحمر، تلك بعصا موسى وبأمر الرب، وهذه بعبور تابوت عهد الرب أولاً والشعب من ورائه. ثم سقطت أول المدن الكبرى على الشاطئ الآخر من الأُردن ـ أريحا ـ بأيدي الشعب بدون حرب، وكان ذلك تمهيداً جيداً لأذهان الشعب أنهم إن كانوا سيملكون فليس بقوتهم وذراعهم:

+ «وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة.» (يش 6: 20)

حينئذ بدأت بعد ذلك ''حروب الرب'' التي أكمل بها وعده لموسى بامتلاك الأرض، وكانت دموية بأقسى ما يمكن التعبير. ومهما حاول المؤرِّخون والعلماء إعطاء المبررات والأعذار أو الادعاء بأنها كانت حرب دفاع[1]، فلا يمكن أن يجيزها الضمير ولا يمكن أن يبررها العقل بحسب موازين إيماننا؛ ولكننا نقول إن إسرائيل تصرَّفت بأكثر مما أوصى به الله.

لقد أكمل يشوع بن نون خادم موسى والقائد المنوط به دخول أرض الموعد إخضاع البلاد وتقسيمها على الأسباط، وقام بمهمته خير قيام، ولم يتخاذل قط أمام أخطر وأرهب المواقف التي ترعب أعظم قواد العالم. لقد اجتمع عليه كل ملوك مقاطعات الجنوب من الكنعانيين المتمرنين في الحرب بأعداد وأدوات رهيبة، فكسرهم جميعاً وبدد شملهم واستولى على مدنهم الواحدة تلو الأخرى. ثم اجتمع عليه كل ملوك الشمال من كنعانيين وغير الكنعانيين ولم يأخذوا بعبرة انكسار الجنوب؛ ولكن لم يرهب يشوع كثرتهم ولا شراستهم، وباغتهم كالأقوى وحطمهم وشرَّدهم وقتل خمسة ملوك دفعة واحدة واستولى على كل البلاد:

+ «فقال الرب ليشوع: اليوم أبتدئُ أعظِّمك في أعين جميع إسرائيل، لكي يعلموا أني كما كنت مع موسى أكون معك.» (يش 7:3)
+ «فلمَّا سمع أدوني صادق ملك **أُورشليم** أن يشوع قد أخذ **عاي** وحرَّمها، كما فعل **بأريحا** وملكها (ذبحه) فعل بعاي وملكها ... فأرسل أدوني صادق ملك أُورشليم إلى هوهام ملك **حبرون** وفرآم ملك **يرموت** ويافيع ملك **لخيش** ودبير ملك **عجلون** يقول: اصعدوا إليَّ

(1) G. Von Rad, F. M. Cross, R. de Vaux etc..., cited by J. Bright, *A History of Israel*, p. 138.

وأعينوني ... فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة ... وصعدوا هُم وكل جيوشهم ... فأتى إليهم يشوع بغتةً. صعد الليل كله من الجلجال (بجوار أريحا على النهر) ... وضربهم ضربة عظيمةً في جبعون وطردهم في طريق عقبة بيت حورون، وضربهم إلى **عزيقة** وإلى **مقيدة** ... فهرب أُولئك الخمسة الملوك واختبأوا في مغارة في مقيدة ... وأخرجوا إليه أُولئك الملوك الخمسة من المغارة ... وكان لما أخرجوا أُولئك الملوك إلى يشوع أن يشوع دعا كل رجال إسرائيل وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه: تقدَّموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك. فتقدَّموا ووضعوا أرجلهم على أعناقهم.» (يش 10: 1ـ24)

ذبحوهم جميعاً، وأخذ يشوع كل مدنهم وحرَّمها (ذبحها بحد السيف)، وانتقل إلى "**لبنة**" وفعل بها وبملكها كذلك، ولما صعد هورام ملك **جازر** ضربه يشوع حتى لم يُبقِ له شارداً، وصعد من لخيش إلى **عجلون** وحرَّمها بكل مَنْ فيها (ذبح كل حي)، وصعد إلى **حبرون** وحرَّمها مع ملكها (ذبحهم جميعاً)، ثم رجع إلى **دبير** فحرَّمها مع ملكها (ذبحها وكل حي فيها).

+ «فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها. لم يُبقِ شارداً، بل حرَّم (ذبح) كل نسمة، كما أمر الرب إله إسرائيل. فضربهم يشوع من **قادش برنيع** إلى **غزة**، وجميع أرض جوشن إلى جبعون. وأخذ يشوع جميع أُولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة ... ثم رجع يشوع وجميع إسرائيل معه إلى المحلة إلى الجلجال.» (يش 10: 40ـ43)

هذه هي حروب الجنوب وهذه هي حروب الشمال:

+ «فلمَّا سمع يابين ملك **حاصور** أرسل إلى يوباب ملك **مادون** وإلى ملك

شمرون وإلى ملك أكشاف، وإلى الملوك الذين إلى الشمال في الجبل وفي العربة جنوبي كنَّروت وفي السهل وفي مرتفعات **دورٍ** غرباً: الكنعانيين في الشرق والغرب، والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين في الجبل، والحويين تحت **حرمون** في أرض المصفاة. فخرجوا هم وكل جيوشهم معهم شعباً غفيراً كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة، بخيلٍ ومركباتٍ كثيرةٍ جداً ... فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم **بغتة** وسقطوا عليهم، فدفعهم الرب بيد إسرائيل، فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة وإلى مسرفوت مايم وإلى بقعة مصفاة شرقاً. فضربوهم حتى لم يبقَ لهم شارد ... ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ **حاصور** وضرب ملكها بالسيف، لأن حاصور كانت قبلاً رأس جميع تلك الممالك. وضربوا كل نفس بها بحد السيف. حرَّموهم (ذبحوهم)، ولم تبقَ نسمةٌ. وأحرق حاصور بالنار. فأخذ يشوع كل مدن أُولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف، حرَّمهم (ذبحهم) كما أمر موسى عبد الرب ... (عددهم 31 ملكاً بأرضهم ومدنهم ''يش 24:12''). فأخذ يشوع كل تلك الأرض، الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله، من الجبل الأقرع الصاعد إلى **سعير** إلى **بعل جاد** في بقعة لبنان[2] تحت جبل حرمون ... فعمل يشوع حرباً مع أُولئك

---

(2) يفسِّر موشى ديان اسم مدينة شيرموم: من شمور بمعنى حارس، أي أعلى نقطة في السهل لتحرس السهل كله، وهو سهل يزرعيل الذي وُلِدَ فيه ديَّان. كما يفسِّر اسم **جبل لبنان** بالكلمة العبرية لابان أي أبيض. وجبل حرمون أي الجبل المقدَّس. وكلمة يحرِّم أي يكرِّس. ونهر الأُردن من كلمة ياردين أي النازل من فوق. وكلمة مصفاة تعني برج المراقبة.

Moshe Dayan, *Living with the Bible*, p. 114.

الملوك أياماً كثيرة. لم تكن مدينة صالحت بني إسرائيل إلاَّ الحويين سكان جبعون بل أخذوا الجميع بالحرب ... فأخذ يشوع كل الأرض حسب ما كلَّم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم واستراحت الأرض من الحرب.» (الأصحاح الحادي عشر من سفر يشوع)

+ «وشاخ يشوع، تقدَّم في الأيام، فقال له الرب: أنت قد شختَ، تقدَّمت في الأيام، وقد بقيت أرضٌ كثيرة جداً للامتلاك. هذه هي الأرض الباقية: كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً تُحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة، الغزِّي والأشدودي والأشقلوني والجتي والعقروني والعويِّين. من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين، وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماةٍ. جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم جميع الصيدونيين. أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل. إنما أقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكاً كما أمرتك.» (يش 13: 1ـ6)

والملاحَظ في الحروب الأُولى شرق الأُردن أنها كانت تخلو من العنف، فلم يحرِّموا شعبها ولا ممتلكاتها بمعنى ذبحهم وإفنائهم، لأن **أسلوب** حروب يهوه، أي الحروب التي سمح بها الله لامتلاك الأرض والمدن، كانت تقوم على أساس التحريم فقط إذا كانت البلاد مراكز عبادة أصنام أو الشعب مركز عداوة ومقاومة. لأن كثيراً من المدن والقرى والشعوب المحلية رحبت بإسرائيل بسبب الأخبار التي بلغتهم عن هيبة الله ومعونته لشعب إسرائيل، مثل الجبعونيين

وشكيم، وعاشوا معهم وذابوا في إسرائيل. وهذا هو السبب أن الكتاب يذكر أن كثيراً من البلدان الوسطى في فلسطين قد حوربت وتم الاستيلاء عليها، دون ذكر أي حرب أو قتلى من الجانبين.

كما يُلاحَظ أن المدن التي أخذها إسرائيل ثم عادت وخانت وتمرَّدت كان مصيرها الذبح والهدم وإشعال النار فيها حتى الفناء.

ولكن تراخى إسرائيل في امتلاك كثير من المدن والقرى وتركها واكتفى بأنه أحاط بها؛ ومع مرور الزمن تمَّ امتلاكها بدون حرب، وخضع شعبها لحكم إسرائيل ثم اندمجوا فيهم:

+ «ولم يطرد منسَّى أهل بيت شان وقُراها، ولا أهل تعنك وقُراها، ولا سكان دُور وقُراها، ولا سكان يبلعام وقُراها، ولا سكان مجدو وقُراها. فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض. وكان لما تشدَّد إسرائيل أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طرداً. وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر، فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر. زبولون لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول، فسكن الكنعانيون في وسطه وكانوا تحت الجزية. ولم يطرد أشير سكان عَكُّو ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وحلبة وأفيق ورحوب. فسكن الأشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم. ونفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة، بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض. فكان سكان بيت شمس وبيت عناة تحت الجزية لهم. وحصر الأموريون بني دان في الجبل لأنهم لم يدعوهم ينزلون إلى الوادي. فعزم الأموريون على السكن في جبل حارس في أيلون وفي شعلبيم. وقويت يد بيت يوسف فكانوا تحت الجزية. وكان تخم

الأموريين من عقبة عقربيم من سالع فصاعداً.» (قض 1: 27ـ36)

+ «وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أُورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أُورشليم إلى هذا اليوم.» (قض 21:1)

هذا كله يوضِّح أن هذه الشعوب امتصها شعب إسرائيل وأقلمها وصارت ضمن نسيج شعب إسرائيل، ولكن بكل الأسف دخل أيضاً الكثير من طباع هذه الشعوب وأخلاقها وعباداتها ضمن تراث شعب إسرائيل، مما أغضب الله، لأن سلوك شعب إسرائيل ازداد سوءاً على ممر السنين، واستهانوا بالمقدَّسات، وأباحوا المحرمات، وداسوا عهود الآباء والأنبياء، وصاروا مكروهين من الله والناس. لأنهم في الوقت الذي احتفظوا فيه بشكليات الانتماء لله كشعب مختار ومخصص لعبادته، مع كبرياء وافتخار واعتداد كأبرار، كانوا في نفس الوقت على مستوى الشعوب الأخرى المنحطة في سلوكها وفي روح عبادتها المتسفِّلة.

شهادة الآثار والحفائر والاكتشافات
على صحة غزو إسرائيل لمدن فلسطين[3]:

لقد تضافرت جهود جبارة من علماء كثيرين ومن دول مختلفة أهمها ألمانيا وأمريكا وإنجلترا وفرنسا، وأثبتوا بحفائرهم صدق رواية غزو البلاد في فلسطين في زمن دخول شعب إسرائيل، أي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ولكن أعثرهم العقل أحياناً حينما لم يجدوا أدلة كافية مثل إسقاط مدينة أريحا، إذ تقول الحفائر أن سقوطها كان مبكِّراً عن زمن إسرائيل. واختلف الرأي في

(3) J. Bright, *A History of Israel,* p. 127.

سقوط بيت إيل[4] ولكنهم اتفقوا جميعاً في سقوط مدينة عاي على زمن غزو إسرائيل للأرض، وكانت عاي مجاورة لبيت إيل مركز الكنعانيين، والمسافة بينهما لا تزيد عن ميل واحد، ووجدوا آثار الحريق والتحطيم تزيد على عدة أقدام في سمكها. كما اكتشفوا الآثار التي تدل على إعادة بنائها بأيدي إسرائيلية في زمن ملائم لدخول إسرائيل. أمَّا مدن الجنوب مثل مدينة **دبير** (يش 38:10) ومدينة لخيش (يش 31:10) (وهي تل بيت مرسيم الآن) فالآثار تنطق بغزو إسرائيل لها وتحطيمها بعنف وإعادة بنائها بأيدي إسرائيلية. أمَّا منطقة (تل الدوير) فبعد تحطيمها وحرقها تُركت مهجورة حوالي قرنين بدون عمارة بنقمة شديدة عليها.

وقد وجدت حفائر وآثار مكتوبة تفيد اسم فرعون مصر مرنبتاح في نفس آثار التخريب، وقد استدل العلماء من ذلك أن لخيش اجتاحها الإسرائيليون بعد 1220 ق.م. كذلك عجلون (يش 34:10) (الآن تل حسي) آثار خرائبها يدل على سنة 1300 ق.م. كذلك أكبر مدن الشمال في الجليل حاصور (يش 10:11) (الآن تل القدح) تفيد الآثار أنها تحطمت على أيدي الإسرائيليين في أواخر 1300 ق.م. كذلك هناك مدن ومواقع كثيرة أثبت العلماء أنها اجتيحت بواسطة إسرائيل ولم تُذكر في سفر يشوع.

(4) لم يحترس العلماء في انتقاد الكتاب المقدَّس من جهة امتلاك مدينة بيت إيل على أساس أنهم لم يجدوا خرائب أو حرائق أو آثار ... إلخ. ولكن بالعودة إلى قصة غزو إسرائيل لمدينة بيت إيل يتضح أنهم أخذوها بدون أي مظاهر تخريب: «واستكشف بيت يوسف عن بيت إيل وكان اسم المدينة قبلاً لوزا. فرأى المراقبون رجلاً خارجاً من المدينة فقالوا له أرنا مدخل المدينة فنعمل معك معروفاً. فأراهم مدخل المدينة فضربوا المدينة بحد السيف وأمَّا الرجل وكل عشيرته فأطلقوهم فانطلق الرجل إلى أرض الحثيين وبنى مدينة ودعا اسمها لوز وهو اسمها إلى هذا اليوم» (قض 1: 22ـ26). وهكذا يتضح أن نقد علماء الآثار لرواية الإنجيل غالباً تكون عن جهل برواية الإنجيل.

العهد المقدَّس وإعلان قيام إسرائيل كشعب موحَّد:

بعد أن استقر إسرائيل إلى حد ما بأسباطه في أرض الميعاد بعد أن قسَّموها وفي أواخر أيام يشوع، صارت الدعوة من يشوع قائد إسرائيل لاجتماع ممثلي الأسباط من كل أطراف البلاد لإقامة العهد أمام الله لعبادة يهوه وإعلان الخضوع لله. فاجتمعوا في شكيم في وسط البلاد وأقاموا العهد. **ومن هذه اللحظة انقضى عهد الأسباط وبدأت إسرائيل كشعب موحَّد تحت قسم العهد وبدأ تاريخ شعب إسرائيل:**

+ «وجمع يشوع جميع أسباط إسرائيل إلى شكيم. ودعا شيوخ إسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم فَمَثَلُوا أمام الرب. وقال يشوع لجميع الشعب: هكذا قال الرب إله إسرائيل: آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى. فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان وأكثرت نسله وأعطيته إسحق، وأعطيت إسحق يعقوب وعيسو وأعطيت عيسو جبل سعير ليملكه. وأمَّا يعقوب وبنوه فنزلوا إلى مصر. وأرسلت موسى وهارون وضربت مصر حسب ما فعلت في وسطها ثم أخرجتكم. فأخرجت آباءكم من مصر ودخلتم البحر وتبع المصريون آباءكم بمركبات وفرسان إلى بحر سوف، فصرخوا إلى الرب فجعل ظلاماً بينكم وبين المصريين وجلب عليهم البحر فغطَّاهم. ورأت أعينكم ما فعلت في مصر وأقمتم في القفر أياماً كثيرة. ثم أتيت بكم إلى أرض الأموريين الساكنين في عبر الأُردن فحاربوكم ودفعتهم بيدكم فملكتم أرضهم وأهلكتهم من أمامكم. وقام بالاق بن صفور ملك موآب وحارب إسرائيل وأرسل ودعا بلعام بن بعور لكي يلعنكم. ولم

أشأ أن أسمع لبلعام فباركَكم بركة وأنقذتكم من يده. ثم عبرتم الأُردن وأتيتم إلى أريحا. فحاربكم أصحاب أريحا الأموريون والفرزيون والكنعانيون والحثيون والجرجاشيون والحويون واليبوسيون فدفعتهم بيدكم. وأرسلت قدامكم الزنابير وطردتهم من أمامكم أي ملكي الأموريين، لا بسيفك ولا بقوسك. وأعطيتكم أرضاً لم تتعبوا عليها ومدناً لم تبنوها وتسكنون بها، ومن كرومٍ وزيتونٍ لم تغرسوها تأكلون. فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عبر النهر وفي مصر واعبدوا الرب. وإن ساء في أعينكم أن تعبدوا الرب فاختاروا لأنفسكم اليوم مَنْ تعبدون إن كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم الذين في عبر النهر وإن كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون في أرضهم. وأمَّا أنا وبيتي فنعبد الرب.» (يش 24: 1-15)

فلسطين وقت الغزو الإسرائيلي:

أولاً: الكنعانيون وبقية سكان فلسطين قبل غزو إسرائيل:

+ «وكان بعد موت يشوع أن بني إسرائيل سألوا الرب قائلين مَنْ منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم، فقال الرب يهوذا يصعد. هوذا قد دفعت الأرض ليده ... فصعد يهوذا ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم، فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل ... وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل، وسار يهوذا على الكنعانيين الساكنين في حبرون، ... ، وسار من هناك على سكان "**دبير**" واسم دبير قبلاً قرية سفر.

وذهب يهوذا مع شمعون أخيه وضربوا الكنعانيين سكان "**صفاه**" وحرَّموها ودعوا اسم المدينة "**حُرْمَة**". وأخذ يهوذا "**غزة**" وتخومها **خريطة تقسيم أرض الموعد على أسباط إسرائيل**

و"**أشقلون**" وتخومها و"**عقرون**" وتخومها، وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد.» (قض 1: 1ـ19)

من هذا يتضح غاية الوضوح أن الفلسطينيين لم يكونوا بعد قد نزحوا من مواطنهم الأُولى إلى أرض كنعان، ولم يكن منهم أحد في هذه البلاد التي كان يقطنها ويمتلكها الكنعانيون فقط. كذلك يُلاحَظ أن الكنعانيين سكان السهل كانوا يمتلكون مركبات حديد وهي التي قلدها الفلسطينيون بعدما غزوا البلاد.

+ «وكان لما تشدَّد إسرائيل أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طرداً، وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسط جازر ... فسكن **الأشيريون** في وسط **الكنعانيين** سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم.» (قض 1: 28و29و32)

ومن هذه الآيات يتضح أن الكنعانيين **كانوا هم سكان الأرض**، وكان الأشيريون يسكنون بينهم كغرباء، وهكذا قعد إسرائيل عن أن يتخلَّص من سكان البلاد الأصليين الذين ظلوا قوة تهدِّد وجودهم وتنغِّص حياتهم كل الأيام. ولعل ذلك بسبب عدم أمانتهم في عبادة الله وطاعة وصاياه فتخلَّى عنهم.

واضح أن الكنعانيين هم سكان الأرض أصلاً، وقد استقروا في الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط منذ القديم، وكان يصعب التفرقة بينهم وبين الأموريين (سكان شمال ما بين النهرين)، وقد اشتدت كثافة السكان الكنعانيين في الأقسام الغربية لفلسطين وسهل الأُردن دون العبور إلى الشرق. وفي السواحل الغربية على البحر الأبيض في سهول اسدرايلون (يزرعيل)، وتخف كثافتهم على مناطق الجبال. وقد كوَّن الكنعانيون ما يشبه المقاطعات

أو الأقاليم وكان يحكمها ملوك قبل غزو إسرائيل. كذلك كان قد استوطن فلسطين أجناس أخرى كثيرة نازحة من الشرق والشرق الأدنى (هندوأريان) وشمال ما بين النهرين. أسماء عديدة نقابلها في التوراة منها **الحثيين** Hittite الذين اشترى منهم إبراهيم "**مقدار قبر**" لدفن امرأته سارة عند حبرون. والحويين Hivites والحوريين Horites واليبوسيين Jebusites والجرجاشيين Girgashites والفرزيين Perizzites ... إلخ. وهؤلاء الأقوام كلهم لا يمثلون العنصر السامي Semites نسبة إلى سام ابن نوح.

على أن الحوريين في القديم كانوا أشد كثافة في فلسطين من بقية الأجناس الأخرى بعد الكنعانيين، حتى لقد أطلق المصريون على فلسطين اسم: ''حورو Huru''. ولكن في عصر التوراة انحصر هذا الجنس في أدوم: «والحوريين في جبلهم سعير إلى بطمة فاران التي عند البرية» ولكن يشير الكتاب إلى تواجدهم في جبعون (يش 9) وفي شكيم (تك 2:34) وفي لبنان (يش 3:11)، (قض 3:3).

أمَّا الحثيون فقد كانوا مستوطنين حول حبرون (تك 10:23، 9:25). ولكن الحثيين كانوا موجودين أصلاً وبغزارة جنوب سوريا، بل وحكموا بعض الأقاليم هناك. ولكن جميع هذه الأجناس اختلطت بالكنعانيين وأخذوا عنهم كل عوايدهم وثقافتهم، حتى لم يعد يمكن التفريق بين الكنعاني وأي مستوطن آخر في أرض فلسطين(5).

والكنعانيون لهم ثقافة وحضارة منذ القديم، ولكنها انحدرت إلى الضعف بعد حكم مصر لفلسطين أيام الهكسوس وزيادة رسوم الجزية وغلظة المعاملة. وتظهر آثار ثقافتهم في الحفائر للمدن التي خرَّبها الإسرائيليون إذ وُجِدَ بها

(5) J. Bright, *A History of Israel*, p. 115.

وسائل حفر للمجاري على مستوى صحي عالٍ، ووسائل رفع المياه من العيون والآبار لتدخل المساكن، كما وجد في أُورشليم وبقية المدن، وذلك اتقاءً للمجاعة أثناء الحصار.

وكان الكنعانيون تجاراً ممتازين على أرفع مستوى، يصدِّرون الأخشاب والمنسوجات الغالية، ويتقنون صباغة الأقمشة الثمينة. وكانت لهم معاملات تجارية مع مصر وما بين النهرين وسوريا وجزر بحر إيجه في اليونان وجزيرة كريت (كفتور). كما مهروا في صناعة الخزف الملون حتى إلى القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد أي قبل الغزو الإسرائيلي.

ولم تقف الثقافة عند حد عمل اليدين، بل قد مهر الكنعانيون في الكتابة، فسكان بيبلوس الكنعانيون استنبطوا حروفاً ومقاطعَ على أساس نموذج الخط المصري الفرعوني، وقد مهروا بعد ذلك في الكتابة والنساخة ليس بلغتهم المتطورة بل بلغة المصريين وخطهم وبلغة الأكاديين Akkadian.

وهذه الكتابة التي استنبطوها على طريقة مصر وطوَّرها الكنعانيون تسرَّبت إلى لبنان واليونان وصارت هي أم اللغات الأوروبية[6].

علماً بأن الكتابة الكنعانية المستحدثة والمتطورة وُجِدَ لها جذور في شبه جزيرة سيناء حول منطقة سرابيت الخادم. وقد عثر الأثريون على تمثال على هيئة أبي الهول وعليه كتابة بهذه الحروف عينها، وزمنها 1550ـ 1450 ق.م[7].

---

(6) F. M. Cross, B. A. S. O. R. (Bulletin of the American Schools of Oriental Research), 134ـ pp. 15,24.

(7) W. F. Albright, *The Proto - Sinitic Inscriptions*, Harvard University Press, 1966.

كما وُجِدَت اللغة الكنعانية مكتوبة بالخط المسماري المعقَّد على مدونات أثرية، عُثر عليها في رأس شمرا في الشمال من قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، في مخطوطة شعرية فائقة الجمال، تسجِّل قصص كنعان البطولية موزونة على أساس الوزن العبري القديم، وهي تشرح أيضاً عبادة الكنعانيين وطقوسهم(8).

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أن غزو إسرائيل لفلسطين واكب نهضة أدبية وثقافية عالية عند الكنعانيين، أخذ عنها الإسرائيليون وطمسوا معالمها(9).

ولكن كان مستوى عبادة الكنعانيين منحطاً، يعبدون البعل ويسمُّونه السيد Lord وهو الاسم الحديث للإله هدد Hadad القديم، وهو إله العاصفة الذي كان يحكم على كل الآلهة حسب الأسطورة، وكان يقطن في المرتفعات فقط. كذلك كان لهم الإلاهة الأنثى عشتاروت والإلاهة الأنثى عناة ـ ذُكرت في الكتاب المقدَّس مضافة إلى اسم مدينة: مدينة بيت عناة ـ وهي إلهة الخصوبة وتُرسم بصورة إلهة حرب متعطِّشة للدماء. وكل هذه العبادات لها طقوس نجسة شنيعة تدور حول الغرائز السُفلى(10).

أمَّا من الجهة السياسية فلم يكن لهم صورة دولة أو حكم، وخاصة بعد أن وقعت أرضهم تحت الجزية لفرعون مصر، فقد تفرَّق شملهم السياسي. ولكن كان لهم ملوك ضعفاء يملكون على المدن وهم الذين يضطلعون بجمع الجزية، فكانت لهم بالطبع جنود وقوات للحراسة ولجمع الأموال. وكان عاهل مصر

(8) C. H. Gordon, *Ugaritic Literature.*
(9) J. Bright, *A History of Israel,* p. 116.
(10) Ibid. p. 117.

يرهقهم بالجزية وكأنه يحلب البلاد حتى ضعفت وافتقرت وانحدرت انحداراً شديداً نحو الفقر والفاقة، وانقسمت إلى مقاطعات صغيرة، ولم يبق فيها قوة إلاَّ في بعض المدن الكبرى.

وبذلك كانت بلاد كنعان في حال مستهدف للغزو والإطاحة بها بكل سهولة من قِبَل الإسرائيليين.

ثانياً: الفلسطينيون:

موطنهم الأصلي جزر بحر إيجه في خليج اليونان، غزوا لبنان والساحل الشرقي لفلسطين وتركَّزوا في الجنوب وتمركزوا في خمس مدن حصينة: أشدود وعسقلان (أشقلون) وغزَّة وعقرون وجتّ بالقرب من الساحل. ويرى بعض المؤرِّخين، وعلى رأسهم العالِم برايت، أنهم غزوا أرض فلسطين ربما بعد غزو إسرائيل بقليل[11] وعاشوا مع إسرائيل جنباً إلى جنب، ولكن في احتكاك من حين إلى حين في البداية، ولكن هذ الاحتكاك احتدم جداً طول عصر القضاة، ووصل بهم الأمر لمهاجمة إسرائيل بتخطيط منظَّم بغرض الإبادة، وألحقوا بها خسائر فادحة.

لم يكن عددهم كبيراً، ولكنهم كانوا متمرسين في الحرب واستظهروا على الكنعانيين وحكموهم. ولكن إذ لم تكن هناك اختلافات جوهرية بين الشعبين الكنعاني والفلسطيني فقد تصاهروا والتحموا وعبدوا نفس الآلهة. والفلسطينيون ظلوا محتفظين بطابعهم العسكري المدرَّب والمؤهَّل بدرجة عالية جداً في القتال. وكان الفلسطينيون دائماً متحفزين للقتال، وعلى حذر شديد من إسرائيل، خوفاً على أمنهم وسلامة طرق تجارتهم التي كانت ممتدة من داخل البلاد حتى الساحل

(11) J. Bright, *A History of Israel*, p. 180.

والحدود الغربية التي احتفظوا بها تحت قيادتهم وسيطرتهم.

وهكذا شكَّل الفلسطينيون منذ البدء عنصر تهديد لكيان شعب إسرائيل، خاصة وأن كيان الفلسطينيين لم يكن محصوراً في قبيلة حتى يمكن مواجهتها، بل كانوا جماعةً متهيِّئة دائماً للحرب، جنوداً هواةَ تسلُّحٍ وأسلحةٍ ـ وجليات الجبَّار مَثَل واضح ـ وقد ساعدهم على ذلك احتكارهم لصناعة الحديد في كل الأرض حتى اضطر شعب إسرائيل أن يشتري منهم السلاح.

وقد تفنَّنوا في تطوير صناعة الرمح والدرع (1صم 17: 4ـ7) والعجلات الحربية ذات الجوانب الثلاثة. وبالرغم من أنه لم تكن لهم حكومة أو ملك، إلاَّ **أنهم كانوا شعباً مؤتلفاً متضامناً بنظام لم يعرفه لا الكنعانيون ولا إسرائيل.**

وهكذا لم يقوَ شعب إسرائيل قط على مواجهة القوات الفلسطينية وجهاً لوجه في معركة مفتوحة. وعلى طول الزمن تغلَّب الفلسطينيون على كل مدن الساحل، وأخضعوا كل الشعوب القاطنة على الساحل سواء كانوا كنعانيين أو غيرهم. والتفتوا إلى الأسباط المجاورة لهم، سبط يهوذا وسبط دان، وبدأوا يضغطون عليهم حتى أجبروهم على الانسحاب من حدودهم، كما هو واضح في التوراة من حروب شمشون معهم، مما شجَّعهم على المزيد من الضغط والتعدِّي[12].

الحالة المرعبة لشعب إسرائيل خلال قرنين بعد الغزو
(1250 ق.م–1050 ق.م):

لكي نتعرَّف عن قرب على حالة إسرائيل بعد أن عبروا نهر الأُردن

---

(12) Ibid.

وقسَّموا الأرض كلها على الأسباط من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، واستولوا فعلاً على معظم البلاد سواء التي على الساحل أو التي في الوسط أو التي على حدود الغرب وما في عبر الأُردن من شرق، يكفي أن نلقي نظرة على ما سجَّله الكتاب المقدَّس نفسه عن حالة إسرائيل في هذه الحقبة البائسة:

+ «وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه. فحمي غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون، **فحطَّموا** ورضضوا بني إسرائيل في تلك السنة (إلى) ثماني عشرة سنة. (وارتد) جميع بني إسرائيل الذين في عبر الأُردن (شرق) في أرض الأموريين الذين في جلعاد. وعبر بنو عمون (نهر) الأُردن ليحاربوا أيضاً يهوذا وبنيامين وبيت أفرايم فتضايق إسرائيل جداً.» (قض 10: 6ـ9)
+ «ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين **أربعين سنة**.» (قض 13:1)
+ «وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب، ونزلوا عند حجر المعونة. وأمَّا الفلسطينيون فنزلوا في أفيق. واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل، واشتبكت الحرب فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين وضربوا من الصف في الحقل نحو أربعة آلاف رجل ...» (1صم 4: 1و2)

وهكذا انتهى عصر القضاة بحالة مرعبة بالنسبة لإمكانية بقاء إسرائيل، إذ نجح الفلسطينيون في التخطيط وتسليح جيش ضخم صار مصدر تهديد خطير لبقاء إسرائيل في الوجود، حتى جاءت الضربة القاضية حوالي سنة 1050 ق.م بالقرب من "**أفيق**" على حدود السهل الساحلي "**شارون**" (الأصحاح

الرابع من سفر صموئيل الأول). وفي هذه الموقعة فرّقوا جيش إسرائيل وقتلوا حفني وفينحاس الكاهنين واستولوا على تابوت عهد الله (1صم 11:4)، فارتد إسرائيل وامتد الفلسطينيون ليستولوا على الأرض حتى ''شيلوه''، واحتفظ الفلسطينيون بالمواقع الحصينة (1صم 5:10).

+ «وتجمّع الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل. ثلاثون ألف مركبة وستة آلاف فارس وشعب كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة. وصعدوا ونزلوا في مخماس شرقي بيت أون. ولما رأى رجال إسرائيل أنهم في ضنك، لأن الشعب تضايق، اختبأ الشعب في المغاير والغياض والصخور والصروح والآبار. وبعض العبرانيين عبروا الأُردن إلى أرض جاد وجلعاد. وكان شاول بعد في الجلجال وكل الشعب ارتعد وراءه.» (1صم 13: 5-17)

وقد نجح الفلسطينيون في محاصرة قوة إسرائيل من الأساس إذ قاموا واستولوا على جميع أسلحتهم وأدواتهم الحديدية، هذا بالإضافة إلى كونهم أصلاً محتكرين لصناعة الحدادة وصنع الأسلحة بوجه عام:

+ «ولم يوجد **صانع** في كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين قالوا لئلاَّ يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً، بل كان ينزل كل إسرائيل إلى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكته (سلاح المحراث) ومنجله وفأسه ومعوله ... وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب.» (1صم 13: 19-22)

4 – قيام مدرسة الأنبياء

وبدء عصر الملكية في إسرائيل (1050 ق.م)

بتجديد الروح تتجدَّد القوة:

شاول بين الأنبياء – ثم شاول ملكاً:

في وسط هذه الظلمة الحالكة لشعب إسرائيل وُلد الطفل صموئيل الذي قُدِّم نذيراً للرب. وصار صموئيل نبيًّا لإسرائيل، وامتد سلطانه الروحي ليقود إسرائيل باعتباره قاضياً أو آخر القضاة. وقد أعلن الله بوضوح عن رضائه عن صموئيل: «وكانت يد الرب على الفلسطينيين كل أيام صموئيل» (1صم 13:7). وعلى يد صموئيل تتلمذ أنبياء كثيرون دفعة واحدة: «ولما جاءوا إلى هناك إلى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه (على شاول) روح الله فتنبأ في وسطهم.» (1صم 10:10)

وهكذا امتدت الروح النبوية حتى إلى أفراد الشعب وشاول الذي صار فيما بعد ملكاً.

وفي وسط أنصاب الضلال والأوثان تنبثق نار النبوَّة:

+ «بعد ذلك تأتي إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين، ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة، وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأون. فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم، وتتحوَّل إلى رجل آخر. وإذا أتت هذه الآيات

عليك فافعل ما وَجَدَتْهُ يدك لأن الله معك.» (1صم 10: 5-7)

+ «فأُخبر شاول وقيل له هوذا داود في نايوت في الرامة. فأرسل شاول رُسلاً لأخذ داود، ولما رأوا جماعة الأنبياء يتنبأون وصموئيل واقفاً رئيساً عليهم، كان روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم أيضاً. وأخبروا شاول فأرسل رُسلاً آخرين فتنبأوا هم أيضاً. ثم عاد شاول فأرسل رُسلاً ثالثة فتنبأوا هم أيضاً. فذهب هو أيضاً إلى الرامة وجاء إلى البئر العظيمة التي عند سيخو وسأل وقال: أين صموئيل وداود؟ فقيل: ها هما في نايوت في الرامة. فذهب إلى هناك إلى نايوت في الرامة فكان عليه أيضاً روح الله، فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى نايوت في الرامة. فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل. وانطرح عرياناً ذلك النهار كله وكل الليل. لذلك يقولون أشاول أيضاً بين الأنبياء.» (1صم 19: 19-24)

عجيب حقًّا أن تنبثق هذه الروح النبوية القوية، وتنتشر بهذه السرعة والبساطة، وسط اضمحلال القوة واليأس الذي عمَّ الشعب، مع مصيبة الاستيلاء على تابوت عهد الله الذي هو رمز الروح والقوة والقيادة، والفراغ المرعب الذي حل بغياب التابوت. هكذا يبرهن الله لهذا الشعب ولنا أن ذخيرة القوة والتجديد هي في داخل الإنسان، في أعماقه، ولا تحتاج إلاَّ لروح الله لكي يتحوَّل الإنسان إلى نبي وإلى قاضٍ ومدبِّر وقائد ...

ويُلاحِظ القارئ أن شيلوه سقطت وهي مركز العبادة وتابوت عهد الله، كذلك يُلاحَظ أن الله أمات عالي الكاهن، وأمات ولديه الكاهنين حفني وفنحاس، وهما سبب الخراب بسلوكهما الفاحش. وبذلك الموت الجماعي للكهنة يتضح قصد الله من الإنهاء على هذه الحقبة الفاسدة، ليبتدئ عصر الأنبياء في

إسرائيل الذين حملوا رسالة التوعية والإرشاد سواء للملوك أو للشعب.

وجدير بالملاحظة أنه ليس عن غير قصد أن يبدأ عصر الملوك في إسرائيل مع عصر الأنبياء في نفس الوقت والساعة!! فالله ظل محتفظاً بواسطة الأنبياء على حقه في أن يظل ملكاً على إسرائيل.

كان دخول عصر الملكية على النظام الإسرائيلي يمثِّل نقلة شديدة غريبة وعنيفة عن كل مسلسل تدبيرات الله السابقة مع الشعب. فقد تم تعيين ملك على الشعب بناءً على طلب ورغبة الشعب نفسه، وكانت استجابة الله، ولكن كان فيها توبيخ مرعب للشعب وإنذار بالتخلي:

+ «فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة وقالوا له: ... اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب. فساء الأمر في عيني صموئيل ... وصلَّى صموئيل إلى الرب. فقال الرب لصموئيل اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك، لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم.» (1صم 8: 4ـ7)

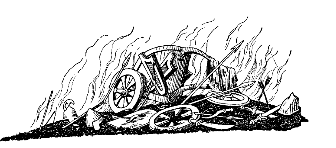
وهكذا انكسر تقليد إسرائيل القديم، وبالرغم من موافقة صموئيل إلاَّ أنه حمل على شاول بروح استياء لم يستطع أن يخفيها، لأنه كان يشعر أن دخول إسرائيل تحت قيادة ملك سيكون بداية لِتَخلٍّ حقيقي عن أن يملك الله عليهم.

لقد بدأ شاول حُكمَهُ بالروح تمشياً مع تقليد إسرائيل، ولكنه سرعان ما ارتد إلى ذاته، وكانت كل أيام شاول حروباً بعد حروب ومات شاول في الحرب:

+ «وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع ... فأخذ شاول السيف وسقط عليه ... فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجالـــــــــــــــه في ذلـــــــــــــــك اليـــــــــــــــوم معـــــــــــــــاً.

ولما رأى رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأُردن **أن رجال إسرائيل قد هربوا، وأن شاول وبنيه قد ماتوا، تركوا المدن وهربوا**، فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها.» (1صم 31: 1ـ7)

وكانت ضربة قاضية، وكان موت شاول سنة 1000 ق.م بحسب أدق السجلات.



5 ـ العصر الذهبي لبني إسرائيل

إسرائيل مملكة متحدة

حكم داود (1000ـ961 ق.م)

في مدة خيالية قصيرة للغاية استعادت إسرائيل كل قوتها بعد اليأس القاتل، وصارت أقوى دولة في فلسطين وحتى سوريا، وذلك بفضل داود النبي والملك. لقد أُقيم داود ومُسح ملكاً في حبرون على يهوذا أولاً. والعجيب أن يكون ذلك بموافقة الفلسطينيين عن مسرَّة إذ كان نصيراً لهم! وسرعان ما صار داود ملكاً على كل الأقاليم، وخضعت له كلها إما عن مسرَّة أو عن اضطرار:

+ «وجاء جميع أسباط إسرائيل إلى داود إلى حبرون، وتكلَّموا قائلين هوذا عظمك ولحمك نحن، ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكاً علينا قد كنت أنت تخرج وتدخل على إسرائيل، وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيساً على إسرائيل. وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب، ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل.» (2صم 5: 1ـ3)

وكان داود ابن 30 سنة حين ملك وملك 40 سنة، في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أُورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا. وليس عجيباً أن يحوز داود على خضوع كل إسرائيل بل وكل الشعوب حوله، فقد كان روح الله عليه، بمعنى أنه كان قائداً ملهماً يعمل الصالح دائماً وحسب مشيئة الله.

وهكذا وبلا أي منازعة أو حروب اتحد الشمال الذي كان يتبع شاول سابقاً مع الجنوب، فصارت مملكة متحدة.

داود والمعركة الفاصلة – في تاريخ إسرائيل – مع الفلسطينيين:

كانت المرحلة الأُولى بجوار أُورشليم، إذ عسكر الجيش الفلسطيني شمال المدينة على الجبال التي كانت لا يزال يسكنها الكنعانيون ولكن تحت حماية الفلسطينيين. وكان غرض الفلسطينيين واضحاً وهو قطع المواصلات مع الشمال تمهيداً لتحرير القوات الفلسطينية التي في الجنوب في يهوذا والتي كان قد حاصرها داود. وبالرغم من ضعف وقلة القوات الإسرائيلية التي كانت تحت يد داود إلاَّ أنه استطاع أن يصدهم ويطردهم.

ولكن أدرك داود أن حرب الدفاع سوف تجعل إسرائيل باستمرار تحت تهديد الفلسطينيين، لذلك عزم أن يغزوهم في أرضهم، وبعد تردُّد صمَّم أن يسأل الرب:

+ «وسأل داود من الرب قائلاً أأصعد إلى الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليدي؟ فقال الرب لداود اصعد ... فجاء داود إلى بعل فراصيم وضربهم داود هناك وقال قد اقتحم الرب أعدائي أمامي كاقتحام المياه، لذلك دعى اسم ذلك الموضع بعل فراصيم ... ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضاً وانتشروا في وادي الرفائيين. فسأل داود من الرب (عدد جيشه قليل جداً بالنسبة للعدو) فقال **لا تصعد** بل در من ورائهم ... ففعل داود ... وضرب الفلسطينيين من **جبع** إلى مدخل جازر.» (2صم 5: 19-25)

+ «وكانت أيضاً حرب بين الفلسطينيين وإسرائيل، فانحدر داود وعبيده معه وحاربوا الفلسطينيين، فأعيا داود. ويشبي بنوب الذي من أولاد رافا ووزن رُمحهِ ثلاث مائة شاقل نحاس وقد تقلَّد جديداً افتكر أن يقتل داود، فأنجده أبيشاي بن صروية فضرب الفلسطيني وقتله. حينئذ حلف

رجال داود له قائلين: لا تخرج أيضاً معنا إلى الحرب ولا تُطفئ سراج إسرائيل.
ثم بعد ذلك كانت أيضاً حرب في جوب مع الفلسطينيين ...
ثم كانت أيضاً حرب في جوب مع الفلسطينيين ...» (2صم 21: 15ـ19)

وهكذا، واضح أن الفلسطينيين كانوا يهددون إسرائيل، وأن داود واجه الموت أمامهم بيد أحد جبابرتهم، فكفَّ عن أن يخرج في الجيش. وظل التهديد مستمراً بلا هوادة، ولكن لم يتركهم داود أبداً حتى كلَّت قوتهم وتراجعوا أمامه وتحصَّنوا في الساحل، وكفوا نهائياً عن المهاجمة. فتركهم داود بإرادته ولو شاء لقتلهم وأفناهم، ولكنه استبقاهم واستخدمهم بعد ذلك بتأجيرهم كجنود مرتزقة للمحاربة في صفوفه[1].

أُورشليم[2] مدينة داود وعاصمة مملكة إسرائيل

(2500 قدم فوق سطح البحر):

الآن، وقد استراح داود من الأعداء في الخارج، التفت بكل عزيمة أن يجمع شمل الداخل ويقوِّي رابطة الأسباط. ومعروف أنه بعد فترة قليلة من حكمه وهو في حبرون قام بمحاصرة معقل اليبوسيين في أُورشليم، وبسقوطها نقل مركز إدارته إليها. وبهذه الخطوة أنهى على قوة الكنعانيين المحاصرين في وسط البلاد. وصارت أورشليم عاصمة إسرائيل بعد أن ثبت لدى داود أن حبرون الواقعة في جنوب اليهودية لا تكفل له بسط سلطانه على الشمال وكل

(1) J. Bright, *A History of Israel*, pp. 194,195.

(2) المعروف من الآثار والحفائر أن مدينة أُورشليم كموقع كانت مأهولة بالسكان منذ سنة 3000 ق.م. أمَّا اسم أُورشليم فوُجِد مسجَّلاً في نقوش الآثار الفرعونية منذ سنة 1900 ق.م.

مناطق الأسباط.

وبذلك وفَّرت له أُورشليم بحيادها الطبيعي ـ إذ لا تقع في حوزة أي من الأسباط ـ المركز الممتاز اللائق بعاصمة البلاد. لقد قوَّى داود حصونها وقلاعها وبنى فيها قصر داود. ولكن لم يسجِّل لنا التاريخ ولا الآثار كيف استولى داود على المدينة، ويرجِّح بعض العلماء اليهود أنه حاصرها ونفذ إليها من سرداب سري معمول أصلاً ليوصِّل المياه من نبع جيحون إلى ما داخل سور المدينة[3] (2صم 7:5). ولكن المعروف أن داود دخلها بقواته الخاصة واستولى عليها ولذلك دُعيت عن حق **مدينة داود**، سقطت في يده بعد أن ظل الإسرائيليون 200 سنة عاجزين عن أن يطرقوا أبوابها لأنها كانت أكثر البلاد حصوناً ومناعة!! فاضطر بنو يهوذا أن يساكنوهم فقط! ولكن من المحقَّق أن داود لم يذبح اليبوسيين كالعادة ولم يطردهم أيضاً، ولكن عمل على تدفق شعب إسرائيل ليصيروا الأغلبية السكانية فيها على ممر السنين وبالأخص جداً بيت داود.

وأدرك داود أن سلطانه على الأسباط يقوم أساساً على صلته الروحية بالله، كما أدرك أنه يستحيل على عاصمة إسرائيل أن تستمد قيمتها من ملك أو من جيش، لذلك أسرع داود ونقل إليها تابوت عهد الله من قرية يعاريم حيث بقي فيها منسياً لأكثر من جيل كامل[4] (1صم 2:7). وقد قام داود بتقوية حصونها وقلاعها، وبنى فيها قصراً له استحضر له متخصصين من الفينيقيين. واشتهى داود أن يبني فيها هيكلاً للرب، ولكن الله رفض طلبه بسبب الدماء التي لوَّثت يديه. فلم يثنِ ذلك داود عن عزمه، فقام باستحضار

---

(3) J. Bright, *A History of Israel*, p. 195 note.

(4) الجيل يُحسب من ولادة الإنسان إلى أن يلد إنساناً.

كل ما يلزم بناء هيكل الله من جميع المواد من أماكنها البعيدة، ومن كثرة تشوّقه واهتمامه بشكل البيت أراه الله تكويناته، فأملاها على ابنه سليمان.

وتطل أُورشليم على ثلاثة أودية: وادي قدرون Kedron من الشرق، ووادي هنوم Hinnom من الجنوب، ووادٍ في الوسط يسميه المؤرِّخ يوسيفوس اليهودي وادي تيروبيون Tyropeone. ولم يحاول داود أن يوسِّع رقعة المدينة بسبب انشغاله بالحروب، ولكنه اكتفى بتقوية أسوارها وحصونها وبنى فيها بيته الخاص ونقل إليها كل عائلته: «وأقام داود في الحصن وسمَّاه مدينة داود، وبنى داود مستديراً من القلعة فداخلاً.» (2صم 9:5)

والمدينة في وسط فلسطين تقوم على هضبة مرتفعة 2500 قدم فوق سطح البحر، وقسمها الشرقي المرتفع كان اسمه عوفل (أي الأكمة) Ophel، أمَّا قسمها الغربي فصار اسمه فيما بعد صهيون.

ومعروف أن داود بعد حروبه المعروفة بقيت أمامه بلاد كثيرة جداً للكنعانيين وغيرهم، لم يحاربها ولكنها لما كانت تحت سلطان الفلسطينيين الذين فقدوا سطوتهم وسيادتهم على البلاد، انتقلت هذه البلاد بسهولة من ولائها للفلسطينيين إلى داود، وازدادت الرابطة جداً بينها وبين إسرائيل حتى بالنهاية ذابت في نسيجها[5].

وبهذا، وفي أوائل عصر داود، تمَّ لإسرائيل السيادة على كل الأرض. ولكن بسبب وجود هذه الشعوب الغريبة، كان الاحتكاك الاجتماعي والديني وتسرُّب العادات والأخلاق والسلوك لشعب إسرائيل فيه مضرة وإتلاف لمستقبل إسرائيل أشنع من الحروب وخسائرها.

---

(5) J. Bright, *A History of Israel*, p. 197.

حروب داود خارج أرض إسرائيل:

(أ) **عبر الأُردن وفي الشمال والجنوب:**

شاء أو أبى، كان على داود ليثبت مملكته أن يقع في حروب دامية مع كل من العمونيين والأراميين (2صم 10)، ولكنه لم يخرج في هذه الحروب بل أوكلها لقواده الأقوياء. وانضم الأراميون إلى العمونيين لتشديدهم ضد داود، ولكن، وبقيادة يوآب أخضعهم وكسرهم، ثم عاد وحاصرهم. وأثناء هذا الحصار وقع داود ـ وهو في أُورشليم وهو آمنٌ في قصره ـ وقع صريعاً تحت يد الشيطان (2صم 11:2)، إذ اغتصب امرأة أحد الجنود وهو غائب في الحرب. ثم عاد وأسقطه الشيطان في المعركة الثانية إذ أوصى باغتيال زوجها فاغتالوه. وهكذا سجَّلت عليه السماء نقطة سوداء، وأبى الله إلاَّ أن يدفع داود ثمنها:

+ «أنت هو الرجل!! هكذا قال الرب إله إسرائيل، أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل ... لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه. قد قتلت أوريا الحثي بالسيف، وأخذت امرأته لك امرأة، وإياه قتلت بسيف بني عمون. والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ...!!» (2صم 12: 7ـ 10)

وتركت هذه الخطية الحزينة آثارها على تاريخ إسرائيل، وربما على تاريخ الكنيسة إلى الأبد، بالسلب والإيجاب، لأن داود وقع على الأرض حزيناً نادماً وألَّف مزمور التوبة الشهير: «**ارحمني يا الله حسب رحمتك**»، الذي لا يزال كل مسيحي يتلوه وتتلوه الكنيسة في أول كل صلاة على مدى اليوم وكل الأيام والسنين!!

وانكسر **العمونيون** ووقعوا تحت العبودية والولاء لإسرائيل كل أيامهم، وأخذ داود تاج ملك العمونيين وصار يلبسه دائماً ليكون لا ملكاً على

اليهودية وإسرائيل فحسب، بل وعلى العمونيين أيضاً(6):

+ «وكان لما جاء داود إلى محنايم (بلاد عمون) أن شوبي بن ناحاش من ربة بني عمون وماكير بن عميئيل من لودبار وبرزلاي الجلعادي من روجليم قدَّموا فرشاً وطسوساً وآنية خزف، وحنطة وشعيراً ودقيقاً وفريكاً وفولاً وعدساً وحمصاً مشوياً، وعسلاً وزبدة وضأناً وجبن بقر لداود للشعب ...» (2صم 17: 27-29)

وأضاف داود إلى ملكه المنطقة الجنوبية من عبر الأُردن بغزو موآب وأدوم، وأنهى داود هذه الحرب بموقعة حاسمة أنهى فيها على الأدوميين في العربة جنوب البحر الميت، ولكن في قسوة مريعة:

+ «وضرب الموآبيين وقاسهم بالحبل، أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وبحبل للاستحياء، وصار الموآبيون عبيداً لداود يقدِّمون هدايا.» (2صم 8:2)

+ «وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات. فأخذ داود منه ألفاً وسبع مئة فارس وعشرين ألف راجل ... فجاء أرام دمشق لنجدة هدد عزر ملك صوبة فضرب داود من أرام اثنين وعشرين ألف رجل. وجعل داود محافظين في أرام دمشق **وصار الأراميون لداود عبيداً يقدِّمون هدايا.**» (2صم 8: 3-6)

+ «وحدث لما كان داود في أدوم عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن

(6) «وأخذ تاج ملكهم (العمونيين) عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب من حجر كريم، وكان على رأس داود.» (2صم 30:12)

وقد عثر موشى ديان بالقرب من ''عمان'' على قطعة أثرية عبارة عن تمثال لرأس الملك وعليه تاج من الحجر، وبالبحث وُجِدَ زمنه هو نفس زمن داود النبي وله مسحة بني عمون.

القتلى، وضَرَب كل ذكر في أدوم، لأن يوآب وكل إسرائيل أقاموا هناك (في أدوم) ستة أشهر حتى **أفنوا كل ذكر في أدوم**...» (1مل 11: 15و16)

وأرسل داود جيش احتلال وحكَّاماً ليحكموا أدوم المهزوم.

ب ـ داود يغزو سوريا:

لم يكن حبًّا في التوسُّع ولا لمهاجمة سوريا (دمشق) بالذات، ولكن كان يتعقَّب ملك صوبة هدد عزر الذي أعان العمونيين وهرب منه إلى دمشق (2صم 8: 3ـ8)، وترأس هناك على جماعة من السوريين البدو[7]، فانقضَّ عليه داود بجيشه بغتة وانتزع منه انتصاراً ساحقاً، واستولى على معظم المركبات الحديدية التي للأراميين التي كسَّرها ولم يستخدم منها إلاَّ بعض الخيول. وامتد داود بجيشه في سوريا وهزم كل قوات الأراميين في دمشق، كل الذين كانوا في جيش هدد عزر. وأبقى في دمشق قوة وضمها لمملكة إسرائيل وأخضعها لحكمه. واستولى داود على كل النحاس الذي كان بحوزة مملكة هدد عزر والذي كانت تنتجه مناجم النحاس في شمال سوريا في كل البلاد المذكورة في (2صم 8:8، 1أي 8:18) وهي بيروثاي Berothai وبلدة طبحة Tebath وبلدة خون Cun وهي الواقعة بين لبنان وشمال حمص[8].

وتكوَّنت صداقة بين ملك حماه وداود وأعطاه هدايا. كما عمل داود معاهدة مع الملك حيرام ملك صور (1مل 1:5)، والذي كان ملكه بين سنة 969ـ936 ق.م حسب تحقيق الآثار، أي أنه يتداخل في زمن حكم داود (1000ـ961 ق.م) بمقدار ثماني سنوات.

(7) J. Bright, *A History of Israel*, p. 199.

(8) Ibid.

وهـذه الغـزوات والمعاهـدات والصـداقات كـان لهـا أثـر بـارز جـداً في اقتصـاديات إسـرائيل وتجارتهـا ومواردهـا، مـن المعـادن النفيسـة وغـير النفيسـة، والأخشـاب والرخـام، الـتي أكمـل بهـا سـليمان هيكلـه المشهور. كما استفاد من مدنيتها ونظمها وتدريب جيوشها وعمارتها وفنونها وإدارتها، واستعان بتأجير ما فيها من قواد على أعلى مستوى من الأمانة والخبرة، واتخذ منها نظام الكتبة في الدولة والمسجلين (2صم 16:8ـ18، 23:20ـ26). فنظم شكل الحكومة الإسرائيلية التي تولى العمل فيها قواد تحت رئاسته المباشرة دون رئيس آخر. أمَّا رئيس أركان الحرب فكان يوآب ضابطاً إسرائيلياً متمرساً خاض الحروب مع داود مرَّات كثيرة، فأوكل إليه قيادة القوات الأجنبية التي دخلت الجيش للخدمة، وأهمها الجنود الفلسطينيون. كما عيَّن داود وزيراً للإعلام (المنادي) وبالعبري (مزكير Mazker)، كما عيَّن سكرتيراً عاماً للحكومة (صوفير Sopher)، وتعيَّن اثنان من الكهنة للخدمة وافتاء الشعب هما صادوق وأبياثار، ثم أضاف عليهم أبناءه الذين أقامهم كهنة (2صم 18:8)، كما عيَّن مديراً عاماً لأعمال السخرة لتشغيل الأجانب في مؤسسات الحكومة ومعه رئيس جلادين لتوقيع العقوبات.

أمَّا خارج البلاد فقد عيَّن محافظين على مقاطعات البلاد الخاضعة للدولة ويعمل معهم قواد وجنود. وكان يحيط بداود فرقة حراسة مكونة من ثلاثين من القواد (كان اسمها الثلاثين وكان عددهم الفعلي سبعة وثلاثين) هُم حرس شرف مختارون من أعلى الرتب والشخصيات، وكانوا بمثابة لجنة المشورة لأمور الحرب، وقد وردت أسماؤهم في (2صم 23: 24ـ29).

وهكذا تأسست مملكة إسرائيل على يد داود كأعظم ما تكون الدولة، وعلى قياس أي دولة في عصرنا الحاضر، حتى يجوز أن نسميها امبراطورية

ذلك الزمان. وهي بهذا الامتداد شرقاً وشمالاً وجنوباً ـ وإن كانت تتضاءل جداً بجوار مملكة مصر ـ فقد ضمت إسرائيل كل أرض فلسطين وشرق الأُردن المعروفة الآن شرقاً وغرباً من صحراء العربة إلى البحر، وتمتد حدودها الجنوبية لتشمل كل النقب من خليج العقبة حتى وادي العريش المعروف قديماً بنهر مصر، وشمالاً لتشمل كل مناطق جنوب سوريا وأوسطها، ومن صور حتى قادش على نهر أورنتس إلى حماة في الصحراء. وفرض داود سلطانه على الأراميين وجعلهم تحت إدارته وفرض عليهم الجزية، فبلغت حدوده بواسطتهم حتى الفرات مروراً بدمشق وصوبة. فأخضع الأدوميين والعمونيين والأراميين (السوريين) والفلسطينيين، فارضاً عليهم أثقل الجزية، وسخَّرهم لصناعاته وتعمير دولته ومناصرته في حروبه.

وهكذا نقل داود إسرائيل من شعب أسباط منقسم ومتخاصم إلى مملكة متحدة تحت التاج يُخضعها لسطانه، وإنما من تحت إلهام الله المميز فيه والمستمد من احتفاظه بتابوت عهد الله رمز الحضرة الإلهية ورمز وحدة الأسباط الرسمية المقدَّسة.

وبالنهاية، لم يكن داود ملكاً فقط بل نبيًّا مُلهماً، أحبه الله منذ صبوته، وسكب من روحه عليه بغزارة، فكان شاعراً ومؤلِّفاً وموسيقياً بارعاً. والله هو الذي اختاره ملكاً على إسرائيل، وصموئيل عظيم الأنبياء هو الذي مسحه بقرن الدهن. لقد تكلَّم الله على فمه فنطق مزاميره بالروح القدس، وتنبأ عن المسيح الذي جاء من نسله حسب الجسد.

لقد أورث داود لإسرائيل أعظم مملكة روحية قامت في العهد القديم، قامت على عبادة الله الواحد الحي القدوس، وأورثت إسرائيلُ بالتالي العالمَ كله هذا الإرث الغالي. كما أورث داود اسمه بل روحه لشعب إسرائيل كنبي

وشفيع أمام الله في الضيق: «**يا إله داود**» (2أي 3:34). وكم من المرات نسمعها من الله على فم الأنبياء: «من أجل داود عبدي (أعفو) ...» (1مل 12:11، 32:11، مز 10:132)

لقد أحب داود الله حبًّا يعجز عن أن يدانيه أعظم متصوفي العالم. وبالرجوع إلى مزامير داود نرى داود على حقيقته عملاقاً في الصلاة والتسبيح، يقوم لينشد مزاميره في نصف الليل وقبل الفجر وسبع مرَّات في النهار مع السهر والصوم. وها هي مزامير التوبة كلها بكاء ودموع وحسرة وتوجُّع على الخطية، مع رجاء لا ينقطع في رحمة الله ولطفه وإحسانه، بتواضع ملك يُخجل الأطفال الصغار، وتوسُّل منسحق لا يدانيه أخطى الخطاة.

وبالنهاية، كان داود رائداً لجيله ولأجيال كثيرة قادمة في كل شيء! لقد سخَّر موهبته الشعرية منذ صباه لتأليف المزامير التي صارت كنز الصلاة العالمي، وسخَّر موهبته الموسيقية لتسبيح القدير بالنغم مع الكلمة إلى مستوى الإلهام! وسخَّر رقة حبه للتعبير عن أسمى علاقات الإنسان مع الله! وصالح قوة بأسه بعمق سخائه مع أعدائه، نسى رقة طباعه أمام سيف العدالة، وباع نفسه لأصدقائه.

وكأنما أعاد الله تشكيله لداود مرَّات ومرَّات ليلائم كل المواقف، ويتناغم ومسرَّة مشيئته. لقد ألقى الله ظلَّه على داود ليرى فيه إسرائيل صورة المسيَّا، المخلِّص الآتي:

+ «لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه.» (أع 36:13)

❋❋❋

6 – سليمان يرث المُلك ويبني الهيكل

(961–922 ق.م)

ثالث ملك على إسرائيل، ولكن أول ملك بالميراث، وهو ابن داود من بشبع، وقد مسحه صادوق الكاهن مع ناثان النبي على عين جيحون وأركبه بغلة الملك داود وأعلن جلوسه على العرش (1مل 33:1). ويسميه الوحي الإلهي بفم ناثان النبي يديديًّا Jadidia أي محبوب الله (2صم 25:12)، واسمه بالعبري يُنطق هكذا سيلوموه Selomoh ويعني سلامي أو ابن السلام. لم يظهر اسمه في الكتاب في كل روايات داود إلاَّ في أواخر أيام داود مع أنه وُلد في بدء حكم أبيه، لذلك ظلت شخصيته غير واضحة تماماً في الكتاب.

لقد تولَّى سليمان المملكة من أبيه وهي شبه موحَّدة بين إسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب. ولكن كان بعض الشعب المحافظين غير راضين عن هذا الأسلوب في ضم الأسباط وتوحيد المملكة، إذ اعتبروا هذا خروجاً عن النص الإلهي الذي كان قد حدده الله بحكم الأسباط كل سبط يحكم نفسه، إذ وجدوا في ذلك معنى للحرية والأصالة. كما رأوا أن توحيدهم يكون بوجود الله كمدبِّر بواسطة مجرَّد قائد مثل موسى وليس ملك يحكم عوض الله ... فكان سليمان غير محبوب من التقليديين كما كان داود أبوه، وخاصة من بني إسرائيل في الشمال الذين هم غرباء عن سبط يهوذا المتملِّك. ولم يكن هذا الفكر إلاَّ ترديداً لصوت الله بفم صموئيل النبي:

+ «فكلَّم صموئيل الشعب ـ الذين طلبوا منه ملكاً ـ بجميع كلام الرب وقال: هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم، يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبهِ. ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده ويعملون عُدَّة حربه وأدوات مراكبه. ويأخذ بناتكم عطَّارات وطبَّاخات وخبَّازات. ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده. ويعشِّرُ زروعكم وكرومكم ويُعطي لخصيانه وعبيده، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبَّانكم الحسان وحميركم ويستعملهم لشغله، ويعشِّرُ غنمكم وأنتم تكونون له عبيداً.» (1صم 8: 10ـ17)

وهكذا لم يجد داود ولا سليمان القبول الكلي من الشعب، وذلك بالرغم من الحكمة التي وهبها الله لسليمان بسخاء:

+ «هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك.» (1مل 12:3)

ولاية العرش:

اعتلى سليمان العرش بناء على وصية داود كوريث للتاج، ولكنه لم يجلس على كرسي المملكة إلاَّ بصعوبة وبعد تصفيات جسدية ودموية من الذين كانوا يطالبون بالعرش عن أحقية كابن داود الأكبر، أو عن طموح مثل قواد الجيش: أبنير.

- فأبشالوم ثالث ابن لداود كان أول طامح للعرش في عز صولجان أبيه، وقام بثورة وانقلاب ضد أبيه وهو حي، فهرب داود من وجهه وترك المملكة وأُورشليم وعبر الأُردن لا خوفاً منه ولكن ابقاءً على حياته. ولكنه مات بيد الله ومن سهم مرق في وسط قلبه على يد يوآب قائد قوات داود (2صم 18: 14و15).

خريطة توضِّح علاقات الملك سليمان السياسية والاقتصادية بالدول المحيطة

- وكذلك أبنير قائد قوات شاول إذ كان يطلب الملك بحسب رؤية يوآب، فاغتاظ يوآب عليه وقتله: «أنت تعلم أبنير بن نير أنه إنما جاء ليُمَلِّقك وليعلم خروجك ودخولك وليعلم كل ما تصنع. ولما رجع أبنير إلى حبرون مال به يوآب إلى وسط الباب ليكلِّمه سرًّا، وضربه هناك في بطنه فمات. »(2صم 3: 25ـ27)
- كذلك أدونيا الابن الرابع لداود حاول اغتصاب الملك: «ثم إن أدونيا بن حجيث (زوجة داود) ترفَّع قائلاً: أنا أملك» (1مل 1:5). واستعان بيوآب قائد قوات جيش داود وأبياثار الكاهن، ولكن باءت محاولته بالفشل.

أمَّا الملك سليمان فبعد أن استوى على عرشه، وبعد أن هادن أدونيا مدة، عاد أدونيا وخان العهد « فأرسل الملك سليمان بيد بناياهو بن يهوياداع فبطش به فمات.» (1مل 2:25)

ثم جاء الدور على يوآب بن صرويه القائد السابق على جيش داود ـ وهو ابن أخت داود الملك الذي أوصى داود بقتله لأنه قتل ابنه أبشالوم وقتل أبنير رئيس جيش شاول وعماسا رئيس جيش يهوذا، وكذلك حاول أن يُسقط داود عن عرشه.

أمَّا أبياثار الكاهن الذي أوصى أيضاً داود بقتله فيظهر ذلك في الحديث الساخر الذي تمَّ بين سليمان وبشبع أُمه، وهي تتشفَّع لأدونيا أخي سليمان: «فأجاب الملك سليمان وقال لأُمه: ولماذا أنتِ تسألين أبيشج الشونمية لأدونيا. فاسألي له الملك؟ لأنه أخي الأكبر مني؟؟؟ له ولأبياثار الكاهن وليوآب بن صرويه!! »(1مل 2:22). «فهرب يوآب إلى خيمة الرب وتمسَّك بقرون المذبح ... فأرسل سليمان

بناياهو بن يهوياداع ... فصعد وبطش به وقتله.» (1مل 2: 28و34)

وورث بناياهو رئاسة قيادة الجيش على إسرائيل خلفاً له.

أمَّا أبياثار الكاهن فاكتفى سليمان بإسقاطه من درجته الكهنوتية ونفيه إلى منطقة نائية لا يتخطَّاها: «وقال الملك لأبياثار الكاهن اذهب إلى عناثوث إلى حقولك لأنك مستوجب الموت ولست أقتلك في هذا اليوم.» (1مل 2:26)

ويقول الكتاب في نهاية هذه التصفية الجسدية لكل الأشخاص الذين كانوا يتهددون الملك هكذا: «وتثبت الملك بيد سليمان.» (1مل 2:46)

السياسة الخارجية لسليمان:

(أ) **علاقة مصاهرة بين مصر الفرعونية وإسرائيل:**

لم يكن يشغل بال سليمان شيء في الداخل بعد أن صفَّى المقاومين لولايته على إسرائيل، ولا حتى من الخارج، فقد ترك له داود أفضل وأقوى العلاقات مع الدول الصديقة وحتى الأعداء، إذ كانوا يدفعون الجزية ويعملون لحساب أمن إسرائيل ونموها. وهكذا اتجه سليمان إلى تأمين مملكته بتكوين علاقات رسمية بالمصاهرة مع نبيلات الأسر المالكة فيما حوله. وأول ما التفت سليمان التفت إلى مصر الجارة القوية التي كان يطمع أن يصادقها وينقل عنها ما كان ينقصه في نظام الدولة ووسائل النهوض بها. فصاهر فرعون مصر، وهو على ما يُظن سيامون Siamun الذي جاء بعد الأسرة الحادية والعشرين الضعيفة. وقد أكرم سليمان ابنته جداً فبنى لها بيتاً (رواقاً) خاصاً بها (1مل 7:8). كما أراد أبوها الفرعون أن يهديها هدية في عرسها: «فصعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاها مهراً لابنته امرأة سليمان.» (1مل 9:16)

(ب) معاهدة صداقة مع حيرام[1] ملك صور وصفقة تجارية ضخمة:

هذه من محاسن التركة التي تركها داود لسليمان ابنه:

+ «وأرسل **حيرام** ملك صور عبيده إلى سليمان لأنه سمع أنهم مسحوه ملكاً مكان أبيه، لأن حيرام كان محباً لداود كل الأيام. فأرسل سليمان إلى حيرام يقول ... وهأنذا قائل (قد نويت) على بناء بيت لاسم الرب إلهي كما كلَّم الرب داود أبي ... والآن فأمرُ أن يقطعوا لي أرزاً من لبنان ويكون عبيدي مع عبيدك ... فلما سمع حيرام ... أرسل قائلاً ... أنا أفعل كل مسرتك في خشب الأرز وخشب السرو ... وأعطى سليمان حيرام عشرين ألف كرُ حنطة طعاماً لبيته وعشرين كرُ زيت رض ... سنة فسنة. وكان صلح بين حيرام وسليمان وقطعا كلاهما عهداً.» (1مل 5: 1ـ12)

أمَّا مدينة صور فكانت عاصمة فينيقية ـ أي لبنان ـ وكان تأسيسها على يد الصيدونيين واللبنانيين سنة 2000 ق.م.

كذلك كان من حسنات داود أنه ترك لسليمان ذخيرة آدمية هائلة من العبيد الذين أخضعهم من كافة الأجناس فكانوا تحت السخرة أي العمل المجاني نظير الأكل فقط:

+ «وسخَّر الملك سليمان من جميع إسرائيل وكانت السُّخَرُ ثلاثين ألف

---

(1) هو حيرام الأول حكم من سنة 969ـ939 ق.م وعلى مدى قرن واحد من الزمان بعد حيرام الأول امتدت سلطة أحفاده في البحر إلى قبرس وسردينيا وأفريقيا وأسبانيا حتى جزر بريطانيا حيث مناجم النحاس التي اكتشفت وغيرها من المعادن. وسميت هذه البلاد ببلاد ترشيش في الكتاب المقدَّس (انظر خريطة صفحة 77 بكتاب أطلس *Biblical Lands*).

J. Bright, *A History of Israel*, p. 208.

رجل، فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر بالنوبة، يكونون شهراً في لبنان وشهرين في بيوتهم، وكان أدونيرام على التسخير. وكان لسليمان سبعون ألفاً يحملون أحمالاً وثمانون ألفاً يقطعون في الجبل ما عدا رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاث مئة المتسلطين على الشعب العاملين العمل ...» (1مل 5: 13ـ16)

ويُلاحَظ هنا أن سليمان لما وجد نقصاً في العمالة من الذين تحت السخرة من الأجانب بدأ بتسخير شعب إسرائيل، فكانت نقطة سوداء في تاريخ سليمان لاستعباده الإسرائيليين الأحرار الذين قد منع الرب استعبادهم لبعض بأي صورة.

+ «وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة حجارة كريمة لتأسيس البيت ... وهيأوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت.» (1مل 5:18)

وهكذا وبواسطة هذه المعاهدة فتح سليمان طريق التجارة وتبادل السلع والمحاصيل إلى خارج البلاد، واستيراد المعادن والأخشاب.

وبرع سليمان في التجارة واختص في تجارة المركبات الحديدية وتربية الخيول، فكان يشتريها من مصر وكيليكية من شمال أسيا الصغرى حيث تُربَّى أحسن الجياد، حيث ثمن الحصان مائة وخمسون شاقل فضة. واشترى أيضاً المركبات الحديدية من مصر وكان ثمن المركبة ستمائة شاقل فضة، وكان يبيعها لملوك الحثيين وملوك أرام في دمشق (1مل 10: 28و29).

وقد بنى سليمان بمساعدة الفينيقيين أسطولاً بحرياً كبيراً على البحر الأبيض، وهو أسطول ترشيش مع أسطول حيرام، وآخر للبحر الأحمر قاعدته مدينة عصيون جابر في خليج العقبة. فكانت الحمـــلات البحريـــة تُبحـــر

إلى اليمن وأوفير (الصومال) وسبا (عدن) وأثيوبيا مرَّة كل ثلاث سنوات لاستحضار الذهب والفضة والنحاس والبخور والعاج والقرود والطواويس (1مل 26:9، 22:10).

وكان من الضروري أن يقوم سليمان بتأسيس مدن بأكملها للمخازن، واسطبلات للخيول، لأنه تمادى جداً في اقتنائها، فكان له ألف وأربعمائة مركبة، واثنا عشر ألف فارس، وكانوا يقيمون في مدن المراكب ومع الملك في أُورشليم.

وأسَّس سليمان نظام الضرائب على شعب إسرائيل، بالإضافة إلى الجزية التي كانت تأتيه من المدن والشعوب الخاضعة لسلطانه.

وقسَّم شمال إسرائيل (لم يذكر يهوذا) إلى اثني عشر محافظة أو إقليم أقام عليها اثني عشر وكيلاً، كل وكيل كان عليه تقديم كل تموينات ومستلزمات الملك وكل بيته شهراً. وهكذا على مدار السنة تغطِّي الميزانية للصرف من كافة الوجوه (1مل 7:4و22و23).

وقد وحَّد سليمان البلاد تحت مظلة الاكتفاء الاقتصادي بل والغنى حتى عمَّ الفرح البلاد كلها:

+ «وكان يهوذا وإسرائيل كثيرين كالرمل الذي على البحر في الكثرة يأكلون ويشربون ويفرحون.» (1مل 20:4)

وقد اكتُشف حديثاً نظام التدبير أو الاقتصاد المركزي للبلاد ـ بحسب ما وُجد في بيت شمس التي كانت من نصيب سبط دان ـ إذ اكتُشف فيها مقر المدبِّر أو القائد أو الوكيل العام الذي كان موكَّلاً عليها واسمه "ابن ديكر" أو

دِقَر(2). وبجوار مركزه وجد مبنى ضخم عبارة عن دهاليز سميكة الحوائط وأسقف عالية هي عبارة عن المخازن التي يُجمع فيها المحاصيل، وهي عينة من مدن المخازن التي جاءت في الكتاب، كما وجد في لاخيش نفس الطراز.

ولكن باستطلاع زمن هذه المخازن من الشقافة والحفائر وُجد أنها من زمن داود. ومن هذا ندرك تماماً لماذا جاء في تاريخ سليمان أنه قام ببناء مدن المخازن في الشمال أي في إسرائيل ولم يذكر يهوذا، هذا لأن داود كان قد استكمل بناء هذه المخازن في أيامه(3).

وقد تقدَّم سليمان في التنظيمات الإدارية عن داود أبيه، فقد اعتنى جداً بالتسجيلات واستحضر الكتبة المتخصصين لذلك، وخصَّص عملهم بدقة «وبقية أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته أمَّا هي مكتوبة في سفر أمور سليمان» (1مل 41:11). وللأسف ضاعت هذه السجلات كلها.

وهذا التقدُّم الحضاري الهائل طفر بالشعب الإسرائيلي طفرة كبرى وضعته في مستوى حضارات الدُوَل القديمة، وصار للشعب أدب خاص به، ولكنه يغلب عليه الطابع التاريخي التمجيدي الذي يحمل إحساسهم المتفوِّق في العبادة والحروب بما يفوق فعلاً مثيلات إسرائيل من الأُمم الحضارية في هذا الزمان. فقد دوَّن الكتبة في عصر سليمان كل تاريخ أعمال داود وبطولاته (سفر صموئيل الثاني من الأصحاح 9ـ20)، وكذلك أعمال سليمان وعظمته ـ بجوار ما توارثوه من مدوَّنات وتقاليد الآباء البطاركة وأعمالهم، وأعمال يوسف في مصر، وموسى في البرية، وأعمال ـ الله ـ يهوه مع شعبه ووعوده

(2) Ernest Wright, *Biblical Archaeology*, p. 76.
(3) Ibid. p. 77.

التي كانت مصدر قوة وإلهام الشعب مدى الأجيال. وقد تدوَّنت حكمة سليمان مع أعماله وكذلك سفر الأمثال مع التأثر بكل من مصر والعرب وأدوم.

كما طوَّر سليمان أعمال الموسيقى وتأليف التسابيح داخل الهيكل، وأضاف وحسَّن في نوعيات آلاتها (1مل 12:10). وكان لتأثير الفنون الفينيقية نتيجة كبيرة في الارتفاع بمستوى الموسيقى[4].

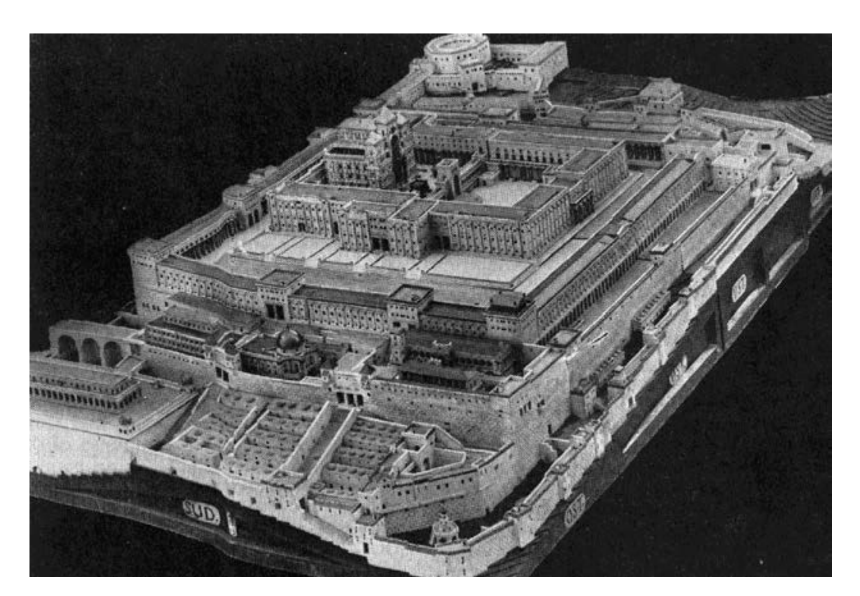
ويُلاحَظ أنه لما ارتفعت مصاريف سليمان الملك لسبب اتساع أعماله، أنه اضطر إلى رفع الجزية والضرائب بصورة عنيفة، مما دعا الجزء الشمالي للبلاد ـ إسرائيل ـ أن يطالب رحبعام بن سليمان ـ الذي ورث الملك بعد أبيه ـ أن يخفض الجزية، فرفض. فكانت بداية انهيار المملكة المتحدة إلى مملكة منقسمة، في الشمال إسرائيل وفي الجنوب يهوذا:

+ «إن أباك قسَّى نيرنا وأمَّا أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك ... فأجاب الملك الشعب بقساوة ... أبي ثقَّل نيركم وأنا أزيد على نيركم ... فلما رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع لهم ... أرسلوا فدعوا (يربعام) وملَّكوه على جميع إسرائيل (في الشمال).» (1مل 12: 1ـ20)

ولما ساءت الحالة المالية بالأكثر اضطر سليمان أن يبيع من أرض مملكة إسرائيل بعض المدن لملك حيرام:

+ «أعطى حينئذ الملك سليمان حيرام عشرين مدينة في أرض الجليل ... وأرسل حيرام للملك مائة وعشرين وزنة ذهب.» (1مل 9: 11ـ14)

(4) J. Bright, *A History of Israel*, pp. 215-216.



صورة توضِّح نموذج إعادة بناء هيكل سليمان بواسطة العالِم شيك Shick

هيكل سليمان:

لقد بلغ سليمان القمة في الغنى وفاضت البلاد بالخيرات المحلية والمستوردة، ونشطت التجارة لتعم معظم المنطقة شرقاً وشمالاً وجنوباً وغرباً. وعمَّ السلام والأمان والكفاية بدرجة مدهشة لم تبلغها إسرائيل قبلاً ولن تَبْلُغها بعدُ!! واتسعت أُورشليم جداً عمَّا كانت عليه. وأقام سليمان العديد من البلاد والمباني في كل إسرائيل. وهكذا جاء بناء الهيكل كتاج على قمة حضارة البلاد المعمارية.

أمَّا المكان الذي أُقيم عليه الهيكل فهو أصلاً من اختيار الله، وهو جبل المريَّا: «فقال له: إبراهيم. فقال هأنذا! فقال: خُذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى **أرض المُريَّا** واصعده هناك محرقة **على أحد الجبال الذي**

أقول لك ... وفي اليوم الثالث رفع عينيه وأبصر الموضع من بعيد» (تك 22: 1ـ4). وهذا الموقع عينه امتلكه أحد أبناء اليبوسيين فيما بعد، وعمل فيه جرن (بيدر) للحصاد، وقد اشتراه منه داود وبنى فيه مذبحاً:

+ «وكان ملاك الرب عند بيدر أرونة اليبوسي ... فجاء جاد (النبي) في ذلك اليوم إلى داود وقال له: اصعد وأقم للرب مذبحاً في بيدر أرونة اليبوسي.» (2صم 24: 16و18)

+ «وبنى داود هناك مذبحاً للرب، وأصعد محرقات وذبائح سلامة، واستجاب الرب من أجل الأرض فكفَّت الضربة عن إسرائيل.» (2صم 25:24)

وقد سمِّي هذا المرتفع فيما بعد "**صهيون**".

لقد ابتدأ بناء الهيكل في السنة الرابعة لملك سليمان سنة 959 ق.م، وأكمل بناءه بعد سبع سنوات على أيدي المهندسين الفينيقيين (اللبنانيين) (1مل 14:6). ودشَّنه سليمان بنفسه باحتفال مهيب، وتمَّمَ الهيكل غرضين هامين للغاية: الأول وحدة الأسباط أي شعب إسرائيل وخاصة بين يهوذا في الجنوب وإسرائيل في الشمال، بالإضافة إلى أنه رمز الملوكية في علاقتها بالله! لذلك فالكاهن الأعظم كان يعيِّنه الملك فيصير في الحال عضواً في حكومته.

أمَّا طقوس العبادة داخل الهيكل فهي إسرائيلية صرف. وصارت العبادة في الهيكل الميراث الثمين الذي احتفظ به الشعب اليهودي في عمق أعماق كيانه الروحي والنفسي إلى مدى الأجيال.

وكان الهيكل مقراً دائماً لخزائن الملك والدولة وجميع مقتنياتها الذهبية والفضية الثمينة.

لقد صار هيكل سليمان عجيبة من عجائب الدنيا في عظمة مبناه ومعناه: «بيت الله» و «بيت الصلاة» وكان أهم ما فيه بالنسبة للعالم هو رواق الأمم!! فكل أُمم العالم مدعوة أن ترى وتسمع من بعيد العبادة والصلاة لله. وكان هذا الرواق آخر ما فيه والأقل أهمية في نظر إسرائيل، ولكنه كان هو أهم ما فيه بالنسبة لله. وكأن الله أقام الهيكل بواسطة اليهود ليرثه العالم كله، لا من حيث شكله وهندسته ومبناه، ولكن من حيث هدفه وجوهر رسالته كبيت الله للصلاة.

لقد ضاعت كل معالم هندسة الهيكل، واندثرت مع اندثاره كل آثاره، ولم يستطع أعظم عظماء المهندسين والمنقبين أن يستردوا أي شكل من أشكاله، إلاَّ ما بقي من أوصافه المدونة في الكتاب المقدَّس. ولم يكن هذا مصادفة؛ بل عن قصد إلهي محكم ومبيَّت حتى لا يكون لبيت الله شكلٌ محدَّد يُستعبد له الإنسان.

لقد أدرك سليمان ذلك تماماً، إذ حسب أن هذا الهيكل بكل عظمته وكل أسراره وأسمائه وصفاته ومشتملاته لا علاقة له بسكنى الله شخصياً فيه، وحاشا جداً لله ساكن السموات العُلا أن يسكن في بيت مصنوع بالأيادي:

+ «والآن يا إله إسرائيل، فليتحقَّق كلامك الذي كلَّمت به عبدك داود أبي. لأنه هل يسكن الله حقًّا على الأرض. هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك، فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت. فالتفت إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه أيها الرب إلهي واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك اليوم. لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً ونهاراً، على الموضع الذي قلت إن اسمي يكون فيه لتسمع الصلاة التي يصليها عبدك في هذا الموضع. واسمع تضرُّع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلون في هذا الموضع، واسمع أنت في موضع سكناك في السماء،

وإذا سمعت فاغفر.» (1مل 8: 26-30)

أي أن الذي يوجد في هيكل الله حقًّا وبالفعل هو "**اسم الله**"، لا في المكان إنما في أفواه الناس وقلوبهم**!!** أمَّا الكلمة التي حيَّرت وأضلت كثيراً من الناس فهي كلمة ''يسكن'' بمعنى أن الله يقيم شخصياً في الهيكل ـ كما يقيم الصنم جالساً في هيكله ـ حاشا ـ فهي كلمة مفهومة خطأ، وهي مشتقة أصلاً من كلمة shakan شاكان، أي يسكن، ومنها اشتُقَّت كلمة "**شاكيناه**" و"**سَكِينَة**" أي حضرة الله، والهدوء والسلام الذي يتأتى من حضرة الله. هذه الكلمة العبرية هي واردة أصلاً في استخدام البدو الرُّحَّل غير المقيمين بمعنى "**خيمة**" و"**يُخيِّم**". وهنا يقتصر المفهوم على الوجود المؤقَّت مثل الوارد في مفهوم ''خيمة الاجتماع''، أي وجود الله المؤقت مع الناس وليس الإقامة الدائمة. فبمجرَّد ذكر اسم الله في الصلاة بالعبادة القلبية الصادقة والمخلصة، فالله يتراءى ويوجد، أو بالحري وبالأصح يتجلَّى، بمعنى أن الله الموجود في كل الوجود يعلن وجوده، أو يعلن نفسه للمصلِّي الذي ينادي ويدعو باسم الله.

ولقد أضفى الهيكل على أُورشليم بالتالي مسحة المدينة المقدَّسة بكل معنى وبكل ما يمكن أن يتصوره العقل، حتى صارت أُورشليم بحجارتها ومبانيها وشوارعها وأسوارها مقدَّسة في إحساس الأجيال كلها. لقد اختصت أُورشليم وحدها دون كافة بلاد إسرائيل بذبيحة الشكر أو السرور وبذبح خروف الفصح. فلا يحل ولا يصلح أن يُذبح الفصح إلاَّ داخل أسوار أُورشليم. يأتيها العابد من كل مدن فلسطين، وبنو إسرائيل من كل أنحاء العالم ليذبحوا الفصح في أُورشليم. ومن أجل كرامة ذبح الخروف للفصح تُفتح البيوت كلها في العيد لكل الآتين من بعيد، من البلاد والسائحين من خارج البلاد، ليستريحوا ويجدوا المأوى والضيافة والترحاب ومكاناً للذبح ـ فالمنازل في أُورشليم لم

يكن يُسمح بتأجيرها فهي ملك الجميع!

ولم يكن يوجد في أُورشليم شيء نجس ولا يُسمح لجثة الميت أن تمكث فيها بعد الغروب، ولم يكن فيها قبور إلاَّ مقبرة بيت داود ومقبرة خلدة النبية. ولم يكن يُسمح فيها بتربية الحيوانات ولا الطيور، ولا إقامة الحدائق لئلاَّ تؤدي نفايات الأرض والعفن من الزرع إلى نجاسة الهواء. ولم يُسمح بإقامة الأفران فيها لئلاَّ يلوث دخانها الهواء!! لذلك بقدر ما يتصورها الآن شعب بني إسرائيل وهي أمامهم خربة، بقدر ما يسحُّون الدموع ويبلُّون أحجارها والأسوار.

ومن أقوال الربيين العجيبة والغريبة: [إن **الشاكيناه** بقيت ثلاث سنين ونصف على جبل الزيتون تنتظر توبة إسرائيل، يتردد صداها اطلبوا الرب مادام يوجد ادعوه فهو قريب، وعندما وجدت أن ذلك كله بلا فائدة عادت الشاكيناه إلى مقرها][5]. لقد عادت الشاكيناه (حضرة الله) إلى مكانها وقد كان، فسقطت المدينة العظيمة أُورشليم ومعها الهيكل العجيب المهيب حتى الأرض وحتى التراب!!

أمَّا الرد المسيحي ومعه القول الصحيح فكان في فم المسيح: «لأنكِ لم تعرفي زمان افتقادكِ» (لو 44:19). وكان المسيح أول الباكين على خرابها وخراب الهيكل!! «وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها.» (لو 41:19)

ولم ينجُ هذا الهيكل بكل قداسته المظهرية، المضفاة عليه من أفكار وتصورات الربيين، من التخريب والنهب على ممر العصور. وكانت أول غارة عليه للنهب في أيام رحبعام بن سليمان سنة 922ـ915 ق.م على يد شيشق فرعون مصر (1مل 26:14). كما نُهب على يد ملوك إسرائيل أنفسهم

---

(5) Edersheim, *The Temple*, pp. 17,18.

لشراء أعوان أو دفع جزية. أمَّا آخر غارة نهب وسلب فكانت على يد نبوخذنصر سنة 587 ق.م حيث تخرَّب الهيكل أيضاً ونُهب كل ما فيه مع كل المسبيين من سكان البلاد إلى بابل، ولكن عند عودة المسبيين أعطاهم كورش ملك بابل أمراً ملكياً بالبناء سنة 537 ق.م تقريباً، وأعطاهم جميع آنية الهيكل ولكن بدون تابوت عهد الله الذي ضاع ولم يوجد له أثر. وهكذا كان بناء الهيكل الثاني الذي دام أكثر من 500 سنة! ولكن تمَّ تخريب الهيكل مرَّة أخرى على يد أنطيوخس السلوقي ملك سوريا وهو أنطيوخس إبيفانُس (175ـ163 ق.م) الذي نهب كل ذخائره وأقام فيه رجسة الخراب، أي بنى فيه مذبحاً للأوثان في 15 ديسمبر 167 ق.م. ولكن عاد المكابيون وأعادوا تطهيره والعبادة فيه سنة 164 ق.م، وقوُّوا حصونه جداً. وأعاد هيرودس الملك (الأدومي) بناء الهيكل في ضِعْف حجمه الأول وزيَّنه بالرخام الكورنثي والحجارة الثمنية والتحف سنة 19 ق.م، وتمَّت العمليات الكبرى فيه سنة 9 ق.م، أمَّا العمليات الدقيقة والتجميل فتمَّت بعد 46 سنة من البداية. ثم أُعيد تخريبه ودُكت أساساته حتى التراب على يد القائد الروماني تيطس سنة 70م.

+ «اللهم إن الأُمم قد دخلوا ميراثك، نجَّسوا هيكل قدسك جعلوا أُورشليم أكواماً.» (مز 1:79)

+ «إنهالت حجارة القدس في رأس كل شارع.» (مرا 1:4)

ويقول المنقبون من علماء الآثار إنه يلزم الحفر حتى 125 قدم بين أكوام الحطام حتى نصل إلى الأرضية الأصلية للمدينة[6]!!

(6) *Recovery of Jerusalem*, p. 185. cited by Edersheim.

السوس ينخر في عظام المملكة المتحدة، لذلك فسقوطها وشيك:

لقد تنكَّر الملك سليمان للشروط الأساسية التي وضعها الله لما ينبغي أن تكون عليه المملكة لكي تظل محسوبة لله ويظل الله يدبِّرها، أن:

1 ـ لا يكثر لنفسه الخيل.

2 ـ لا يكثر لنفسه النساء.

3 ـ لا يكثر لنفسه الذهب والفضة.

4 ـ يكتب لنفسه نسخة من الشريعة في كتاب من عند الكهنة واللاويين ليقرأ فيه كل أيام حياته، لكي يتعلَّم أن يتَّقي الله.

5 ـ يحفظ كلام الشريعة والفرائض ليعمل بها.

خمسة شروط هي أساس الملك!:

+ «متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها، فإن قلت أجعل عليَّ ملكاً كجميع الأُمم الذين حولي، فإنك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب إلهك. من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً. لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك. ولكن لا يُكثر له الخيل ولا يرد الشعب إلى مصر لكي يكثر الخيل، والرب قد قال لكم لا تعودوا ترجعون في هذه الطريق أيضاً. ولا يكثر له نساء لئلاَّ يزيغ قلبه، وفضة وذهباً لا يكثر له كثيراً. وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين، فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته، لكي يتعلَّم أن يتقي الرب إلهه، ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها، لئلاَّ يرتفع قلبه على إخوته، ولئلاَّ يحيد عن الوصية يميناً أو شمالاً، لكي يطيل الأيام على مملكته هو وبنوه في وسط إسرائيل.» (تث 17: 14ـ20)

لكن سليمان غيَّر منذ البدء كل السمات التي كان الله يحكم بها الشعب والأسباط، وكل ما حذَّر الله عنه تمادى سليمان في ممارسته بلا تحفُّظ:

+ «وجمع سليمان مراكب (حديدية يجرها الخيل) وفرساناً، فكان له ألف وأربع مائة مركبة واثنا عشر ألف فارس ... وجعل الملك الفضة في أُورشليم مثل الحجارة ...» (1مل 10: 26و27)

+ «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات. من الأُمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة!! وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه ... ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه.» (1مل 11: 1ـ6)

هكذا بدأ ينخر السوس في مملكة إسرائيل وهي في أوج عزها ومجدها وسلطانها. وهكذا تقبَّل سليمان من الله إنذاراً ثم قراراً نهائياً بتمزيق المملكة:

+ «فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك (العصيان) عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها، فإني أمزِّق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك. إلاَّ إني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها ... وأعطي سبطاً واحداً لابنك ...» (1مل 11: 11و13)

ومات الملك سليمان سنة 922 ق.م:

+ «ثم اضطجع سليمان مع آبائه ودُفن في مدينة داود أبيه وملك رحبعام ابنه عوضاً عنه.» (1مل 43:11)

انقسام مملكة إسرائيل:

العد التنازلي حتى السبي الحزين:

قبل أن ينقضي القرن العاشر ق.م، كانت إسرائيل قد فقدت عصرها الذهبي، وذلك بسبب سلوك الملك سليمان المشين تجاه المحرمات، وحلول غضب الله عليه، بالإضافة إلى سياسته التوسعية وإسرافه في المظاهر والبذخ، واضطراره إلى بيع مدن بأكملها، مما أغضب الشعب وأثار حفيظة البلاد الشمالية (إسرائيل) وتحفزها للإستقلال عن يهوذا في الجنوب، مما عجَّل بالانقسام تحت مشاعر العداوة التي زادت بمضي الزمن.

لقد استقلت مملكة الشمال ودُعيت إسرائيل، واختارت لنفسها يربعام أحد عبيد سليمان ليملك عليها، واستقلت مملكة الجنوب ودُعيت يهوذا وتملَّك عليها رحبعام بن سليمان الوريث الشرعي. وكانت الحدود الفاصلة بين المملكتين تمر شمال أُورشليم بمقدار عشرة أميال، وهي حدود سبط بنيامين الشمالية. وبذلك انتهت امبراطورية داود وانتهى عصر الأبطال. واستمرت المملكتان تتناوبان أيام السلم والصداقة وأيام الحرب والعداوة.



خريطة توضِّح انقسام مملكة إسرائيل إلى مملكتين

7 – إسرائيل ويهوذا في الخمسين سنة الأُولى
بعد الانقسام (922–876 ق.م)

السياسة الخارجية:

فقدت كل من يهوذا وإسرائيل جميع البلاد والأراضي والممتلكات التي تقع خارج حدود فلسطين:

1 ـ الأراميون المتمركزون في دمشق كسروا نير إسرائيل واستقلوا بمملكتهم.

2 ـ العمونيون عبر الأُردن كسروا نير إسرائيل واستقلوا بعاصمتهم التي هي عمان اليوم.

3 ـ الموآبيون المستوطنون شرق البحر الميت انسلخوا من سلطة إسرائيل.

4 ـ باشان المستوطنون شرق بحر الجليل سرعان ما استقلوا أيضاً، ولكن سرعان ما احتلتهم دمشق.

5 ـ الأدوميون استقلوا عن إسرائيل وانفصلوا.

السياسة الداخلية:

المشورة الحمقاء: الانقسام:

كان يتحتَّم على رحبعام بن سليمان، الوريث الشرعي لإسرائيل، أن يفوز باعتراف إسرائيل في الشمال لكي يصير ملكاً على البلاد مثل سليمان أبيه. ولذلك اجتمع بالشعب في شكيم عاصمة الشمال، وكان أول مطلب للشعب لتنصيب رحبعام ملكاً أن يخفِّف من الضرائب وأعمال السخرة، فكـــــــــــــــــــــــــان رد

رحبعام بعد مشورة الشباب ورفض مشورة الشيوخ هكذا:

+ «أبي ثقَّل نيركم وأنا أزيد على نيركم. أبي أدبكم بالسياط (بواسطة الجلادين في أعمال السخرة) وأنا أُؤدبكم بالعقارب ...» (1مل 14:12)
+ «فلما رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع لهم، ردَّ الشعب جواباً على الملك قائلين: أي (ليس) قسم لنا في داود ولا نصيب لنا في ابن يسَّى. إلى خيامك يا إسرائيل ... ثم أرسل الملك رحبعام أدورام الذي على التسخير فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة فمات. فبادر الملك رحبعام وصعد إلى المركبة ليهرب إلى أُورشليم. فعصى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم.» (1مل 12: 16-19)

بدء مملكة إسرائيل المنقسمة: يربعام (922-901 ق.م):

وكان يربعام بن نباط خادم سليمان جبَّار بأس، وأقامه سليمان على كل أعمال بيت يوسف، ولكنه رفع يده على سليمان لأنه علم من أخيَّا النبي الشيلوني أن الله سيجعله ملكاً عوض سليمان (1مل 11: 26-39):

+ «وطلب سليمان قتل يربعام فقام يربعام وهرب إلى مصر إلى شيشق ملك مصر (وكان شيشق من أهل ليبيا وقام بغزو مصر ونصَّب نفسه فرعوناً)، وكان (يربعام) في مصر إلى وفاة سليمان.» (1مل 40:11)
+ «ولما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع أرسلوا فدعوه إلى الجماعة وملَّكوه على جميع إسرائيل، ولم يتبع بيت داود إلاَّ سبط يهوذا وحده.» (1مل 20:12)

وقد خيَّب يربعام كل ظن إسرائيل وأساء إلى نفسه والله وكل الشعب. وإذ كان يخاف أن يرجع الشعب عنه ويعود إلى أُورشليم للعبادة في الهيكل، عمل يربعام عجلين من الذهب أصناماً ليعبدها إسرائيل، جعل واحداً في "**بيت**

إيل" والآخر في "**دان**"، وشجَّع الشعب على عبادة الأصنام، ورتب بنفسه طقوسها وكهنتها وأيامها. وغضب الله عليه جداً (1مل 14: 7ـ16).

وعجيب حقًّا أن تنتكس إسرائيل هكذا بهذه السرعة وفي جيل واحد من عبادة الله وخدمة الأقداس في الهيكل إلى عبادة عجول الذهب. لهذا لم تسلم بلاد إسرائيل في الشمال من غزو شيشق الذي استضاف يربعام عند هروبه إلى مصر من وجه سليمان. وقد عانت البلاد من الفقر والتدمير وفقدت كل حصونها.

بدء مملكة يهوذا: رحبعام (922ـ915 ق.م):

هو ابن سليمان الوريث الشرعي ليهوذا، ملك وهو في سن 41 سنة، وملك 17 سنة في أُورشليم. ومن المؤسف أن أُمه كانت عمونية واسمها نعمة وهي ليست نعمة. فقد عمل رحبعام الشر في عيني الرب، وبنى هو أيضاً لشعبه أصناماً، وتسفَّلت أخلاق الشعب في أيامه إلى درجة مرعبة، فكان هناك سوق للمأبونين، فتنجَّست الأرض بكل أرجاس البلاد التي كان قد طردها الله من أمام إسرائيل.

وفي السنة الخامسة لملك رحبعام حوالي سنة 918 ق.م، صعد شيشق ملك مصر (ليبي الجنسية) وعبر على أُورشليم ولم ينهب المدينة أو الهيكل. ويسمَّى شيشق أيضاً شوشنك Shoshenq وقد نصَّب نفسه فرعوناً على مصر، وافتتح الأسرة الثانية والعشرين (935 ق.م) وهي أسرة بوبسطة[1] Bubastite. وكان قد خطَّط لغزو إسرائيل كلها لتوطيد مركزه في الشرق في أسيا، وذلك

(1) Albright, *BASOR* 130, 1953, pp. 4-11 cited by J. Bright, *A History of Israel,* p. 229.

واضح من احتضانه ليربعام قائد سليمان الهارب وتقديم الضيافة له ولكن كان أول مَنْ غزاه:

+ «وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر (سنة 918 ق.م) على أُورشليم، لأنهم خانوا الرب، بألف ومئتي مركبة وستين ألف فارس. ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوبيين وسكيين وكوشيين (متوحشين)، وأخذ المدن الحصينة التي ليهوذا.» (2أي 12: 1-4)

وقد دفع رحبعام لشيشق جزية فادحة.

وقد وُجِدَت أخبار غزواته هذه منقوشة على أعمدة الكرنك في الأقصر ودلت الحفائر أنه حطَّم مدن الجنوب الحصينة ونهب فلسطين من أولها إلى آخرها[2].

+ «وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل الأيام. ثم اضطجع رحبعام مع آبائه ودُفن مع آبائه في مدينة داود.» (1مل 14: 30)

بقية ملوك إسرائيل ويهوذا في هذه الفترة:

يهوذا	إسرائيل
أبيا بن رحبعام: 915-913 ق.م: في السنة الثامنة عشر[3] من ملك يربعام ملك أبيا عوض أبيه ـ ملك ثلاث سنين في أُورشليم. وابتدأ ملكه بحرب ضد إسرائيل أي ضد يربعام بجيش من أربعمائة ألف رجل اعتقاداً منه أن إسرائيل عصت أمر الله الذي جعل داود ملكاً على كل الشعب، وهو حفيد داود. لذلك كان يشعر أن الرب معه وأنه يحارب كرامة لعهد الله مع داود. واجه جيش يربعام (800000) فانكسر يربعام أمام أبيا الذي قتل 500000 قتيل من إسرائيل، فذل إسرائيل وأخذ منها بيت إيل	استمر يربعام في الملك 922-901 ق.م ولكن لم يستطع لضعفه وسوء نية قوّاده أن يورث الملك تماماً لأبنائه، بل كان بمجرَّد موت الملك يقوم أحد القواد ويذبح الوريث وينصِّب نفسه ملكاً. حتى تزعزعت أركان البلاد إلى أن جاء عُمري.

(2) J. Bright, *A History of Israel*, p. 231.

(3) القارئ المدقِّق في التواريخ يجد فرقاً في السنين بين سنة تولِّي الملك وبين نسبة التولية بين إسرائيل ويهوذا ـ ولكن في حدود لا تتعدَّى عشر سنين.

يهوذا	إسرائيل
ويشانه وعفرون. تزوَّج أبيّا أربع عشرة امرأة وخلَّف 22 ولداً و16 بنتاً. **آسا بن أبيَّا**: 913ـ873 ق.م: استراحت الأرض في أيامه عشر سنوات بدون حرب «عمل آسا ما هو صالح ومستقيم في عيني الرب إلهه» (2أي 2:14) وبنى مدناً حصينة وحصَّن باقي المدن. وكان جيش آسا من يهوذا 300000 ومن بنيامين 280000 كلهم جبابرة بأس. **حرب الأبطال**: هجم عليه زارح (Zerah) وهو قائد كوشي ـ أثيوبي وربما كان يتبع شيشق أو الفرعون الذي اعتلى عرش مصر بعده وهو أوســــركون Osarkon (914ـ874 ق.م) وقد اصطدم به آسا بقوة عند مدينة مريشا وكان عدد جيش زارح الكوشي مليون جندي، هذا أفناه آسا إفناءً ونهب جميع أدواته وكل المدن التي كانت تحته ورجع إلى أورشليم.	موت يربعام 901 ق.م وكان مكروهاً على مدى التاريخ وأعطى الله له هذه الصفة «الذي جعل إسرائيل يُخطئ »(1مل 16:14، 2مل 6:13) **ناداب بن يربعام**: 900 ق.م: وقد قام ناداب ابنه ملكاً ولكن قتله أحد قواده وقتل كل نسل يربعام. **بعشا ملكٌ على إسرائيل**: 900ـ877ق.م: واستمر في الملك 24 سنة، اتفق مع زارح القائد الكوشي على ما يُظن ضد يهوذا « وفي السنة السادسة والثلاثين من مُلك آسا (877 ق.م) صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة لكيلا يدع أحداً يخرج أو يدخل إلى آسا ملك يهوذا. »(2أي 1:16)

عودة الروح: «وكان روح الله على عزريا بن عوديد. فخرج للقاء آسا وقال له: اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين: الرب معكم ما كنتم معه، وإن طلبتموه يوجد لكم وإن تركتموه يترككم. ولإسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق وبلا كاهن معلِّم وبلا شريعة.» (2أي 15: 1ـ3) وهكذا شجَّع الله آسا لينهض بيهوذا. ولما سمعت بقية الأسباط أن الرب أعان آسا انضمت إليه بعض الأسباط من أفرايم وشمعون «فاجتمعوا في أُورشليم في الشهر الثالث في السنة الخامسة عشر لملك آسا ... ودخلوا في عهد أن يطلبوا الرب إله آبائهم بكل قلوبهم وكل أنفسهم ... وحلفوا للرب بصوت عظيم ... وفرح كل يهوذا من أجل الحلف لأنهم حلفوا بكل قلوبهم وطلبوه بكل رضاهم فوُجِدَ لهم وأراحهم الرب من كل جهة.» (2أي 15:9ـ16)	

حرب إسرائيل ضد يهوذا: «وفي السنة السادسة والثلاثين لملك آسا، صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا» فما كان من آسا إلاَّ أن «أخرج فضة وذهباً من خزائن بيت الرب ... وأرسل إلى بنهدد ملك أرام الساكن في دمشق» ليستعين ضد إسرائيل، «فاستمع بنهدد للملك آسا فأرسل رؤساء الجيوش التي له على مدن إسرائيل فضربوا عيون ودان وآبل المياه وجميع مخازن مدن نفتالي» (2أي 1:16ـ4) فجاء حناني الرائي إلى آسا ملك يهوذا ووبَّخه بشدة وأخبره بمصيره. فمات آسا بعد أن ملك 41 سنة.	+ «فلما سمع بعشا كفَّ عن بناء الرامة وترك عمله (أي انسحب)» (2أي 5:16) وعمل الشر في عيني الرب ومات. **إيله بن بعشا:** 877ـ876 ق.م: قتله أحد قواده زمري فقام وملك على إسرائيل أسبوعاً واحداً، وبهذا قضى على كل بيت بعشا. وفي أسبوع واحد قام عليه عُمري قائد جيشه فلمَّا يأس زمري قتل نفسه.

وهكذا استهلك كل من يهوذا وإسرائيل قوتهم البشرية وكل اقتصادهم في هذه الحروب المستمرة

يهوذا	إسرائيل
يهوشافاط بن آسا: 873ـ849 ق.م: أنهى على مظاهر الوثنية في يهوذا: + «وملك يهوشافاط بن آسا على يهوذا في السنة الرابعة لأخآب ملك إسرائيل وكان يهوشافاط ابن خمس وثلاثين سنة حين ملك، وملك خمساً وعشرين سنة في أُورشليم ... وسار في كل طريق آسا أبيه. لم يحد عنها. إذ عمل المستقيم في عيني الرب.» (1مل 22: 41ـ43) وقد دخل يهوشافاط في معاهدة تحالف مع إسرائيل مع عائلة العُمريين بالرغم من عنف سياسة عُمري وأخآب. وهذا التحالف أعاد لليهودية تجديدها وتقويتها. ولقد بذل يهوشافاط كل جهده في مقاومة التيارات الوثنية لأنه كان مخلصاً ليهوه إله إسرائيل (1مل 43:22) وبالرغم من التصالح مع إسرائيل إلاَّ أنه لم يسمح إطلاقاً بتسرب روح الوثنية إلى بلاد اليهودية.	**تملُّك عُمري**: 876ـ869 ق.م: وملك اثنتى عشرة سنة (؟) وسار في طريق الشر طريق يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يُخطئ. ملك بعد خمسين سنة من القلاقل وعدم الاستقرار والحروب حتى صارت إسرائيل بلا قوة تواجه بها الأعداء، وخاصة مملكة دمشق التي صارت تتقوّى تحت حاكمها بنهدد الذي عاش طويلاً 880ـ842 ق.م الذي استولى على كل الأراضي شمال نهر اليرموك. هذا بالإضافة إلى دولة أخرى بدأت تقوى وتظهر في الوجود بخطرها الماحق: آشور ما بين النهرين التي احتلت أخطر مواقف التاريخ في الألف سنة قبل الميلاد. فقام فيها الملوك الأقوياء: أشورابي 1012ـ972 ق.م أشوردان 953ـ 931 ق.م أشورناصربال الثاني 884ـ860 ق.م

تجديد القضاء:

وكان يهوشافاط رجل حكم وحكمة وعدل، فقد أعاد مبادئ القضاء العادل (2أي 4:19-11)، وأقام في أُورشليم ما يشبه محكمة مركزية للدعاوي يرأسها الكاهن الأعظم للشئون الدينية وقائد للأمور المدنية لأن تداخلهم أمر لا مفر منه، وتصب في محكمة أُورشليم القضايا التي بُحثت أولاً في الأقاليم بواسطة شيوخ إسرائيل. وبهذا اقتلع كل جذور الظلم ووفر الإمكانيات لحل المشاكل المستعصية، كما أعاد تخطيط حدود البلاد وحدود مملكة يهوذا ربما كما كانت في عصر داود.

وهذا الأخير نشر الرعب والفزع وصارت وحشيته يُضرب بها الأمثال، لم يكن مثلها في كل حكم أشور وركعت له كل حكومات ما بين النهرين وكل الأراميين، وزحف على سوريا وفينيقية وذبحهم ذبحاً وغسل أسلحته في البحر الأبيض ورجع إلى مواقعه.

وهكذا تنبه كل من إسرائيل ويهوذا للعدو القادم.

عودة السلام والتحالفات:

سياسة عُمري: كان ذا شخصية قوية حتى لُقِّبت إسرائيل كلها باسمه: «**بيت عُمري**» أو أرض عُمري (في النقوش الأشورية) وقد تشبَّه بداود وسليمان في قدرته التنظيمية وتطلعاته، وجعل عاصمته ال**سامرة** وهي أجمل وأخطر موقع في إسرائيل، وقد أكمل بناءها أخآب الملك، وابتدأ ينهض بإسرائيل، وعمَّ السلام وتصالح مع يهوذا وارتبط بروابط المحبة مع الفينيقيين وأخضع الأراميين في شرق

	الأُردن. وقد عمل تحالفاً مع ملك صور الذي كـان كاهنـاً لعشـتاروت(4) وأخـذ ابنتـه لأخآب زوجة وهي إيزابل التي صارت محور تـاريخ الشر لإسرائيل. وصارت التجارة في انتعاش مع صور. وتصـاهر إسـرائيل مـع يهـوذا فتـزوج يهـورام بـن يهوشـافاط ملـك يهـوذا بعثليـا بنت أخآب فكانت صفقة لصالح السلام والتجارة، حتى بدأت التجارة المشتركة تمر في عصيون جابر على البحر الأحمر ولكن توقفت ثم فشلت. وتحالف يهوذا مع إسرائيل ضد الأعداء المشتركين. فقد هزم عُمري موآب وجعلها تحت الجزية (2مل 4:3)، وأُخضعت أدوم **ليهوذا** التي أرسلت لها حاكماً من عندها (1مـل 47:22)، وامتـد سـلطان يهـوذا ليشـمل مـدن الفلسـطينيين علـى السـاحل غربـاً (2أي 11:17)، (2مـل 22:8). واضطجع عُمري مع آبائه ودُفن في السامرة وملك أخآب بن عُمري عوضاً عنه.

(4) G. Ernest Wright, *Biblical Archaeology*, p. 94.

الملك أخآب بن عُمري: 869ـ 850 ق.م تملَّك في السنة الثامنة والثلاثين لآسا ملك يهوذا[5] وملك أخآب على إسرائيل في السامرة مدة اثنتين وعشرين سنة «وعمل أخآب بن عُمري الشر في عيني الرب أكثر من جميع الذين قبله.» (1مل 30:16) **حروبه:** بعد مناوشات كثيرة استطاع أن يكسر شوكة الأراميين الذين كانوا يتوغَّلون داخل إسرائيل بلا اكتراث، حتى وقع في الأسر بنهدد ملك دمشق، ولكن عامله أخآب باحترام، وعمل معه معاهدة وأطلقه مما أثار سخط الأنبياء عليه لكسره أوامر الله بضرورة إعدام الملوك المأسورين (1صم 3:15). ولكن أخآب بهذا الصنيع صار مع دمشق في تحالف ضد ملك أشور ''أشورناصربال'' ومن خلفه في حكم أشور شلمنأسر الثالث 859ـ852 ق.م الذي أغار على كل المناطق واخترق سوريا حتى البحر الأبيض. **التحالف الكبير:** ومن رعبة البلاد من شر ملوك أشور عقد كل الملوك تحالفاً معاً من شمال أسِيَّا الصغرى إلى سوريا وملك حماة وأخآب	

(5) القارئ المدقِّق في التواريخ يجد فرقاً في السنين بين سنة تولِّي الملك وبين نسبة التولية بين إسرائيل ويهوذا ـ ولكن في حدود لا تتعدَّى عشر سنين.

	ملك إسرائيل الذي قدَّم ألفي مركبة حديدية وعشرة آلاف رجل للتحالف. وفي سنة 853 ق.م أغار ملك أشور شلمنأسر على ممالك ما بين النهرين حتى سوريا ولكن جيش الحلفاء لاقاه في مدينة قرقار وصدَّه وأنقذوها في الوقت المحدَّد من خطر الإبادة. وعمَّ الرخاء في البلاد وتحسَّنت التجارة ووقفت مرَّة أخرى إسرائيل على قدميها كدولة ذات مكانة بين الدول، والفضل في ذلك يتقاسمه أخآب مع أبيه عُمري، سواء في بناء المدن أو التحصينات أو حفر القنوات أو عمل عربات الحرب وتدريب الخيول. **الانحطاط الديني في عصر عُمري وأخآب:** وكما أوقعت نساء سليمان الغريبات الوثنيات سليمان في شرك عبادة الأوثان وبناء المذابح لها وممارسة طقوسها النجسة، هكذا وقع أخآب ومن حوله في شرك إيزابل بنت ملك صور وهو كاهن للبعل، إذ بنت هيكلاً لعشتاروت وهيكلاً للبعل في السامرة (1مل 32:16) Baal Melquart ونشرت إيزابل عبادة الأوثان في إسرائيل، وازداد خطرها جداً لأنها أرادت فرض عبادة أصنامها على الدولة رسمياً. ولقي أنبياء البعل كل حماية من الدولة (1مل 19:18) وسار معظم الشعب وراء البعل إلاَّ قلة بقيت أمينة

	لعبادة يهوه (1مل 18:19) ووقعت بذلك تحت الاضطهاد وخاصة أنبياء الله حتى اختنقت الكلمة وكُمِّمت الأفواه. وإن بقي جزء من الأنبياء أميناً ليهوه إله إسرائيل بكل شجاعة مثل ميخا بن يمله الذي قال بخراب بيت بني عُمري ولكن كثيراً من الأنبياء سقطوا في التجربة وانحازوا لإيزابل لعبادة البعل. **إيزابل وإيليا:** قادت إيزابل الملكة حركة مقاومة عنيدة ضد عبادة يهوه «وكانت حينما قطعت إيزابل أنبياء الرب أن عوبَديا أخذ مئة نبي وخبأهم خمسين رجلاً في مغارة وعالهم بخبز وماء.» (1مل 4:18) ورفع الشر قرونه بواسطة هذه المرأة الشريرة ولم يحطم كبرياءها إلاَّ ظهور إيليا النبي الذي ذبح أنبياءها واحداً واحداً بموسى على نهر قيشون. ووبَّخ أخآب وأذل ملكه حتى التراب. وقصته مع أخآب وإيزابل طويلة تأخذ الأصحاحات 17،18، 19،21 من سفر الملوك الأول والأصحاح الأول والثاني من سفر الملوك الثاني. كان إيليا يمثِّل بقوته الروحية وسلطانه الروحي موسى تماماً، وليس عبثاً أن يظهر موسى مع إيليا معاً ليشهدا لتجلي المسيح (مر 4:9) فقد صلَّى صلاة أوقفت السماء عن أن تمطر وصلى فأمطرت. وأمر السماء فأنزلت ناراً لتلتهم ذبيحته التي قدَّمها تحدياً

لأنبياء البعل ليثبت لهم أن يهوه هو الله.

كان إيليا يعبد إله إسرائيل كمن يعيش في حضرته، ويتكلَّم مع يهوه إله سيناء مثل موسى: «حي هو الرب إله إسرائيل الذي وقفت أمامه.» (1مل 1:17)

والعجيب أن يأتي يوحنا المعمدان بروح إيليا لتقف هيروديا موضع إيزابل وكلتاهما تطلبان رأس نبي، وكلا النبيين يوبخان ملكاً وملكة من أجل الزنا. وكلا الملكين تغرهما أُبّهة الحكم، فالأول في طموحه قتل جاره من أجل بستان، والثاني يقتل نبيًّا من أجل الأقسام. وإيليا في الضيق والجوع أطعمه غراب والثاني ضيَّق هو على نفسه وكان يأكل الجراد.

عجيب هؤلاء الأنبياء الذين سخَّروا أنفسهم لطاعة الله فأخضعوا شجاعتهم لتهديد الموت.

الحكم على أخآب من فم الله:

+ «فكان كلام الرب إلى إيليا التشبي قائلاً: قم انزل للقاء أخآب ملك إسرائيل في السامرة هوذا هو في كرم نابوت الذي نزل إليه ليرثه، وكلِّمه قائلاً: هكذا قال الرب: هل قتلت وورثت أيضاً. ثم كلِّمه قائلاً هكذا قال الرب. في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً. فقال أخآب لإيليا هل وجدتني يا عدوِّي. فقال قد وجدتك لأنك قد بعت نفسك لعمل الشر في عيني الرب هأنذا أجلب عليك شرًّا وأبيد نسلك وأقطع لأخآب كل بائل

	بحائط ومحجوز ومُطْلَق في إسرائيل، وأجعل بيتك كبيت يربعام بن نباط وكبيت بعشا بن أخيا لأجل الإغاظة التي أغظتني وجعلك إسرائيل يخطئ. وتكلَّم الرب عن إيزابل أيضاً قائلاً إن الكلاب تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل. مَنْ مات لأخآب في المدينة تأكله الكلاب ومَنْ مات في الحقل تأكله طيور السماء. ولم يكن كأخآب الذي باع نفسه لعمل الشر في عيني الرب الذي أغوته إيزابل امرأته. وَرَجَس جداً بذهابه وراء الأصنام حسب كل ما فعل الأموريون الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل. »(1مل 17:12ـ26) ومات أخآب ولحست الكلاب دمه، أمَّا إيزابل فلم تفلت من حكم الله (2مل 35:9ـ37). وأخيراً هرب إيليا اتقاءً لشر إيزابل الفاجرة ومن ثقل الرسالة والتجأ إلى سيناء ليتلاقى مع يهوه إله العهد ليستمد قوة لرحلة السماء، لأنه أُخذ في مركبة نارية وصعد إلى عنان السماء وإليشع يصرخ عليه، واستجاب له إيليا وألقى بردائه عليه وحلَّ عليه روح الرب فكمَّل إليشع النبي رسالة إيليا لتثبت عبادة الله والقضاء على بيت أخآب وعبادة البعل. **أخزيا بن أخآب**: 850ـ849 ق.م: حكم شهوراً قليلة ومات أثر حادثة (2مل 1)

يهورام بن يهوشافاط: 849ـ842 ق.م	**يهورام بن أخآب**: 849ـ842 ق.م
هو خليفة يهوشافاط في حكم اليهودية. ولكن بسبب ضعف شخصيته نحَّته زوجته عثليا بنت أخآب وحلَّت محلَّه في الحكم كملكة وهي حفيدة أو ربما بنت عُمري: + «وملك يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا. كان ابن اثنين وثلاثين سنة حين ملك وملك ثماني سنين في أُورشليم وسار في طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت أخآب لأن بنت أخآب كانت له امرأة.» (2مل 8:16ـ18) ويقول الكتاب إنه طوَّح يهوذا أي أضلَّ الشعب. + «وعمل الشر في عيني الرب ... وفي أيامه عصى أدوم من تحت يد يهوذا وملَّكوا على أنفسهم ملكاً.» (2مل 8:18و20) واضطجع يهورام (يورام) مع آبائه ودُفن مع آبائه في مدينة داود وملك أخزيا ابنه عوضاً عنه (2مل 8:24) كانت عثليا امرأة يهورام امرأة قوية الشكيمة وهذه المتمرِّدة أدخلت عبادة البعل إلى أُورشليم وحرَّضت زوجها يهورام فقتل كل إخوته الأربعة لكي تضمن بقاءها من بعد زوجها.	حاول أن يقوم بإعادة عبادة يهوه إله إسرائيل وأن يرفع العوائق التي تضايق الشعب ولكن كان ذلك مستحيلاً في وجود أُمه إيزابل، وإزاء الحرب مع دمشق التي خسرتها إسرائيل ومات فيها أخآب أبوه في راموت جلعاد. ويُلاحَظ أن التسجيل في سفر الملوك الثاني يذكر يهورام في يهوذا ويهورام في إسرائيل في نفس مدة الحكم.

أخزيا بن يهورام: 842 ق.م

كان أخزيا ابن 42 سنة حينما ملك وملك سنة واحدة في أُورشليم وهو أيضاً سلك في طريق أخآب لأن أُمه (عثليا) كانت تشير عليه بالشر (2مل 8:25ـ27).

عثليا: 842ـ837 ق.م

زوجة يهورام وأم أخزيا.

+ «فلمَّا رأت عثليا أُم أخزيا أن ابنها قد مات قامت فأبادت جميع النسل الملكي.» (2مل 11:1)

وقد أرغمت الشعب على عبادة البعل في أُورشليم، ولكن بالرغم من ذلك بقي معظم شعب يهوذا محافظاً على عبادة يهوه إله إسرائيل.

وقد أدرك الشعب أن هذه الامرأة اغتصبت الحكم بالجريمة والعنف وهي ليست من بيت داود فلم يعطها الشعب أي قدر من الاعتبار، ولكنها استمرت خمس سنوات في الحكم.

وكان من ضمن النسل الملكي الذي أبادته عثليا ابن لأخزيا لم تطاله يدها إذ خبأوه عنها اسمه يوآش خبأته عمَّته وهي امرأة رئيس الكهنة، أخذته وخبأته في الهيكل ولما صار ابن سبع سنوات نصَّبوه بمعرفة رئيس الكهنة ملكاً على يهوذا.

ثورة الجيش لقلب الحكم على يد ياهو: 842ـ 815 ق.م

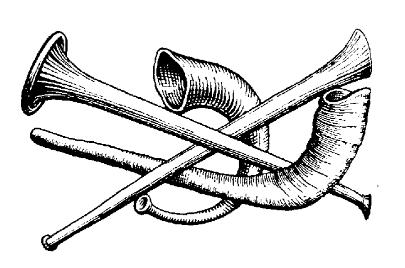
لقد تشجَّع القائد ياهو بن نمشي ليقوم بهذه الثورة للتنفيس عن غضب إسرائيل إزاء عُمري وابنه أخآب وأحفاده، وجاء اختيار الله له ليكون ملكاً على إسرائيل في ميعاده، وقد مسحه مندوب إليشع النبي وهو واحد من بني الأنبياء بناءً على وصية إيليا قبل أن يصعد في مركبته إلى السماء (1مل 19:16، 2مل 1:19ـ3) وذلك في أواخر حكم يهورام ابن أخآب (842 ق.م). وبمجرَّد أن مسحه مندوب إليشع النبي في راموت جلعاد وسط زملائه القوَّاد أعلنوا قيامه ملكاً، فلمَّا سمع يهورام أراد أن يهرب ولكن قتله ياهو. وعمل بنصيحة إليشع بأن يقتل كل بيت أخآب.

ولم تفلت إيزابل إذ طرحوها من الشباك فوقعت وماتت وأكلت الكلاب لحمها ولحست دمها حسب نبوَّة إيليا.

وقتل ياهو كل أنبياء البعل وكل مَنْ وجده في هيكله في السامرة وهدم الهيكل حتى التراب.

وكان لإليشع النبي دور كبير جداً في عودة روح العبادة لله والثقة في الملك الذي عيَّنه الله وفي الحروب التي قامت بها إسرائيل للدفاع أمام ملك آرام، إذ أن إليشع النبي كان يسبق فينبِّيء ملك إسرائيل بتحرُّكات ملك أرام، حتى ضج ملك آرام وظن أن هناك خيانة بين صفوفه فأجابه أحد العرافين: «فقال واحد من عبيده

	ليس كذا يا سيدي الملك ولكن إليشع النبي الذي في إسرائيل يخبر ملك إسرائيل بالأمور التي تتكلّم بها في مخدع مضجعك.» (2مل 12:6)



8 – تاريخ إسرائيل ويهوذا

من منتصف القرن التاسع إلى منتصف القرن الثامن

ملوك إسرائيل ويهوذا في هذه الفترة:

يهوذا	إسرائيل
يوآش بن أخزيا: 837–800 ق.م + «وأخرج (يهوياداع الكاهن) ابن الملك ووضع عليه التاج وأعطاه الشهادة فملّكوه ومسحوه وصفّقوا وقالوا ليحيَ الملك.» (2مل 11:12)	**ياهو**: 842–815 ق.م لقد ثبَّت ياهو الاستقرار في البلاد وأسَّس أسرة ملكية سارت بالوراثة واستمرت حوالي 100 سنة وهي أطول مدة لتاريخ أسرة في إسرائيل. ولكنها لم تصادف أياماً سعيدة كأيام داود أو سليمان، وكان ذلك بسبب ضعف إسرائيل حتى فقدت استقلالها بالكامل. وتقابل ضعف البلاد مع ازدياد قوة دمشق وقوة الأشوريين، فقد مات فيها بنهدد صديق أخآب وحليفه، قتله أحد قواده حزائيل وقبض على زمام الملك (842–806 ق.م). وكان على حزائيل أن يواجه غزو ملك الأشوريين شلمنأصر الذي اجتاح سوريا حتى صور

يهوذا	إسرائيل
أثناء هذا المخاض الذي كان يجري في إسرائيل لم تكن يهوذا بأحسن حال. فقد نالها الشر والسوء من حزائيل ملك أرام دمشق. ومعروف أن يوآش تولَّى السلطة كملك وهو طفل بعد موت عثليا فلم يقو على بسط سلطانه إلاَّ بواسطة (يهوياداع رئيس الكهنة). ودفع الجزية لحزائيل ملك دمشق. ولكنه اعتنى بتطهير الهيكل ورمَّمه بعد نجاسات عثليا ولكن تحت مشورة يهوياداع رئيس الكهنة الذي أعانه طفلاً وأعانه رجلاً. وقد عاش يهوياداع 130 سنة ودفنوه في مدينة داود مع الملوك لأنه عمل خيراً في إسرائيل ومع الله وبيته (2أي 15:24و16) + «وعمل يوآش المستقيم في عيني الرب كل أيام يهوياداع الكاهن.»	وصيدا، ومروراً بإسرائيل (841)، وعاد وكرَّر الغزو مرَّة أخرى (سنة 837) ولكنه اغتيل وخلفه ابنه شمش ـ هدد Shamash-Hadad الخامس (842ـ812) الذي خلفته في الحكم الملكة سميراميس مدَّة أربع سنوات. أمَّا حزائيل ملك دمشق، فاستولى على كل أرض شرق الأُردن التي كانت لإسرائيل وعاد واستولى على كل أراضي إسرائيل الفاخرة على الساحل والجليل ودخلت إسرائيل تحت الجزية لملك أرام. وصارت إسرائيل نهباً لكل طارق من كل اتجاه لما بلغته من الوهن والضعف، وكان ذلك في عصر عاموس النبي كما هو وارد في الأصحاحين الأول والثاني الذين ينعي فيهما أيضاً الانهيار الديني والأخلاقي ليهوذا وإسرائيل. لقد تمادى ياهو في تطهير المملكة حتى أصابها بالشلل وفقدت البلاد أمانها واطمئنانها ـ وكان الإحساس العام أن ياهو جلب على نفسه وعلى بيته دم الأبرياء. ولم يكن ياهو كفؤاً ولا ذا نظرة

يهوذا	إسرائيل
(2أي 2:24) ولكن بعد موت يهوياداع أغراه رؤساء يهوذا فتخلَّى عن عبادة الله وصرَّح بالأصنام فاغتاله الغيورون بواسطة عبدين له (2أي 25:24و16).	متسعة ليقود نهضة. فظلت المفاسد الخلقية والاقتصادية على حالها. وبالرغم من أنه أزال عبادة البعل ولكنه لم يكن غيوراً على عبادة الله. **يهوآحاز بن ياهو**: 815ـ801 ق.م ملك على إسرائيل في السامرة سبع عشرة سنة وعمل الشر في عيني الرب، وفي أيامه غزا حزائيل ملك أرام إسرائيل وكذلك بنهدد ابنه. وصرخ يهوآحاز إلى الرب فسمع له وخلَّصهم الرب من تحت يد الأراميين، ولكنهم لم يحيدوا عن خطايا يربعام الذي جعل إسرائيل يُخطئ: + «ولم يُبقِ ليهوآحاز شعبٌ إلاَّ خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل لأن ملك أرام أفناهم ووضعهم كالتراب للدوس.» (2مل 7:13) ومات يهوآحاز ودفنوه في السامرة.
أمصيا بن يوآش: 800ـ783 ق.م استطاع أن يسترد كل المدن التي فقدها أبوه[1] (2مل 5:13). لأن ملك دمشق	**يهوآش بن يهوآحاز**: 802ـ786 ق.م: + «ملك على إسرائيل في السامرة ست عشرة سنة وعمل الشر في عيني الرب ولم

(1) في النصف الأول من القرن الثامن ق. م ضعفت دمشق ودخلت تحت نير أشور وضعفت

يهوذا	إسرائيل
سحب قواته من كل شرق الأُردن وغربه فاحتلها أمصيا بعد حرب مع أدوم. واستأجر جنوداً من إسرائيل في حربه مع أدوم ولكن الجنود في عودتهم أغاروا على بعض مدن يهوذا، فغضب أمصيا جداً وانفعل وأعلن الحرب على إسرائيل واصطدم مع جيش يهوآش في بيت شمس ولكن انكسر يهوذا ووقع أمصيا في الأسر وزحف يهوآش على أُورشليم وهي بدون دفاع واستولى عليها ونهبها وكسر أجزاء من أسوارها وعاد بغنائم. ثم أفرج يهوآش عن أمصيا ولكن قواده اغتالوه (2مل 14:8ـ16).	يحد عن جميع خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يُخطئ ...» (2مل 10:13و11) حارب أمصيا ملك يهوذا ونهب أُورشليم وكسر أسوارها. ونزل يهوآش ملك إسرائيل يفتقد إليشع النبي وهو على سرير مرضه وتنبأ له أنه سيحارب أرام ويغلب ولكن ليس إلى النهاية (2مل 14:13ـ19) ومات يهوآش بن يهوآحاز ودفنوه في السامرة.

صحوة الموت

لقد بلغت المملكتان الأختان أوج نهوضهما بعد الحضيض
في أيام يربعام الثاني ملك إسرائيل وعُزِّيَّا ملك يهوذا
وقد عاشت الاثنتان عمراً من السنين بالمساواة

أشور بالمثل.

يهوذا	إسرائيل
عُزِّيَّا (عزريا): 783–742 ق.م ملك وهو صبي وكان سنُّه ست عشرة سنة. وحارب الفلسطينيين وهدم سور جت وسور يبنه وسور أشدود وبنى مدناً في أرض أشدود والفلسطينيين وساعده الله على الفلسطينيين وعلى العرب الساكنين في جور بعل والعمونيين، وأعطاه العمونيون هدايا وامتد اسمه إلى مدخل مصر. واسترد مدينة إيلات على خليج العقبة وبناها. وبنى عُزِّيَّا أبراجاً في أُورشليم وحفر آباراً كثيرة لأنه كان له ماشية كثيرة على الساحل والسهل. وكان له جيش من المقاتلين ثلاث مئة ألف وسبعة آلاف وخمس مئة. وعمل في أُورشليم منجنيقات اختراع مخترعين (2أي 26: 14و15). وقد صار عُزِّيَّا الملك أقوى ملوك غرب أسِيَّا ومحور خطورة على أشور نفسها ووُجِد اسمه في سجلات أشور كشخصية خطيرة يُعْمَل لها ألف حساب وذلك بين سنة 744–742 وللأسف سقط بعدها اسمه من كل السجلات والآثار فجأة ومرَّة واحدة	**يربعام الثاني**: 786–746 ق.م عمل الشر في عيني الرب. كان يربعام واحداً من أكفأ القواد الذين عرفتهم إسرائيل وقد امتد بحدود دولته حتى آخر ما وصل إليه سليمان الملك! من مدخل حماة حتى وادي العربة (عا 6:14). بل قيل في السفر أيضاً إنه استولى على دمشق واسترد جميع بلاده التي كانت تحت يد الأراميين: + «فخلَّصهم (الرب) بيد يربعام بن يوآش. وبقية أمور يربعام وكل ما عمل وجبروته، كيف حارب وكيف استرجع إلى إسرائيل دمشق وحماة التي ليهوذا.» (2مل 14:27و28) وهكذا أزاح يربعام العمونيين والموآبيين من أرض إسرائيل: + «هو ردَّ تُخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة (البحر الميت) حسب كلام الرب إله إسرائيل الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاي النبي الذي من جت حافر.» (2مل 14:25) **زكريا بن يربعام الثاني**: 746–745 ق.م

يهوذا	إسرائيل
إلى الأبـد، وهـذا يعتقـد بسـبب إصـابته بالبرص[2]. + «ولما تشدَّد (الملك عُزِّيَّا) ارتفع قلبه إلى الهلاك وخان الرب إلهه ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور» (2أي 16:26) فإذا هو أبرص. فأقام في بيت المرض وكان يوثام ابنه على بيت الملك يحكم على شعب الأرض. فمات ودفنوه في حقل وليس في أُورشليم. في سنة وفاة عُزِّيَّا الملك حلَّ روح الرب على إشعياء بن آموص النبي وكتب عن حال اليهودية. **يوثام**: 742ـ735 ق.م وتشدَّد يوثام وعمل المستقيم في عيني الرب مثل عُزِّيَّا أبيه، وبنى مدناً في الجبل وبنى في الغابات قلاعاً وأبراجاً وحارب بني عمون وقوي عليهم وقهرهم فأعطوه الجزية (2أي 27:1ـ9). ومات وملك ابنه آحاز عوضاً عنه.	ملك ستة أشهر فقط وذبحه شلّوم بن يابيش عند يلعام Ibleam وهكذا انتهى إلى الأبد بيت ياهو (2مل 10:15).

(2) G. Ernest Wright, *Biblical Archaeology*, p. 103.

منتصف القرن الثامن: 750 ق.م

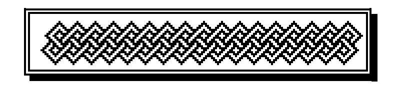
(أ) وبحلول منتصف القرن الثامن قبل الميلاد اتسعت أُورشليم واليهودية وبلغت في اتساعها حدود مملكة سليمان تقريباً، وازدهرت البلاد وصارت في رخاء لم تعرفها البلاد منذ أيام سليمان الملك، وذلك لأن إسرائيل واليهودية استغلت الفرص المتاحة حولها من الهدوء فنشطت التجارة وأُعيدت الطرق الآمنة نحو شرق الأُردن وفينيقية والعربة حتى البحر الأحمر، ودخلت صور في معاهدة معهم مثل أيام داود وسليمان.

وقد دلَّت الآثار المكتشفة في الحفائر على مدى الرخاء والغنى والفخامة التي عيَّر بها عاموس أغنياء الشعب بعد الذلة والفقر والانحطاط مما جعل بني إسرائيل لا يفقدون الأمل في المستقبل أبداً!!

(ب) ولكن هذا الرخاء استخدمه الشعب للباطل وقبحوا في أعمالهم جداً على المستوى الاجتماعي والديني وعلى مستوى الشعب والحكومة ورجال الدين، انتهكوا كل المحرَّمات، عبثوا بكل التقاليد، حنثوا في العهد وارتدوا عن الله.

(ج) **ومع قيام الباطل واشتداد الغواية وقتام الظلمة قام الأنبياء! وهكذا شهد منتصف القرن الثامن قبل الميلاد بزوغ أنبياء التعليم والتوبيخ والإنذار على أساس التقليد الموروث. وكان لدولة إسرائيل أنبياؤها، كما كان لدولة يهوذا أنبياؤها.**

والآن قبل أن نتابع تاريخ كل من مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا ينبغي أن نستعرض دور الأنبياء البالغ الأهمية في هذه الفترة العصيبة.



أنبياء التعليم والإنذار

مقدِّمة عامة:

دور الأنبياء عامة في تاريخ شعب إسرائيل:

كان الله حاضراً دائماً في وسط الشعب، ولكنه لا يتدخَّل إلاَّ عند الانحراف عن الوصايا المحدَّدة ومعاندة إرادته العليا. وأدواته التي يتكلَّم بها ليوصِّل صوته للإنسان كثيرة ولكن أبسطها هم الأنبياء.

والنبوَّة في مجملها إلهام سماوي من فوق من الله للإنسان، يتهيأ لها النبي بطرق شتى، ربما يكون من قبل ولادته مثل يوحنا المعمدان وإرميا النبي، أو في اللحظة والتو مثل عاموس وإشعياء وميخا ودانيال وغيرهم، إذ دُعوا للنطق دون أي استعداد أو إعداد سابق! والإلهام دفقة معرفة فائقة تحل مباشرة على النبي فيتقبَّلها العقل، وهي تأتي في المعنى من عمق الواقع أو تأتي كنتيجة لهذا الواقع، أي أنها ترتبط بالواقع من قريب أو بعيد. والنبوات في حصيلتها الكلية هي سيَّالٌ روحي رافق الإنسان منذ البدء ليشكِّل من أعمال الإنسان تاريخاً يضمن أن يأتي في النهاية، وفي إطار حرية الإنسان، خاضعاً لإرادة الله ومطابقاً لمشيئته العليا.

وهكذا فإن صياغة التاريخ الإنساني في العهد القديم لا تعتمد على تتابع الأحداث والآباء والملوك والقوَّاد وسقوط وقيام ممالك فقط، إذ يدخل هذه الصياغة عنصر النبوَّة ليعدِّل مسار التاريخ لينضبط ميزانها باستمرار بين عاملين

أساسيين وهامين للغاية القصوى:

العامل الأول: **مواعيد الله** التي تبقى ثابتة ثبات الله نفسه، لأنه دائماً أبداً يضمن وعده بنفسه ـ وهنا مربط الإيمان.

العامل الثاني: **أخطاء الإنسان** التي قد تزيد لتشمل الدولة كلها أو العالم، وقد تقل لتنحصر في فاعلها بمفرده. وهنا يقف دور الأنبياء في مواجهة الخطأ والشر أينما كان مصدره، سواء الملوك أو الكهنة أو الرؤساء أو الشعب، كضرورة مُلحَّة حتى تبقى لشعب إسرائيل مواعيد الله ثابتة، وتستمر عنايته، وخصوصاً في الأوقات العصيبة.

والدور الذي اضطلع به الأنبياء في تحذير الشعب وتوجيه الملوك والرؤساء وتحذير الخطاة لتلافي المصائب لو حاولنا استبعاده لتعرَّى التاريخ، فالأنبياء دخلوا في تاريخ شعب إسرائيل كعنصر متميِّز جداً وفعَّال، ربما أكثر فاعلية من المِلْك نفسه!

فالأنبياء كانوا دائماً ومنذ بداية تكوين شعب إسرائيل عناصر أساسية في التكوين العضوي للدولة، بل إن في العصور الأُولى كان النبي هو كل شيء. فإبراهيم أبو الآباء كان هو النبي الذي يحل عليه روح الله، يسمع من الله مباشرة ويعمل حسب أوامره بلا تفريط، وكان هو الكاهن الذي يقدِّم الذبيحة، وكان هو الملك الذي يحكم ويدبِّر ويقود ـ ولو في حدود قبيلة. وكذلك موسى بصورة أوضح ومفصَّلة. ولكن بعد ذلك تفرَّدت السلطات وتخصَّصت فصار الله هو الذي يعيِّن الملك بواسطة النبي فيقوم الكاهن بمسحه وتنصيبه.

أمَّا تعيين النبي فكان دائماً عملاً خارقاً للطبيعة، وليس له أي تمهيدات أو

علامات أو قدرات سابقة، ففي لحظة يبدأ الشخص يتكلَّم كلاماً يفوق كل قدراته وكل قدرات بني البشر، إذ يشعر السامع أن هذا ليس كلام إنسان بل كلام الله. حيث التنبؤ يكون واضحاً، والكلام نفسه يخرج كموجات من نور وهَّاج موزوناً وزناً شعرياً، وبقوة وطلاقة وسرعة تقتحم القلوب مهما أُحكم غلقها، وتهز الضمائر وتسيل الدموع من المآقي، ويكون النبي قادراً أن يعيده بالحرف الوحد بالرغم من أن يكون الكلام على مستوى سفر بأكمله، وبالرغم من أن الشخص قد يكون أميًّا وليس له دراية بالكلام أو الشعر. وهذا ما حدث لإرميا النبي بالحرف الواحد:

+ «فدعا إرميا باروخ بن نيريَّا فكتب باروخ **عن فم إرميا** كل كلام الرب الذي كلَّمه به في درج السفر ... ثم سألوا باروخ قائلين: أخبرنا كيف كتبت كل هذا الكلام عن فمه؟ فقال لهم باروخ: بفمه كان يقرأ لي كل هذا الكلام وأنا كنت أكتب في السفر بالحبر ...

وكان الملك جالساً في بيت الشتاء في الشهر التاسع، والكانون قدَّامه مُتقدٌ، وكان لما قرأ يهودي ثلاثة شُطُورٍ أو أربعة أنه شقَّه بمبراةِ الكاتب وألقاه إلى النار التي في الكانون حتى فني كل الدَرج ...

ثم صارت كلمة الرب إلى إرميا بعد إحراق الملك الدَرْج والكلام الذي كتبه باروخ عن فم إرميا قائلةً: عُدْ فَخُذْ لنفسك دَرجاً آخر واكتب فيه كل الكلام الأول الذي كان في الدَرْج الأول الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا.» (إر 36: 4-32)

كذلك ما يقوله النبي يكون مطابقاً لواقع الحال، وكأن الله نزل ورأى وسمع ثم تكلَّم بفم النبي موبِّخاً ومتحدِّياً كل سلطة، سواء سلطة الملك أو الكهنة، أو حتى الأنبياء الأدعياء الآخرين الذين كانت تستخدمهم الدولة،

الذين كانوا يُحكمون فتاويهم لكي ترضي أفكار الملوك، ويقلِّدون تحركات وكلمات الأنبياء الصادقين، فكانوا يُضلُّون الشعب فعلاً:

+ «هكذا قال الرب على الأنبياء الذين يُضِلُّون شعبي، الذين ينهشون بأسنانهم وينادون سلام ... لذلك تكون لكم ليلة بلا رؤيا، ظلام لكم بدون عرافةٍ، وتغيب الشمس عن الأنبياء ويظلم عليهم النهار ... لكنني أنا ملآنٌ قوَّةَ روح الربِّ وحقًّا وبأساً لأُخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته.»(مي 3:5-8)

هذا بالإضافة إلى دور الأنبياء من جهة تثقيف الشعب وتوعيته على أساس الشريعة والناموس والتقليد، لحراسة وصايا الله من جهة السلوك الاجتماعي والتعاملات الاقتصادية والسياسية، وتصرُّف الملوك والكهنة والأغنياء إزاء الشعب وخاصة الفقراء. كل هذه القيم كان يحمل أعباءها الأنبياء بغيرة مُلتهبة وحساسية شديدة، فصار دورهم في تاريخ الأُمة يفوق كثيراً دور الملوك والكهنة والكتبة، لأنهم كانوا يُحْسَبون بالفعل كعيني الله وأذنيه ولسانه، فكانت كلمتهم كما من فم الله.

والعجيب حقًّا أن النبي كان دائماً أبداً محبوب الشعب، كان يستطيع أن يُلهب قلب الشعب بكلمة. كان النبي يمثِّل حضوراً إلهياً ساخناً في وسط المتعبين والمظلومين والفقراء المسحوقين، فيرفع من معنوياتهم، بل ويرفع من قيمتهم، فهو يؤكِّد لهم ولظالميهم أنهم الأقرب إلى الله والأحب. وكان الشعب لا يُخطئ قط بأحاسيسه المرهفة في إدراك أن النبي يحمل لهم ليس محبة وتحيات من عند الله وحسب، بل قوة معنوية وخيراً وبركة، فكان بمثابة من يردّ لهم النصيب الضائع. لذلك كان الأنبياء بالنسبة للشعب المنهوك والمطحون يُحسبون كمنقذين وباباً جديداً مفتوحاً للرجاء.

وحتى لو كانت كلمات النبي مؤنِّبة أو محذِّرة ومملوءة بالسخط من أجل فساد العامة منهم، فإنهم غالباً ما يذعنون لها، وبإذعانهم القلبي كانت تحدث معجزات التغيير والتجديد.

والعجيب حقاً أنه لم تقم كارثة إلاَّ وسبقها صوت نبي بمدَّة كافية جداً للتوبة والرجوع، ولم تحدث مصيبة إلاَّ وكان معها أصوات التعزية من الأنبياء مع رنَّة رجاء للثقة والتمسُّك بمواعيد الله. ولكن كان صوتهم مستتراً لا يُسمع إلاَّ في أوقات الضيق الشديد والمواقف الحرجة، أو عند انحلال الشعب وطغيان الفساد والابتعاد عن الله.

وكل هذه السمات الصادقة نجدها متحققة في شخصية عاموس النبي وهو أول نبي ظهر في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد لينذر بالمصير المحتوم:

1ـ فهو يشهد لنفسه أنه ليس نبيًّا أصلاً أي ليس محترفاً وليس ابن نبي. لم يأخذ النبوَّة بالميراث ولكن الله هو الذي أرسل كلمته في قلبه لينطقها: « فأجاب عاموس وقال لأمصيا (الكاهن) لست أنا نبيًّا ولا ابن نبي (أي لست من زمرة الأنبياء المأجورين) بل أنا راعٍ وجاني جميز، فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب: اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل.» (عا 14:7و15)

2ـ وهو يقرِّر أنه ينطق بنفس كلمات الله التي ينطقها الله في قلبه وهو ليس له قدرة أن يحبسها ولا ينطق بها: «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلاَّ وهو يُعلن سرَّه لعبيده الأنبياء ... السيد الرب قد تكلَّم فمن لا يتنبأ؟ »(عا 7:3و8)

3ـ وهو يتكلَّم ضد الملك علناً وأمام كل الشعب وفي طول البلاد

وعرضها، لأن يربعام الثاني بن يهوآش ملك إسرائيل آنئذ قد أساء إلى وظيفته وعمل الشر أمام الله: «وعمل الشر في عيني الرب. لم يحد عن شيء من خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ» (2مل 14:24). أي أنه ضلَّ وعبد الأوثان وأضل الشعب وجعلهم يعبدون الأوثان، فكان كلام عاموس ضد الملك: «فأرسل أمصيا **كاهن بيت إيل** إلى يربعام ملك إسرائيل قائلاً: قد فَتَنَ عليك عاموس في وسط بيت إسرائيل، لا تقدر الأرض أن تطيق كل أقواله! لأنه هكذا قال عاموس: يموت يربعام بالسيف ويُسبَى إسرائيل عن أرضه.» (عا 7:10و11)

ولما احتج أمصيا الكاهن على أقوال عاموس وخاصة أنه أذاعها في بيت إيل وهي مراكز اختصاص أمصيا الكاهن، لم يتورَّع عاموس من أن يوجِّه إلى أمصيا الكاهن أفظع الكلام:

+ «فقال أمصيا لعاموس: أيها الرائي اذهب اهرب إلى أرض يهوذا وكُل هناك خبزاً وهناك تنبأ وأمَّا بيت إيل فلا تَعُدْ تتنبأ فيها ... فأجاب عاموس وقال لأمصيا ... الآن اسمع قول الرب: أنت تقول لا تتنبأ على إسرائيل ... لذلك هكذا قال الرب: امرأتك تزني في المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف وأرضك تُقسَّم بالحبل وأنت تموت في أرض نجسة وإسرائيل يُسبى سبياً عن أرضه.» (عا 7:12ـ17)

ومن هنا يتضح أن في النبي قوةً دافعةً تجعله ينطق ولا يرهب إنساناً، ويشعر أن كل ما عليه هو أن يوصِّل الرسالة ولو تحت تهديد السيف والموت.

إن ظهور نبوَّة عاموس في أحرج الأيام بالنسبة لإسرائيل كان بداية لتوظيف الأنبياء في خط جديد بالنسبة لتاريخ إسرائيل، كمعلمين لتوعية

الشعب ورفع مستواه الديني وإدراكاته لمفهوم وحدانية الله، ثم زجرهم لرداءة سلوكهم. وكانت كلماتهم كالسياط على ظهور الملوك والكهنة، فكانوا يمثِّلون صوت الله الحقيقي الصافي والنقي والجريء. وكانت تتحقَّق نُبوَّاتهم بصدق أمام الشعب مما أدخل الرعب في قلوب العصاة سواء من الشعب أو الرؤساء.

وهكذا حلَّ النبي في وسط الشعب بالكلمة عوض تابوت عهد الله، إذ نجح النبي بالفعل أن يمثِّل حضور الله ليصحِّح مسار الأُمة كلها. وظلَّ خط النبوَّة التعليمية يمتد في مسيرته الفعَّالة من أيام عاموس حتى إلى ثلاثة قرون.

صحيح أن الأنبياء المعلمين كان يعوزهم أعمال البطولة التي كانت لأنبياء العصور الأُولى، كموسى ويشوع وصموئيل وإيليا وإليشع، أنبياء المعجزات الباهرة. ولكن احتفظ الأنبياء المعلمون بالخط التقليدي الروحي الموروث من الأنبياء السابقين دون استحداث قط، والتزموا بالتراث المسلَّم إليهم في عبادة الله ومخافته وبكل الطقوس. وكانت معظم خدمات الأنبياء ذات طابع رسمي وفي حدود أماكن العبادة. غير أنه كان منوطاً بهم أن يطوِّروا المسلَّمات التقليدية إلى أوضاع جديدة تحتِّمها الظروف الجديدة. كان النبي يشير إلى ضرورة الخضوع والتسليم للعدو المحاصِر للمدينة حتى ينجو الشعب والملك من الذبح والفناء، وهذه كانت تتطلَّب حكمة وشجاعة صلبة.

والأنبياء المعلِّمون ولو أنهم كلهم كانت لهم رؤاهم الخاصة (إش 6)، ولكن كانت تعاليمهم عن صحو ولغتهم تخرج بموسيقى شعرية في غاية الإحكام والوزن، وكانت تُدوَّن بدقة، لذلك خرجت نبواتهم في أسفار مكتوبة على مستوى الإملاء. وبالرغم من أن بعضهم كان من سلك الكهنوت، إلاَّ أنهم لم يمارسوا الكهنوت ولا الطقس قَط، إذ صارت النبوَّة في

إسرائيل تخصُّصاً عالياً بحد ذاته يشرف على كافة التخصصات الأخرى، حتى ولو كان النبي من الحُفاه مثل هذا الراعي عاموس، فلا مانع من أن يوبِّخ الملك ورئيس الكهنة معاً، لأنه كان يشعر بأنه يمثِّل رب القوات وأنه يعلن كلمة الله.

وبالرغم من الكلمات النارية التي كانت تخرج من أفواههم، والتي كانت قادرة دائماً أن تحدث تجديداً بل ثورة في الشعب، إلاَّ أنهم لم يشتركوا قط في ثورة أو عمل ضد الدولة.

وكانت تعاليم الأنبياء تنحصر في نقاط رئيسية: أن لا يخالط الشعب الأجانب لأنه فخ لعبادة الأوثان، التي هي السوس الذي نخر في عظم الأُمة حتى أسقطها، ثم الالتزام بالناموس بمقتضى عهد الله الذي يقيّم السلوك العام والخاص، والذي على أساسه وبَّخ ناثان الملك داود الذي اغتصب امرأة آخر، وعلى نوره وبَّخ إيليا أخآب في جريمته لقتل نابوت اليزرعيلي واغتصاب بستانه على أنه اشتهى ما لغيره!! وبالنسبة لعبادة آلهة غريبة كان مَثَل إيليا وذبحه لأنبياء البعل صورة واضحة لا تفارق ذهن النبي.

وهكذا كان الخط العام للتعليم مرسوماً أمام أنبياء التعليم على أساس ما استلموه من الأنبياء السابقين نبيًّا عن نبي: عاموس عن ميخا بن يمله (1مل 8:22) عن إيليا عن أخيَّا الشيلوني (1مل 29:11) عن ناثان عن صموئيل عن يشوع عن موسى عن الله في جبل حوريب !! وكأن قوة الروح التي حلَّت على موسى لم تفارق إسرائيل قط، تنتقل من جيل إلى جيل بلا انقطاع، والتي من خلالها كان صوت الله يحكم في الشعب له أو عليه، وكان الأنبياء هم رسل الدينونة لمحكمة الله العليا، حتى ينتبه كل رئيس أو ملك أن الله هو وحده الحاكم على شعبه إسرائيل، وأن يلتزم الجميع بإرادة الله.

وفي حال ما أدرك النبي أن الشعب مع الملك تمرَّدوا على الله، وجنحوا وراء شهواتهم ومشوراتهم ورفضوا صوت الله، كانت كلمات الأنبياء عنيفة ونارية كما حدث بعد منتصف القرن الثامن قبل الميلاد. ولكن عندما بالغ الشعب في خروجه عن الناموس ورفضه للتوجيه واستقرت في وعي الأُمة بملكها وكهنتها الاستهانة بحدود العهد التي وضحت في عبادة آلهة الأُمم الصنمية عوض عبادة الله، كان منطوق الرسالة السماوية التي جاء بها الأنبياء ينحصر في بنود حكم الدينونة، حيث يُنصِّب الله نفسه كعنصر الاتهام وعنصر القضاء معاً، وقد أعدَّ العقوبة وما بقي إلاَّ النطق بها. فعوض بركات العهد التي تنعَّموا بها تكون لعناته، أمَّا وعوده التي وعدها بقسم بخصوص حبه ولطفه وبركاته فدفعها الله إلى الأمام في المستقبل البعيد لتتخطَّى أجيال الغضب، فلا تكون من نصيبهم بل تأخذ أبعاداً أخرى أعظم وأوسع.

والآن وقد رأينا أُمَّة إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد تزداد قوة حتى تبلغ في منتصف القرن أوج اتساعها وعظمتها ورخائها، ولكن بلغ العفن في العبادة والأخلاق مبلغ العطب الذي لا شفاء منه.

أمَّا بالنسبة لإسرائيل في الشمال فقد أعلن الله تخلِّيه عنها وحان غروب شمسها لتدخل عتمة ليلها الطويل.

وأمَّا يهوذا أختها في الجنوب فقد أُعطيت زماناً قليلاً بعد وإن كانت تسير في نفس المصير ولكن ببطء.

أمَّا في غرفة مشورة الله الأزلية فقد أُعِدَّت خطة لتجديد
إيمان إسرائيل بصورة أخرى لتدخل الحياة بدفعة جديدة

أنبياء التعليم والإنذار في مملكة إسرائيل:

عاموس ثم هوشع ثم إشعياء:

لقد عاصر كل من عاموس النبي وهوشع النبي الملك يربعام الثاني في أواخر أيامه دون بقية الأنبياء، فعاموس النبي ظهر أولاً وبعده مباشرة ظهر هوشع، فعاصر الاثنان كلاً من يربعام الثاني والملك زكريا 746ـ745 ق.م، والملك شلوم 745 ق.م، والملك منحيم 745ـ738 ق.م، والملك فقحيا 738ـ737 ق.م من ملوك إسرائيل. وحدث بعد ذلك الغزو الأول لأشور ضد إسرائيل في الشمال على يد تغلث فلاسر الثالث (2مل 29:15). لذلك يقتصر وصف إسرائيل في هذه الحقبة الزمنية ـ من الملك يربعام الثاني إلى الملك فقحيا ـ بفم هذين النبيين:

نبوَّة عاموس النبي على إسرائيل:

+ «أقوال عاموس الذي كان بين الرعاة من تَقُوع التي رآها على إسرائيل في أيام عُزِّيَّا ملك يهوذا وفي أيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل قبل الزلزلة بسنتين.» (عا 1:1)

+ «فقال لي الرب: قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل، لا أعود أصفح له بعد. فتصير أغاني القصر ولاوِل في ذلك اليوم يقول السيد الرب. الجثث كثيرةٌ يطرحونها في كل موضع بالسكوت.» (عا 2:8و3)

+ «المضطجعون على أسرة من العاج والمتمدِّدون على فراشهم. والآكلون خرافاً من الغنم وعجولاً من وسط الصيرة. الهاذرون مع صوت الرباب المخترعون لأنفسهم آلات الغناء كداود (كان ذلك عند داود للتسبيح أمام الرب وليس للمجون)، الشاربون من كؤوس الخمر والذين يدَّهنون بأفضل الأدهان ... لذلك الآن يُسبَون في أول المسبيين ويزول

صياح المتمدِّدين!» (عا 6:4ـ7)

+ «اسمعوا هذا أيها المتهمِّمون (الناثرون التراب على رؤوس) المساكين لكي تُبيدوا بائسي الأرض قائلين: متى يمضي رأس الشهر لنبيع قمحاً والسبت لنعرض حنطة. لنُصغِّر الإيفة (مكيال الحبوب) ونُكبِّر الشاقل (صنج الموازين) ونعوِّج موازين الغش، لنشتري الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح. لقد أقسم الرب بفخر يعقوب أني لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم ... وأُحوِّل أعيادكم نوحاً (في العيد يذهب اليهود ليبكوا على حائط المبكى) وجميع أغانيكم مراثي وأُصعِد على الأحقاء (الوسط) مسحاً (لباس المذلة).» (عا 4:8ـ7و10)

+ «يذهب رجل وأبوه إلى صبيَّة (زانية) واحدة حتى يدنِّسوا قدسي (منتهى الإباحية التي يقشعر منها أي إنسان!!).» (عا 7:2)

+ «أُولئك الذين يَخزِنُون الظلم والاغتصاب في قصورهم لذلك هكذا قال السيد الرب ضيقٌ (عليكم) حتى في كل ناحية من الأرض فيُنزل عنك عزَّك وتُنهب قصورك ... هكذا يُنتزع بنو إسرائيل الجالسون في السامرة في زاوية السرير وعلى دِمَقْسِ الفراش ... وأَضرِبُ بيت الشتاء مع بيت الصيف فتبيد **بيوت العاج** وتضمحل العظمة يقول الرب.» (عا 10:3ـ12و15)

+ « إنهم من الباب يُبغضون المنذر ويكرهون المتكلِّم بالصدق، لذلك من أجل أنكم تدوسون المسكين وتأخذون منه هدية قمحٍ، بنيتم بيوتاً من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها، وغرستم كروماً شهيةً ولا تشربون من خمرها، لأني علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة أيها

المضايقون البار الآخذون الرشوة الصادُّون البائسين في (من على) الباب.»(عا 5:10ـ12)

- « لا أعود أصفح له بعد، فتقفر مرتفعات إسحق وتَخْرَبُ مقادس إسرائيل وأقوم على **بيت يربعام** بالسيف.» (عا 7:8و9)
- «هأنذا آمُرُ فأُغربل بيت إسرائيل بين جميع الأُمم كما يُغربل في الغُربال (القمح) وحبَّةٌ لا تقع إلى الأرض. بالسيف يموت كل خاطئي شعبي القائلين: لا يقترب الشر ولا يأتي بيننا.» (عا 9:9و10)
- « هوذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الأرض، غير أني لا أبيد بيت يعقوب تماماً يقول الرب.» (عا 8:9)

رؤية عاموس النبي لما بعد السبي:

- «في ذلك اليوم أُقيم مظلة داود الساقطة وأحصِّن شقوقها وأُقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر ... وأردُّ سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون ...» (عا 11:9و14)

نبوَّة هوشع النبي على إسرائيل:

- «قول الرب الذي صار إلى هوشع بن بئيري في أيام ... يربعام بن يوآش ملك إسرائيل.» (هو 1:1)
- «بعد قليل أُعاقب بيت "**ياهو**" على دم يزرعيل وأُبيد مملكة بيت إسرائيل.» (هو 4:1)
- «قولوا لإخوتكم عمِّي ولأخواتكم رُحامة. حاكموا أمكم (إسرائيل) حاكموا لأنها ليست امرأتي وأنا (الله) لست رَجُلهَا لكي تعزل زناها

عن وجهها وفسقها من بين ثدييها، لئلاً أجرِّدها عريانة ... ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنىً (عبَّاد أوثان).» (هو 2:1-4)

+ «أُبطل كل أفراحها أعيادها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها، وأُخرِّب كرمها وتينها ... فيأكلهما حيوان البرية ... وأُعاقبها على أيام "بعليم" (الصنم) التي فيها كانت تبخِّر لهم ... وأنزع أسماء البعليم من فمها فلا تُذكر أيضاً بأسمائها.» (هو 2:11-13و17)

+ «لأن بني إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال ....» (هو 4:3)

+ «اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل: إن **للرب محاكمة** مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض: لعنٌ وكذِبٌ وقتلٌ وسرقةٌ وفسقٌ ... ودماءٌ تلحق دماءً ... قد هلك شعبي من عدم المعرفة. لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكهن لي، ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضاً بنيك، على حسبما كثروا هكذا أخطأوا إليَّ فأُبدِل كرامتهم بهوانٍ. يأكلون خطية شعبي ... فيكون كما الشعب هكذا الكاهن وأعاقبهم على طرقهم وأردُّ أعمالهم عليهم ... لأنهم قد تركوا عبادة الرب.» (هو 4: 1و2و6-10)

+ «اسمعوا هذا **أيها الكهنة** وانصتوا **يا بيت إسرائيل** وأصغوا **يا بيت الملك** لأن عليكم القضاء.» (هو 1:5)

+ «وكما يكمُن لصوص لإنسان. كذلك زُمرة الكهنة في الطريق يَقْتُلُونَ ... إنهم قد صنعوا فاحشة. في بيت إسرائيل رأيت أمراً فظيعاً ... تنجَّس إسرائيل.» (هو 6: 9و10)

+ «يقولون لا ملك لنا لأننا **لا نخاف الرب** فالملك ماذا يصنع بنا.» (هو 3:10)

وهنا وضوح لحنثٍ سافرٍ بوصايا الله وتحدٍّ لله نفسه واستهتار بالملك الذي هو أصلاً من اختيار الله لتكميل إرادة الله. وهكذا يوضِّح هوشع النبي ما آل إليه حال الحكم والانضباط في البلاد.

+ «قد كَرِهَ إسرائيل الصلاح فيتبعه العدو، هم **أقاموا ملوكاً وليس منِّي، أقاموا رؤساءَ وأنا لم أعرف** (هنا الرب يظهر رفضه للملوك الذين اغتصبوا الملك بدون دعوة من الله) صنعوا لأنفسهم من فضتهم وذهبهم أصناماً لكي ينقرضوا! ... يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة.» (هو 8: 3و4و7)

عودة إسرائيل:

+ «بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام.» (هو 5:3)

نبوَّة إشعياء النبي بن آموص على إسرائيل[3]:

+ «أرسل الرب قولاً في يعقوب فوقع في إسرائيل. فيعرف الشعب كله أفرايم وسكان السامرة القائلون بكبرياء وبعظمة قلب: قد هبط اللبن فنبني بحجارة منحوتة، قُطع الجميز فنستخلفه بأرز. فيرفع الرب أخصام رصين عليه ويهيِّج أعداءه، الأراميين من قدَّام والفلسطينيين من وراء فيأكلون إسرائيل بكل الفم. مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة

(3) إشعياء النبي قد تنبأ على كل من يهوذا وإسرائيل. ومعظم نبواته كانت على يهوذا انظر صفحة (168ـ180).

بعد.» ((إش 9: 8-12)

+ «والشعب لم يرجع إلى ضاربه ولم يطلب رب الجنود، فيقطع الرب من إسرائيل الرأس والذَّنَبَ النخل والأسل في يومٍ واحدٍ. الشيخ والمعتَبَر هو الرأس، والنبي الذي يُعلِّم بالكذب هو الذنب. وصار مرشدو هذا الشعب مُضلِّين ومرشدوه مُبتلَعين. لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه ولا يرحم يتاماه وأرامله لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شرٍّ. وكل فم متكلِّم بالحماقة. مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد. »(إش 9: 13-17)

عودة إسرائيل:

+ «ويكون في ذلك اليوم أن بقية إسرائيل والناجين من بيت يعقوب لا يعودون يتوكَّلون أيضاً على ضاربهم بل يتوكَّلون على الرب قدوس إسرائيل بالحق. ترجع البقية بقية يعقوب إلى الله القدير. لأنه وإن كان شعبُكَ يا إسرائيل كرمل البحر ترجع بقيةٌ منه.» (إش 10: 20-22)



9 – بقية تاريخ مملكة إسرائيل حتى السبي
(746 – 721 ق.م)

بعد موت يربعام الثاني 746 ق.م دخلت إسرائيل في كوارث لا تنتهي، وظهرت فضائحها على السطح، وتبيَّنت هذه الفوضى التي كانت مستترة عندما بدأت تواجه بالفعل أخطر عدو لها وهو أشور الذي ظل يهددها على مدى التاريخ. ففي أقل من خمس وعشرين سنة استطاعت أشور أن تمسح إسرائيل من على خريطة الدول.

وضحت هذه الفوضى بعد موت يربعام الثاني في كيفية قيام وسقوط الملوك، ففي مدى عشر سنوات اعتلى العرش خمسة ملوك، ثلاثة منهم ليس فيهم أحد يمتلك أي نوع من الشرعية، ولكن احتلوا العرش بالعنف والقتل.

زكريا بن يربعام: 746–745 ق.م

ملك ستة شهور وقتلوه. قتله شلُّوم بن يابيش (2مل 15:10).

شلُّوم بن يابيش: 745 ق.م

ملك شهراً واحداً واغتيل.

منحيم بن جادي: 745–738 ق.م

وكان يناصره حاكم مدينة ترصة. وهذا أراد أن ينتقم لنفسه إذ يبدو أنهم منعوه من أن يصل إلى الملك فهاجم منحيم مدينته تفصح وضربها وكل تخومها (2مل 15:16).

وعمل منحيم الشر في عيني الرب.

وعلى أيامه جاء الملك فول Pul ربما سنة 738 ق.م، وبتحقيق الآثار والحفائر عُرِف أن الملك فول Pul ملك أشور هو نفسه تغلث فلاسر Tiglath Pilaser (2مل 29:15)، فقدَّم له منحيم جزية ثقيلة على كل رجل يملك أرضاً في إسرائيل، ولم يكن لمنحيم اختيار فخضع صاغراً، فرجع ملك أشور.

فقحيا بن منحيم: 738ـ737 ق.م

كان يعتقد منحيم أن ملك أشور سيثبّته على كرسيه المزعزع، ولكن لم يكن هذا ممكناً، إذ قاومه الوطنيون من بني إسرائيل ولم يقبلوا وراثة ابنه، وسرعان ما اتحدوا ضده وقام أحد قواده ـ وهو فقح بن رمليا ـ واغتاله.

فقح بن رمليا: 737ـ732 ق.م

يخبرنا سفر إشعياء النبي أن «رصين ملك أرام صعد مع فقح بن رمليا ملك إسرائيل إلى أُورشليم (اليهودية) لمحاربتها فلم يقدر أن يحاربها. وأُخبر بيت داود وقيل له قد حلَّت أرام في أفرايم فرجف قلبه (قلب آحاز ملك اليهودية) وقلوب شعبه ... فقال الرب لإشعياء: اخرج لملاقاة آحاز ... وقل له: احترز واهدأ لا تخف لا يضعف قلبك ... لا يكون.» (إش 7: 1ـ15)

ولكن يخبرنا سفر أخبار الأيام الثاني (5:28) أن يهوذا وقعت تحت غارة عنيفة من إسرائيل تخلو من الرحمة على يد فقح بن رمليا، يبدو أنها محاولة أخرى لإخضاعهم غير التي أُنقذوا منها، كما هو مدوَّن في سفر إشعياء. وكانت هذه الضربة عظيمة للغاية، ودفع الرب آحاز (ملك يهوذا) ليد ملك إسرائيل «فضربه ضربة عظيمة، وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مئة وعشرين ألفاً

في يوم واحد الجميع بنو بأس» (انظر كيف أكل بنو إسرائيل بعضهم بعضاً)، ونهبوا أيضاً منهم غنيمة وافرة وأتوا بالغنيمة إلى السامرة، «**وسبى بنو إسرائيل من إخوتهم مئتي ألف من النساء والبنين والبنات**» (2أي 28: 5ـ9). وقد وبَّخهم نبي السامرة وكان اسمه عوديد توبيخاً شديداً حتى أعادوا المسبيين مرَّة أخرى وألبسوهم لأنهم كانوا عراة:

+ «وألبسوا كل عراتهم من الغنيمة وكسوهم وحذوهم وأطعموهم وأسقوهم ودهنوهم وحملوا على حمير جميع المعيِين منهم وأتوا بهم إلى أريحا.» (2أي 15:28)

وكان على أثر هذه الضربة المميتة التي تلقتها يهوذا من أختها إسرائيل في الشمال أن تضعضعت قوة يهوذا، فانتهزت أدوم هذه الفرصة وكسرت نير الجزية وطردت الحامية اليهودية واستعادت حريتها بعد أن كانت تحت خضوع يهوذا مائة سنة. وهذا الأمر نفسه فعلته المدن الفلسطينية على الساحل إذ كسرت نير يهوذا وتحرَّرت مدن كثيرة، بل وحاربت يهوذا واحتلت كثيراً من مدنها في الجنوب والسهل:

+ «واقتحم الفلسطينيون مدن السواحل وجنوبي يهوذا وأخذوا بيت شمس وأيلون وجديروت وسوكو وقُراها وتمنة وقُراها وجمزو وقُراها وسكنوا هناك.»(2أي 18:28)

+ «والأدوميون أتوا أيضاً وضربوا يهوذا **وسَبوا سبياً**.» (2أي 17:28)

وهكذا وجدت يهوذا نفسها وحيدةً ومهدَّدة من الشمال بإسرائيل ومن الجنوب بأدوم ومن الغرب بالفلسطينيين، فأرسل الملك آحاز إلى ملوك أشور (تغلث فلاسر Tiglath-Pilaser) لنجدته ووقف إشعياء النبي أمام آحاز يتوسَّل إليه أن لا يأخذ هذه الخطوة ويتكل على إله إسرائيل، فرفض:

+ «وأرسل آحاز رُسلاً إلى تغلث فلاسر ملك أشور قائلاً: أنا عبدك وابنك. اصعد وخلِّصني من يد ملك أرام ومن يد ملك إسرائيل القائمين عليَّ. »(2مل 7:16)

نقش على حجر يوضِّح كيف انتصر شلمنأسر الثالث في معركة كركر.
ويظهر فيها ياهو ملك إسرائيل ساجداً أمام الملك الأشوري شلمنأسر،
واليهود يقدِّمون له الجزية والهدايا

وصحَّ في هذا الملك القول المشهور واستجار من الرمضاء (شدة الحَرِّ) بالنار، ولم يكن مجَّاناً أن يأتي ملك أشور لنجدة يهوذا؟ «فأخذ آحاز الفضة والذهب الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وأرسلها إلى ملك أشور هدية» (2مل 8:16). وهذه بحد ذاتها جريمة في حق المقدَّسات وحق الشعب. ولم يكتفِ بهذا بل عندما سمع آحاز باقتراب الملك من دمشق أسرع إلى هناك وقدَّم له الولاء مثل ياهو الذي سجد أمام الملك شلمنأسر (انظر اللوحة) وأخذ مقدَّسات وأوصاف مذبح أصنام

ملك دمشق وأمر رئيس الكهنة أن يعمل مثلها في الهيكل، وكسَّر وغيَّر في بيت الرب ليلائم عبادة ملك أشور، وبالفعل قدَّم الذبائح لآلهة دمشق: «وقطع الملك آحاز أتراس القواعد ورفع عنها المرحضة وأنزل البحر عن ثيران النحاس التي تحته ... ومدخل الملك من خارج غيَّره في بيت الرب من أجل ملك أشور» (2مل 16: 17و18) «فجاء عليه تغلث فلاسر ملك أشور وضايقه ولم يشدِّده ... ولم يساعده ... وفي ضيقه ذبح لآلهة دمشق.» (2أي 28: 20و23)

ويتقدَّم ملك أشور تغلث فلاسر الثالث إلى دمشق ويأخذها ويقتل ملكها رصين ويعبرها، وينزل على سوريا وفينيقية ويتجه نحو الساحل حتى الجنوب ويضرب الفلسطينيين ويستولي على غزة ليقطع الطريق إلى مصر، وينزل حتى وادي العريش (نهر مصر) ويستولي على كل المدن الحصينة هناك، وذلك حوالي سنة 733 ق.م[4]. ويعود إلى إسرائيل فيضربها الضربة القاضية، كل الأرض والجليل وعبر الأُردن، ويسبي جزءاً كبيراً من الشعب وينقله ـ ولا نعلم إلى أين نقل شعب إسرائيل ربما إلى نينوى وجلب شعوباً أخرى لتستوطن الجليل والبلاد التي أخلاها ـ وحطَّم المدن الحصينة وجعل مَجدُّو قاعدة تحصين لأشور:

+ «في أيام فقح ملك إسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك أشور وأخذ عيون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالي وسباهم إلى أشور.» (2مل 15:29)

وتشير البعثات الحديثة للكشف والآثار إلى عثورهم على بقايا حصن خريطة غـزو الأشـوريين لمملكـتي إسـرائيل ويهـوذا (734-732 ق.م)

(4) J. Bright, *A History of Israel*, p. 273.

تغلث فلاسر في مدينة حاصور Hazor في الجليل (2مل 29:15). كما وجدوا قدراً من الفخار عليها ختم الملك فقح Pekah[5]. ولولا أن قام شخص اسمه هوشع بن إيلة وقتل فقح بن رمليا (2مل 20:15) وخضع ودفع الجزية لكان ملك أشور قد خرَّب كل بلاد إسرائيل.

هوشع ملك إسرائيل: 732-724 ق.م

ملك تحت ولاية تغلث فلاسر الثالث. **وهكذا انتهت إسرائيل على يد فقح بن رمليا وسياسته الخرقاء ولم يبق من أهلها وأرضها إلاَّ أقل القليل!! وعوض عشرة أسباط بقي سبط أفرايم والجزء الغربي من سبط منسى.**

وقد اكتشفت البعثات في سجلات أشور كتابة: [وقد أقمت هوشع ملكاً عليهم]، كما وجد في السجلات اسم آحاز ملك يهوذا كأحد الملوك الذين يدفعون الجزية.

ولكن نقمة الحرب والمجازفة لم تفارق ملوك إسرائيل بعد كل هذا وفوق كل هذا! فبمجرَّد أن مات تغلث فلاسر الثالث ملك أشور وقام ابنه شلمنأسر الخامس عوضاً عنه ملكاً على أشور، فهم هوشع بعقليته التافهة أنها فرصته ليتخلَّص من نير أشور ودفع الجزية، فالتجأ إلى مصر وأرسل إلى فرعون مصر (تفناخت Tefnakht) يطلب الحماية من أشور. وللأسف كانت الأسرة الرابعة والعشرين ومركزها ''صا'' أو صايس غرب الدلتا من أضعف ما يمكن، ولم يرد جواباً على هوشع (2مل 4:17). وكان هذا الإجراء بمثابة انتحار لهوشع ملك إسرائيل، ففي سنة 724 ق.م غزا شلمنأسر إسرائيل وقبض على هوشع وأخذه أسيراً، ولم يُبقِ من إسرائيل إلاَّ السامرة وهذه بقيت حرَّة سنتين خريطة غزو الأشوريين لمملكة إسرائيل 725 ق.م وسقوط عاصمتها السامرة 722

---

(5) G. Ernest Wright, *Biblical Archaeology*, p. 105.

فقط. وحينما مات شلمنأسر واستلم الحكم سرجون الثاني سنة 722 ق.م أخذ السامرة، وهذا بحسب سجلات سرجون نفسه، ولكن يبدو أن رواية الكتاب المقدَّس أصدق إذ يقول إن الذي استولى عليها هو شلمناصر وذلك في خريف سنة 721/722 ق.م:

+ «وصعد ملك أشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين، وفي السنة التاسعة لهوشع (ابن إيلة ملك إسرائيل) أخذ ملك أشور السامرة **وسبى إسرائيل إلى أشور وأسكنهم في حَلَح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي.**» (2مل 17: 5و6)

وأسر ملك أشور 27290 نسمة من إسرائيل سباهم في أشور شمال ما بين النهرين وفي بلاد مادي Media. ويا للحزن والأسف فلم يُسمع لهم حسٌّ ولا خبرٌ بعد ذلك إذ اضمحلوا من التاريخ(6)**!!**

نبوَّة هوشع النبي عن سقوط مملكة إسرائيل:

+ «**إني هناك أبغضتهم من أجل سوء أفعالهم، أطردهم من بيتي، لا أعود أحبهم، جميع رؤسائهم متمردون، أفرايم مضروب، أصلهم قد جفَّ، لا يصنعون ثمراً ... فيكونون تائهين بين الأمم.**» (هو 9: 15-17)

+ «**حتى نحَّى الرب إسرائيل من أمامه** كما تكلَّم عن يد جميع عبيده الأنبياء، **فسُبي إسرائيل من أرضه إلى أشور إلى هذا اليوم. وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوَّا وحماه وسفروايم (وشكيم حسب النقوش الأثرية) وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل**

(6) W. Albright, *BASOR* 149 (1958), pp. 33-36, cited by J. Bright, *A History of Israel*, p. 274.

فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها.» (2مل 17: 23و24)

وهؤلاء هم أهل السامرة الذين اختلطوا باليهود الذين نسمع عن نسلهم باسم السامريين في الإنجيل الذين كانوا يكرهون اليهود ولا يعاملونهم!!

والعجيب جداً في هذا الأمر أن أهل السامرة الجدد طلبوا أن يعبدوا إله إسرائيل من ملك أشور، فأرسل إليهم كاهناً من كهنة بني إسرائيل ليعلِّمهم الشريعة وعبادة الرب (2مل 17: 27و28)، فكانوا يعبدون الرب إله إسرائيل ويعبدون آلهتهم الصنمية في نفس الوقت وظلوا كذلك:

+ «كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأُمم الذين سبوهم من بينهم.» (2مل 17:33)

10 ـ مملكة يهوذا بعد سقوط مملكة إسرائيل (721 ـ 687 ق.م)

لم تزد أيام يهوذا كثيراً بعد سقوط إسرائيل في سنة 721 ق.م ووقوعها في سبي لم يكن له عودة، إذ بقيت يهوذا ما يقرب من قرن وربع في حالة مهدَّدة تدفع الجزية لأشور.

ملوك يهوذا في هذه الفترة:

آحاز: 735ـ715 ق.م:

عرفنا في أيام فقح بن رمليا أنه كان قد عقد حِلْفاً مع رصين ملك أرام ومع الفلسطينيين ومع أدوم تحسُّباً من قوة ملك أشور وتهديده، وعرض على ملك يهوذا آحاز فلم يقبل ولم ينضم إلى الحِلْف، الأمر الذي كلَّفه غارة فظيعة من إسرائيل وأعوانها خرَّبت كثيراً من البلاد.

ولكن بسبب رفض آحاز ملك يهوذا الانضمام إلى الحِلْف المعادي لأشور، كان من نتيجة ذلك أنها لم تقع تحت نقمة أشور فبقيت تابعة لأشور مدة قرن وربع من الزمان.

ولكن، وكما سبق أن أوضحنا، فإن آحاز ترك عبادة إله إسرائيل وانحاز إلى عبادة آلهة الأُمم، ومالأ ملك أشور، وبنى له مذبحاً، وأبطل كل عبادة يهوه في هيكله، فبقي غضب الله مُبيَّتاً له على فم إشعياء النبي وعلى فم ميخا النبي:

نبوَّة إشعياء النبي على آحاز ملك يهوذا:

+ «ثم عاد الرب فكلَّم آحاز قائلاً: ... يجلب الرب عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك أياماً لم تأتِ منذ يوم اعتزال أفرايم (إسرائيل) عن يهوذا، أي ملك أشور. ويكون في ذلك اليوم أن ... كل الأرض تكون شوكاً وحسكاً ... فتكون لسرح البقر ولدوس الغنم.» (إش 7: 10و17و24و25)

+ «فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب ... لأنهم ... عائفون (سَحَرَة) كالفلسطينيين (ويلعبون) ويصافحون أولاد الأجانب ... وامتلأت أرضهم أوثاناً ويسجدون لعمل أيديهم.» (إش 2: 6-9)

أقوال ميخا النبي على آحاز:

+ «ويكون في ذلك اليوم يقول الرب، إني أقطع خيلك من وسطك وأبيد مركباتك وأقطع مدن أرضك وأهدم كل حصونك وأقطع السحر من يدك ولا يكون لك عائفون، وأقطع تماثيلك المنحوتة وأنصابك من وسطك فلا تسجد لعمل يديك في ما بعد.» (مي 5: 10-13)

ولقد فاق آحاز ملك يهوذا كل قبائح وجنون كل الملوك الذين قبله والذين جاءوا بعده، فقد أجاز هذا الملك المجنون ابنه في النار، أي قدَّم للأوثان ذبائح بشرية من دمه ولحمه!! لذلك يُذكر هذا الملك في كل تاريخ إسرائيل بهذه الوصمة الفظيعة التي لم يأتها أحد غيره[1].

حزقيا بن آحاز ملك يهوذا: 715-687 ق.م

بدأ بكل حذر يقلب كل الأوضاع التي خلفها له أبوه سواء في البعد عن

(1) J. Bright, *A History of Israel*, p. 275 & note.

إله إسرائيل أو في العبودية لأشور، وقليلاً قليلاً ابتدأ يعمل علناً وبجرأة نادرة ليتخلَّص من نير أشور.

وقد استغل حزقيا سخط الجماعة المتدينة والوطنية ضد تصرفات أبيه، فابتدأ تطهير الهيكل والبلاد من نجاسات العبادات الوثنية. وقد أعانه على العمل تشجيع الأنبياء للعودة إلى عبادة إله إسرائيل، وبالأخص إشعياء وميخا النبيين. وبالأكثر جداً كان أمامه التحذير القاتل لما حدث لإسرائيل أمام عينيه والذي كان واضحاً غاية الوضوح أن مصيرها المشئوم قد صنعته هي بيديها بسبب كسرها للعهد المقدَّس، واستهتارها بعبادة إله إسرائيل، وانجرافها وراء عبادات الأُمم ونجاساتهم.

ولكن كان واضحاً أمام حزقيا أنه طالما بقيت يهوذا تحت احتلال أشور وثقل الجزية وعارها فهي لن تستطيع أن تنهض بعبادتها وتطهيرها للبلاد والشعب معاً. وخاصة صهيون مركز العهد والوعد لداود من قِبَل الله الذي صمَّمت أن تستمد منه القوة طالما كان هناك توبة وصدق في العودة وأمانة في العبادة لدى الشعب. وفي الحقيقة كل هذه العوامل المشجِّعة والدافعة للأمانة والإخلاص كانت موجودة كما في أيام حزقيا الملك كذلك في أيام أبيه آحاز، ولكن كان يعوز آحاز الإيمان والثقة واحترام المواعيد الثمينة ومخافة الله والتأثر بكلام إشعياء وميخا النبيين. وهذا يوافق ما يقوله الوحي عن حزقيا:

+ «على الرب إله إسرائيل اتكل وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ولا في الذين قبله. والتصق بالرب ولم يحد عنه بل حفظ وصاياه التي أمر بها الرب موسى. وكان الرب معه وحيثما كان يخرج كان ينجح، وعصى على ملك أشور ولم يتعبَّد له، هو ضرب الفلسطينيين إلى غزة وتخومها من برج النواطير إلى المدينة المحصَّنة.» (2مل 18: 5-8)

والذي نعرفه من الآثار أنه أسر ملك عكا وسجنه في أُورشليم لأنه رفض الانضمام إليه[2]. وبعد موت سرجون ملك أشور انتهز حزقيا هذه الفرصة بسذاجة وتجرأ وأعلن عصيانه، وكانت النتيجة أن سنحاريب بن سرجون انحدر بجيشه وحاصره في أُورشليم حصاراً للموت فصرخ طالباً السماح:

+ «وفي السنة الرابعة عشر للملك حزقيا (سنة 701 ق.م) صعد **سنحاريب** ملك أشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها. وأرسل حزقيا ملك يهوذا إلى ملك أشور وهو في لاخيش يقول: قد أخطأت ارجع عني ومهما جعلت عليَّ حملته. فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا (الجزية).» (2مل 18: 13و14)

وفعلاً وضع عليه جزية ثقيلة وأخذ منه بناته وأولاده عبيداً. وكانت الجزية حسب سجلات سنحاريب 800 وزنة فضة و30 وزنة ذهب.

+ «فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك. في ذلك الزمان قشَّر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التي كان قد غشَّاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك أشور.» (2مل 18: 15و16)

وقام حزقيا باصلاحاته الدينية والاجتماعية على أعلى مستوى بغيرة قوية وروح عالية وإيمان قويم: «على الرب إله إسرائيل اتكل وبعده لم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ولا في الذين قبله» (2مل 5:18). «فالآن في قلبي أن أقطع عهداً مع الرب إله إسرائيل فيرد عنَّا حمو غضبه» (2أي 11:29). وأعاد حزقيا العبادة في الهيكل كما كانت في أيام داود من صلوات في مواعيدها

---

(2) J. Bright, *A History of Israel*, p. 283.

وتسابيح وذبائح محرقات بحسب الناموس، واشترك الشعب كله في العبادة.

وحاول حزقيا أن يجمع ما بقي من شعب إسرائيل ويضمَّه إلى يهوذا لتكون عبادة واحدة لمملكة واحدة لكل الشعب كما في أيام داود النبي، وأرسل الرسل والسعاة في طول البلاد وعرضها في أرض أفرايم ومنسَّى حتى زبولون، ومن دان إلى بئر سبع «فكانوا يضحكون عليهم ويهزأون بهم، إلاَّ أن قوماً من أشير ومنسَّى وزبولون تواضعوا وأتوا إلى أُورشليم.» (2أي 30: 10و11)

+ «وكانت يد الله في يهوذا أيضاً فأعطاهم قلباً واحداً ليعملوا بأمر الملك والرؤساء حسب قول الرب، فاجتمع في أُورشليم شعب كثير لعمل عيد الفطير في الشهر الثاني جماعة كثيرة جداً ... وذبحوا الفصح في الرابع عشر من الشهر الثاني.» (2أي 30: 13-15)

رسل بابل للاتفاق مع يهوذا للثورة ضد أشور:

+ «في ذلك الزمان أرسل برودخ بلادان بن بلادان ملك بابل رسائل وهدية إلى حزقيا لأنه سمع أن حزقيا قد مرض، فسمع لهم حزقيا وأراهم كل بيت ذخائره والفضة والذهب والأطياب والزيت الطيب وكل بيت أسلحته وكل ما وجد في خزائنه.» (2مل 20: 12و13)

كان برودخ ملك بابل قد عزم على القيام بالثورة ضد ملك أشور بمساعدة ملك عيلام، ويُعتقد أنه قصد بهذه الهدايا لحزقيا ملك يهوذا أن يشتري ودَّه لينضم إليهم، وكذلك فرعون ملك مصر (شاباكا Shabaka) وذلك سنة 702 ق.م، ضد سنحاريب ملك أشور الذي تولَّى الحكم بعد موت سرجون أبيه.

وكانت كل مدن فلسطين وسوريا وفينيقية وإسرائيل قد تواطأت أيضاً وانضمت للثورة: صور، أشدود، غزة، أشقلون، مع موآب وأدوم وعمون.

أمَّا حزقيا فبالرغم من توعية وتحذير إشعياء النبي المتواصل له، فإنه أرسل إلى مصر يطلب النجدة، لأن إيمانه بالله قد خانه وتخلَّف عن شجاعته. فكانت كلمات إشعياء اللاذعة:

+ «ويل للبنين المتمردين يقول الرب حتى أنهم يُجرون رأياً وليس مني ... **ليزيدوا خطيئة على خطيئة. الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمي** ليلتجئوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر. فيصير لكم حصون فرعون خجلاً، والاحتماء بظل مصر خزياً لأن رؤساءه (رسل حزقيا) صاروا في صوعن وبلغ رسله إلى حانيس.» (إش 30: 1ـ4)

ثم ابتدأ حزقيا بتحصين أُورشليم وإمدادها بمجرى مياه سري من مياه بئر جيحون يجري تحت الأرض ليدخل داخل السور، كذلك أوصلها ببركة سلوام وذلك استعداداً للحصار الطويل (2مل 20:20). وقد اكتُشفت هذه القناة السرية سنة 1880م، ووُجِد محفوراً على حجارة جدرانها كتابة بالعبرانية تفيد زمن حفرها على أيام حزقيا، وهي موجودة الآن في متحف بتركيا، وتُعتبر من أهم آثار إسرائيل. وأخيراً وصل سنحاريب إلى أُورشليم للمرة الثانية للمحاصرة الأخيرة بعد أن أخمد ثورة بابل وثورة صور وكل الثورات في مدن فلسطين والساحل، وضرب حصاراً حول أُورشليم. وتقول لنا الآثار والنقوش وسجلات سنحاريب الملكية المحفوظة أنه ضرب 46 مدينة محصَّنة تابعة ليهوذا وسبى كل مواطنيها الأقوياء، ويقدَّر عددهم بحسب السجلات بحوالي 200150 ويقدرها بعض العلماء 2150 فقط[3].

وضرب جيوش فرعون مصر وهي في الطريق إلى يهوذا، وحاصر حزقيا

(3) J. Bright, *A History of Israel*, p. 284.

وسجنه في أُورشليم كطائر في قفص، وحُرست مداخل المدينة حتى يضيِّق على الفارين منها، وضاعف عليه الجزية السنوية[4] وطال الحصار، وأرسل سنحاريب رسله ليهدِّد حزقيا بكلام مؤلم وشنيع وتعيير ضد إله إسرائيل لم يحتمله حزقيا، فبكى ومزَّق ملابسه وأرسل إلى إشعياء بن آموص النبي يقول:

+ «هذا اليوم يوم شدَّة وتأديب وإهانة. لأن الأجِنَّة قد دنت إلى المولد ولا قوة للولادة ... فارفع صلاة من أجل البقية الموجودة.» (2مل 19: 3و4)

فردَّ النبي إشعياء بكلام واثق ومتمكِّن:

+ «هكذا تقولون لسيدكم هكذا قال الرب: لا تخف ... هأنذا أجعل فيه روحاً فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه وأُسقطه بالسيف في أرضه ... لا يدخل هذه المدينة ولا يرمي هناك سهماً ولا يتقدَّم عليها بترس ولا يقيم عليها مترسة. في الطريق الذي جاء فيه يرجع وإلى هذه المدينة لا يدخل يقول الرب!!» (2مل 19: 5ـ7و32و33)

وقد كان بالفعل وتمَّ بالحرف الواحد:

+ «وكان في تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً[5] ... فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعاً وأقام في نينوى، وفيما هو ساجد في بيت نسروخ إلهه ضربه أدْرَملك وشرآصر ابناه بالسيف ونجوا إلى أرض أراراط وملك أسرحدون ابنه عوضاً عنه.» (2مل 19: 35ـ37)

---

(4) Thompson, *The Bible and Archaeology*, p. 144.

(5) وبالفعل يخبرنا هيرودوت المؤرِّخ أن جيش أشور أصيب بالطاعون بسبب جيوش من الفئران هاجمته ومات منه الكثير (هيرودوت II. 141).

وهكذا مات حزقيا الملك وهو في قمة حزنه على ما أصاب مدينة أُورشليم. لأنه بحسب سجلات سنحاريب نفهم أنه استولى على جميع كنوزها ليس من ذهب وفضة وحسب، بل وأحجار كريمة ومصنوعات خشبية ثمينة، كراسي وأسرَّة من العاج وخشب الأبنوس، كما أخذ بناته وأولاده عبيداً، واستولى على فرق المغنيات والموسيقيات female musicians[6].

ومات حزقيا (687 ق.م) ومات سنحاريب (681 ق.م).

✡ 🕮 ✡

والآن قبل أن نتابع تاريخ مملكة يهوذا حتى وقوعها في السبي (سنة 587 ق.م) يليق أن نستعرض الدور الأساسي الذي قام به أنبياء التعليم والإنذار لتوجيه تاريخ الشعب في هذه الفترة العصيبة.

---

(6) G. Ernest Wright, *Biblical Archaeology*, pp. 109, 110.

أنبياء التعليم والإنذار
في مملكة يهوذا في الفترة من 721–687 ق.م
وقدرة الأنبياء على اختراق الأحداث الجسام
لتبيان تعادل الوعد الأبدي مع العدل الزمني
لبقاء تفوُّق حب الله ورحمته فوق أخطاء الإنسان!!

إشعياء النبي: [نبوته من 742–700 ق.م][7]

دعي للنبوَّة في سنة وفاة عُزِّيَّا ملك يهوذا (إش 1:6) وذلك سنة 742 ق.م، وكان عمره آنئذ يقرب من ثلاثين سنة، وعندما قَرُبَ من خمسين سنة خدم إشعياء مأساة أمته بصوت النبوَّة الذي لم ينقطع قط، وتوفِّي ربما سنة 692 ق.م. وكان من عائلة نبيلة، وكان قريباً جداً من الملك ومن الشعب أيضاً.

ولكن تطرح نبواته ضوءها على كل التاريخ، وهو محسوب في العهد الجديد كأعظم أنبياء التعليم والإنذار في العهد القديم. وهو واحد من أعظم أنبياء إسرائيل قاطبة، وهو الذي رأى بعينيه المستقبل «هأنذا أؤسِّس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية، كريماً أساساً مؤسَّساً من آمن لا يهرب» (إش 16:28). وهو الذي رأى ميلاد المسيَّا وآلامه ورئاسته وملكوته معاً!!

---

(7) سبق أن استعرضنا نبواته على مملكة إسرائيل (راجع صفحة 147و148).

وهـو يـبـدأ حياتـه العملية برؤيا مهيبـة لإلـه إسـرائيل تضـع إشـعياء في القمـة الشامخة لأنبياء الرؤى. ولقد تقدَّس إشعياء لبدء النبوَّة بصورة نادرة ورمزية بعد أن لمست شفتيه جمرةٌ سريَّة التقطها الملاك من فوق مذبح الله وطهَّر بها شفتيه. كما انفتحـت أذنـا إشـعياء لسـماع صـوت تقـديس المـلاك لله بكلمـة قـدوس قـدوس قـدوس ثـلاث مرَّات على التـوالي، ورأى إشـعياء الملائكـة بأجنحتهـا رؤيـا العـين، واتسعت بصيرة إشعياء ليرى مجد الله ليس لملء الهيكل بل ملء كل الأرض**!!** (إش 6).

كان إشعياء مضغوطاً بين تثقيل صوت يهوه المهيب القدوس من ناحية، ومن الأخرى خِضَـم مـن خطايا وتجـاوزات شعب يهـوذا الـذي كـان يتكـل خطـأً علـى وعـود الله لـداود دون أن يراعـي شروط التقـوى ومخافـة الله ومحبـة وصـاياه والخضـوع لأوامـره. لـذلك كـان واضـحاً فاضـحاً في تحذيراتـه وإنذاراتـه للأغنيـاء المتسـفلين والقضـاة المرتشـين الـذين سـلبوا الشـعب مـن كـل حقوقـه وداسـوا علـى وصـايا الله وأحكامه.

+ «كيف صارت القرية الأمينة زانية؟ التي كانت ملآنة حقًّا وكان العدل يبيت فيها وأمَّا الآن **فالقاتلون!!** صارت فضتك زَغَلاً (مغشوشة)، وخمرك مغشوشـة بمـاء، رؤسـاؤك متمـردون ولغفـاء (شـركاء) اللصـوص. كـل واحـد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم.» (إش 1: 21-23)

+ «قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب. الرب يدخل في المحاكمـة مـع شـيوخ شـعبه ورؤسـائهم. وأنـتم قـد أكلـتم الكـرم. سَـلَبُ البائس في بيوتكم. مالكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين يقول السيد رب الجنود.» (إش 3: 13-15)

+ «ويل للذين يصلون بيتاً ببيت ويقرنون حقلاً بحقل حتى لم يبق موضع. فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الأرض ... الذين يبرِّرون الشرير من أجل الرشوة، وأمَّا حق الصدِّيقين فينزعونه منهم.» (إش 5: 8و23)

+ «ويل للذين يقضون قضايا البُطل وللكتبة الذين يسجِّلون جوراً ليصدُّوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حق بائسي شعبي لتكون الأرامل غنيمتهم وينهبوا الأيتام.» (إش 10: 1و2)

ويخاطب رجال ونساء الطبقات العليا والمرفَّهين المهتمين بملكياتهم وملاهيهم:

+ «وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهنَّ وخاطرات في مشيهنَّ ويخشخشن بأرجلهنَّ (الخلاخيل). يُصلِع السيد هامة بنات صهيون ويعرِّي الرب عورتهنَّ، ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلَّة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمَّامات (عُلب العطور أو آنية الطيب) والأحراز والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرفة والعُطُف والأردية والأكياس (موضات ذلك الزمان) والمرائي والقمصان والعمائم والأُزُر فيكون عوض الطيب عفونة ... رجالكِ يسقطون بالسيف وأبطالكِ في الحرب، فتئن وتنوح أبوابها وهي فارغة تجلس على الأرض.»(إش 3: 16-26)

+ «ويل للمبكِّرين صباحاً يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تُلهبهم الخمر، وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون ... ويل للأبطال على شرب الخمر ولذوي القدرة على مزج المسكر.» (إش 5: 10-12و22)

ولكن حزن إشعياء الأعظم أنه يكلِّم شعباً لا يريد أن يعلم ولا أن يسمع!!

+ «على مَ تُضربون بعد؟ تزدادون زيغاناً!!» (إش 5:1)

+ «فقال: اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا، وابصروا إبصاراً ولا تعرفوا. غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أذنيه واطمس عينيه لئلاَّ يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفى. إلى متى أيها السيد؟ فقال لي: إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتصير قفراً.» (إش 6: 9-13)

ثم يكلِّم الكهنة والعابدين بالاسم المتمسِّكين بالطقوس والمهتمين بالشكليات والمدققين في التلاوات ظانين أنهم بذلك يرضون مطالب الله. ويحذِّرهم أن يعملوا الحق أولاً:

+ «لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتَّخَمْتُ من محرقات كباش وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس لا أُسر. حينما تأتون لتظهروا أمامي مَنْ طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري؟ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي، صارت عليَّ ثقلاً. مللتُ حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عينيَّ عنكم وإن كثَّرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً. اغتسلوا تنقُّوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينيَّ، كفُّوا عن فعل الشر، تعلَّموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة. هلم نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف. إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض وإن أبيتم وتمرَّدتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب

تكلَّم.» (إش 1: 11-20)

والميراث التقليدي عن "**يوم الرب**" الذي سرى بين قلوب الأجيال على أنه يوم خلاص، خلاص من الأعداء والفقر وغضب الله ذي المظاهر المتعددة من السخرة والعبودية والسبي، رآه الأنبياء جميعاً أنه يوم دينونة على الخطاة، فهو يوم رعب وظلام وانتقام وليس يوم فرح وسلام. وإشعياء يوضِّح الفكر النبوي بدوره:

+ «فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظِّم وعالٍ، وعلى كل مرتفع فيوضع ... فيُخفَض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم، وتزول الأوثان بتمامها، ويدخلون في مغاير الأرض وفي حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته، عند قيامه ليرعب الأرض.» (إش 2: 12-19)

وإشعياء يرى قضاء الرب آتٍ ويرى أشور أنها هي أداة التأديب والقضاء:

+ «من أجل ذلك حمي غضب الرب على شعبه ومدَّ يده عليه وضربه حتى ارتعدت الجبال وصارت جثثهم كالزبل في الأزقة. مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد. فيرفع راية للأُمم من بعيد ويصفِّر لهم من أقصى الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً. ليس فيهم رازح ولا عاثر، لا ينعسون ولا ينامون ولا تنحل حُزُم أحقائهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم. الذين سهامهم مسنونة وجميع قسيهم ممدودة. حوافر خيلهم تُحسب كالصوان وبكراتهم كالزوبعة. لهم زمجرة كاللبوة ويزمجرون كالشبل ويهرُّون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ.» (إش 5: 25-29)

+ «ويل لأشور قضيب غضبي، والعصا في يدهم هي سخطي. على أُمة منافقة أُرسله وعلى شعب سخطي أُوصيه ليغتنم غنيمة وينهب نهباً،

ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة.» (إش 10: 5و6)

ويرى إشعياء يهوذا وأُورشليم وقد انتكست وأقفرت من مجدها وعظمتها ورجالها وكل مظاهر الحياة فيها:

+ «فإنه هوذا السيد رب الجنود ينزع من أُورشليم ومن يهوذا السند والركن، كل سند خبز وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب. القاضي والنبي والعرَّاف والشيخ. رئيس الخمسين والمعْتَبَرَ والمشِيرَ والماهرَ بين الصُنَّاع والحاذق بالرُّقية. وأجعل صبياناً رؤساءَ لهم وأطفالاً تتسلَّط عليهم. ويظلم الشعب بعضهم بعضاً والرجل صاحبه، يتمرَّد الصبي على الشيخ والدنيء على الشريف. إذا أمسك إنسان بأخيه في بيت أبيه قائلاً لك ثوب فتكون لنا رئيساً وهذا الخراب تحت يديك، يرفع صوته في ذلك اليوم قائلاً لا أكون عاصباً وفي بيتي لا خبز ولا ثوب، لا تجعلوني رئيس الشعب. لأن أُورشليم عثرت ويهوذا سقطت، لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عيني مجده. نَظَرُ وجوهِهِم يشهد عليهم وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم، لا يخفونها، ويل لأنفسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرًّا. قولوا للصدِّيق خير لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم، ويل للشرير شرّ لأن مجازاة يديه تعمل به. شعبي ظالموه أولاد، ونساء يتسلَّطن عليه. يا شعبي مرشدوك مضلُّون ويبلعون طريق مسالكك.» (إش 3: 1-12)

+ «فقلت: إلى متى أيها السيد؟ فقال: إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن، والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر. ويُبعد الرب الإنسان ويَكْثُر الخراب في وسط الأرض. وإن بقي فيها عُشرٌ بعد فيعود ويصير للخراب. ولكن كالبطمة والبلوطة التي وإن قُطعت فلها ساقٌ يكون

ساقه زرعاً مقدَّساً.» (إش 6: 11ـ13)

+ «اليوم يقف في نوب، يهز يده على جبل بنت صهيون أكمة أُورشليم. هوذا السيد ربُّ الجنود يقضب الأغصان بِرُعْبٍ والمرتفعو القامةِ يُقطعون والمتشامخون ينخفضون.» (إش 10: 32و33)

ولكن في وسط مخاوف الحروب والحصار والسبي والهلاك بسبب ورود أخبار باتفاق دمشق وإسرائيل لمحاربة آحاز ملك يهوذا، يتقدَّم إشعياء لآحاز الملك المرتعب والمرتجف: «كرجفان شجر الوعر (الأثل)» (إش 2:7) ليسلِّمه رسالة لم يفهمها ولم يصدِّقها؛ بل ومن العسير لأي مفسِّر أن يفهمها إلاَّ إذا وضع في الحسبان أن إشعياء نبي وليس مفكِّر أو واعظ، فهو حينما يضع حلولاً فهي ليست لزمن ما ولا تنحصر في شخص، ولكن على مستوى الله وفكره وتدبيره.

قال إشعياء لآحاز ملك يهوذا:

+ «احترز واهدأ، لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل ... رصين (ملك دمشق) وأرام وابن رمليا (ملك إسرائيل) ... هكذا يقول السيد الرب: لا تقوم لا تكون ...!!» (إش 7: 4و7)

ولكن **لم يؤمن آحاز بوعد الله هذا**، فماذا يكون ردّ الله على فم نبيه إشعياء؟

"إن وعدي ببقاء يهوذا وأُورشليم وسلامة الملك هو وعدٌ أبدي قائم على أساس محبتي لداود الذي كان «قلبه حسب قلبي» ولم تصدِّق أنت ولا الآتون بعدك واضمحلت الأرض، فسأبقى أميناً على وعدي أتمِّمه بنفسي على مستوى المعجزة: «يعطيكم السيد نفسه آيةً. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (أي الله معنا)» (إش 14:7)".

ويعود الله ويكمِّل خطة خلاصه بواسطة هذا الابن الذي يملك إلى الأبد

على كرسي داود هكذا:

+ «لأنه يولد لنا ولد ونُعطَى ابناً وتكون الرياسة على كتفِهِ ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبديًّا رئيس السلام. **لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته، ليُثبِّتها ويُعضِّدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد.**» (إش 9: 6و7)

من هذا نُدرك كيف يضع الله الحلول للمآزق الزمنية التي بها يكشف قدرته السرمدية على بقاء أمانته لوعده، متخطياً عدم إيمان الملوك والشعب آنذاك إذا لم يؤمنوا، لتبقى العبرة في عدم الإيمان، وتبقى قدرة الله على الحل، وتبقى أمانة الله العظمى في الحفاظ على وعده واضحة بالنسبة للأجيال القادمة إلى مدى الدهر. وهذا هو عمل الأنبياء الأول والأهم والأبقى على مدى الأجيال وإلى منتهى الدهر، يعطون حلولاً وأجوبة لو طبقها الذين سمعوها وآمنوا بها بشدة فإنهم لابد ناجون، ولابد منتصرون مهما كانت الظروف صعبة ومستحيلة ـ والأمثلة كثيرة. أمَّا إذا لم يؤمنوا فتبقى النبوَّة قائمة بقوتها وجلالها وسموِّها مهيَّئة لكل مَنْ يؤمن بها حتى ولو بعد آلاف السنين، لينجو بتصديق كلماتها هي نفسها وينجح وينتصر في كل المآزق والصعاب التي على نفس المستوى. فالله الأبدي والنبي الزمني هما دائماً على مستوى الجزء والكل وعلى مستوى الزمن والأزل. فكلمة الله المنطوقة بفم النبي فعَّالة، فعلى مستوى الإيمان لابد ويتحتَّم أن تنجح، وإذا عجز الإيمان الوقتي أن يُظهر فاعليتها فهي تظل قائمة بقوتها تنتظر مَنْ يؤمن بها ليكشف قوتها وبأسها.

فإذا عجز آحاز وكل الملوك أن يقيموا خيمة داود الساقطة فسيقيمها هو بنفسه لنفسه، وإذا سقطت صهيون ملجأ البؤساء فالرب أعدَّ لهم مدينة أعظم،

أُورشليم السماوية: «فبماذا يُجاب رُسل الأمم؟ إن الرب أسَّس صهيون وبها يحتمي بائسو شعبه.» (إش 32:14)

وإشعياء النبي إذ هو أداة في يد القدير لابد أن يخدم المبادئ العليا لله ولا يُعطي حلولاً تتعارض مع الإيمان المطلق بقوة القدير، ومع قوله المختصر العجيب: «إن لم تؤمنوا فلا تَأْمَنُوا» (إش 9:7). ولذلك حينما أراد حزقيا في أيام ضيقته الثانية أن يُرسل في طلب معونة فرعون مصر، ولم يسمع لقول إشعياء بالامتناع عن ذلك، حُسِب له ذلك خطية. وكانت الخطية ليست في النزول إلى مصر بل في عدم الإيمان بأن الله قادر أن يدافع عن عهده لداود ومواعيده للآباء. « يزيدون خطيئة (ترك مشورة الله) على خطيئة (أعمالهم) الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمي» (إش 30: 1و2). «هل تقصر يدي عن أن تخلِّص »(إش 1:59). «لأنه هكذا قال لي الرب: كما يَهِرُّ (يزأر) الأسد فوق فريستهِ ... **هكذا ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون وعن أكَمَتِهَا**.» (إش 31: 4و5)

مِن هذا نرى أن همَّ الأنبياء الأول هو ضبط حركة التاريخ لتكون على إيقاع كلمات وعد الله بكل دقة وانتباه لبلوغ الغاية من الإيمان الموضوع، بواسطة التاريخ المتحرِّك، ولكن دون أي مساس بحرية الإنسان، لأن بطاعة الإنسان أو بعصيانه لابد من البلوغ إلى النهاية الموقَّعة والمرصودة. ولكن الوصول إليها بالطاعة له أجر الطاعة: أي فرحة الإنسان ونمو حاسة البصيرة والرؤيا وإدراك تدبير الله واختصار الزمن والقربى من الله. أمَّا إذا تنكَّب[8] الإنسان الطريق بعصيان التدبير الإلهي وركوب العقل واستصغار الإيمان ـ

---

(8) تنكَّب الشيء = أعرض عنه.

فهذا لن يمنع الله من بلوغ الغاية والنهاية، ولكن لابد من إطالة الطريق واستطالة الزمن لدخول عنصر **التأديب واستيعاب العقاب** المساوي لمقدار العناد وعمى البصيرة.

وعقاب الله وتأديبه إذا لم يسبق النبي ويشرح سببه ويصف مرارته وعمقه ويحدِّد زمنه قبل وقوعه، بل ويوضِّح غايته، لا يستطيع الشعب أن يربط بين هذا التأديب كمصائب وحوادث، وبين خطيته وعناده وعدم إيمانه، بل يعتبرها مجرَّد حوادث عادية من صنع الظروف والزمن. ولكن بسبق إعلان النبي عن وقوعها قبل أن تقع وشرح أسبابها، تبلغ هذه المصائب قصدها الإلهي ويدركها الشعب كتأديب وعقاب إلهي، فيتعلَّم الشعب ويحس بعين الله المسلَّطة عليه، ويتيقَّن الإنسان أن عمله يدخل داخل تدبير الله الفائق، وأن سلوكه ومشيئته الحرة تماماً ليست بلا حساب أو رقيب؟ هنا وبواسطة النبي تدخل أعمال الناس وتصرفاتهم في مسار التاريخ المقدَّس، حتى القبيح منها والرديء جداً!!

+ «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمرَّدتم تُؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلَّم.» (إش 1: 19و20)

+ «قولوا للصدِّيق خيرٌ، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم، ويلٌ للشرير شرٌّ، لأن مجازاة يديهِ تُعمَلُ بهِ.» (إش 3: 10و11)

وهكذا نرى أن نبوات الأنبياء هي في مظهرها تعليم وتفهيم وتوبيخ وتشجيع لمسيرة بشرية، هي التاريخ، تصب في محتوى تدبير الله ليصبح للتاريخ معنى وهدف من وراء الأجيال والدهور، وتصبح أعمال الناس بالنهاية آية لعمل الله نفسه!!

+ «فاصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب وانتظره (لأن وراءه حكمة التدبير)، هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب (الخاضعون الطائعون الفاهمون مشيئة الله) آيات وعجائب في إسرائيل من عند رب الجنود الساكن في جبل صهيون!!» (إش 8: 17و18)

لذلك ننبِّه ذهن القارئ لتاريخ العهد القديم أن يضع أمام عينيه كل هذه الاعتبارات، فهو لا يقرأ قصصاً انتهت وتاريخاً فات عهده لأشخاص محدَّدين أو شعب محدَّد، بل تاريخ معاملات الله مع الإنسان، أي إنسان، يكشف فيها الله عن أُسُس تدبيره وأصول أحكامه، ويوضِّح المبادئ التي تحكم العلاقة بينه وبين الإنسان سواء كان من عامة الشعب أو كان مَلِكاً أو كاهناً. بالإضافة إلى إعلان الله عن مدى قدرته القوية الفائقة على كل تصورات واحتمالات الإنسان والتي يضعها الله رهن إيمان وتعلُّق الإنسان بالله وحبه له والإيمان به. كما أن هذه القصص وهذا السرد الطويل الدقيق للتاريخ يكشف الهدف النهائي الذي يصوِّب إليه الله كل تدبيراته، والغاية النهائية من عمله وإرادته وحبه للإنسان، الأمر الذي يُكتشف درجته كلما خطا التاريخ خطوة.

+ «تعال الآن اكتب هذا عندهم على لوحٍ وارسمه في سفرٍ ليكون لزمنٍ آتٍ للأبد إلى الدهور، لأنه شعبٌ متمرِّدٌ أولادٌ كذبةٌ أولادٌ لم يشاءُوا أن يسمعوا شريعة الرب، الذين يقولون للرائين لا تروا! وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات، كلِّمونا بالناعمات انظروا مخادعاتٍ، حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبيل اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل.» (إش 30: 8-11)

كذلك فإن كافة الأسماء التي تقابل القارئ مع سِيَرِهم الخاصة والعامة وتصرفاتهم التي يدقِّق الكاتب في تسجيلها بكل ملابساتها الهزيلة منها والخطيرة، هذا كله لا يخرج عن كونه مثلاً ودرساً وتوجيهاً وتحذيراً، أو

تشجيعاً لكل قارئ منذ كتابتها حتى الآن وإلى الأبد.

+ «الذين أُعلن لهم أنهم **ليس لأنفسهم، بل "لنا" كانوا يخدمون بهذه الأمور** التي أُخبرتُم بها "**أنتم**" الآن، بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المرسَل من السماء، التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها.» (1بط 12:1)

لاحِظ هنا أن كلمة ''لنا'' و''أنتم'' هي لي ولك.

+ «لأنه لم تأتِ نبوَّةٌ قط بمشيئة إنسانٍ، **بل تكلَّم أُناسُ الله القديسون مسوقين من الروح القدس**.» (2بط 21:1)

+ «كلُّ الكتاب هو مُوحى به من الله، **ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب** الذي في البر، لكي يكون **إنسان الله** كاملاً مُتأَهِّباً لكل عملٍ صالحٍ.» (2تي 16:3و17)

وكان آخر صوت سمعناه لهذا النبي العظيم كان بخصوص أشور، لما عيَّر سنحاريب شعب يهوذا وملكها حزقيا بإلههم وجدَّف على إله إسرائيل، وأهان اسم الله وكرامته، فكان صوت الله على فم إشعياء أن نهاية سنحاريب قد أتت ونقمة السماء حلَّت على كل أشور:

+ «قد حلف رب الجنود قائلاً: إنه كما قصدتُ يصير وكما نويتُ يثبت أن أُحطِّم أشور في أرضي وأدوسه على جبالي فيزول عنهم نيره ويزول عن كتفهم حمله. هذا هو القضاء المقضي به ...» (إش 14: 24-26)

هذا هو آخر ما نطق به إشعياء النبي:

+ «ويسقط أشور بسيف بلا رجل، وبسيف بلا إنسان يأكله فيهرب من أمام السيف.» (إش 8:31)

وهذا الوصف ينطبق على ما حدث لجيش أشور إذ أباده سيف الطاعون لما

سقط جيشه في وليمة الفئران!! أكله الطاعون بلا أكل فصرع منه 185 ألف جندي. ونقمة الله هنا ليست من أجل يهوذا ولا إنصافاً لحزقيا، ولكن لأن سنحاريب تعالى جداً واستهان بإله إسرائيل ورفع رأسه وجدَّف عليه:

+ «ولكنني عالم بجلوسك وخروجك ودخولك وهيجانك عليَّ، لأن هيجانك عليَّ وعجرفتك قد صعِدا إلى أُذنيَّ، أضعُ خزامتي في أنفك وشكيمتي في شفتيك وأرُدُّك في الطريق الذي جئتَ فيه.» (إش 37: 28و29)

ميخا النبي: [نبوته من 742-692 ق.م]

الملقَّب بالمورشتي من قرية جت، معاصر لإشعياء النبي وحسب كتاباته فقد تنبأ في أيام ملوك يهوذا يوثام (742-735)، وآحاز (735-715)، وحزقيا (715-687) ق.م.

وكان ميخا، مثل عاموس النبي، قرويًّا متواضعاً تركَّزت نبواته في: أيها الأغنياء اعطوا الفقراء!!

كانت كتاباته معروفة جداً لدى مَنْ جاء بعده من الأنبياء، مثل إرميا النبي الذي جاء بعده بمائة عام (626-586 ق.م)، الذي يقول: «إن ميخا المورشتي تنبأ في أيام حزقيا ملك يهوذا وكلَّم كل شعب يهوذا» (إر 26:18) وظلَّ يتنبَّأ لأكثر من أربعة عقود (40 سنة) مثل إشعياء النبي.

هاجم أُورشليم وأغنياءها ورأى أن مصيرها كمصير إسرائيل والسامرة:

+ «ما هو ذنب يعقوب - إسرائيل - (الزنا والأصنام) أليس هو السامرة، وما هي مرتفعات يهوذا؟ (مكان ذبائح الأصنام)، أليست هي أورشليم.»(مي 1:5)

+ «يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها ويظلمون الرجل

وبيته والإنسان وميراثه ...» (مي 2:2)

ويهاجم القضاة:

+ «اسمعوا يا رؤساء يعقوب وقضاة بيت إسرائيل: أليس لكم أن تعرفوا الحق؟ المبغضين الخير والمحبين الشر، النازعين ـ عن الفقراء ـ جلودهم عنهم ولحمهم عن عظامهم، الذين يأكلون لحم شعبي ويكشطون جلدهم عنهم ويهشِّمون عظامهم.» (مي 3: 1و2)

+ «يا قضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوِّجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأُورشليم بالظلم، رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلِّمون بالأجرة وأنبياؤها (الكذبة) يعرِّفون بالفضة ... لذلك بسببكم تُفلح (تُحرث) صهيون كحقل وتصير أُورشليم خِرَباً.» (مي 3: 9و10و12)

+ «هكذا قال الرب على الأنبياء الذين يُضلُّون شعبي الذين ينهشون بأسنانهم وينادون سلام، والذي لا يجعل في أفواههم شيئاً (يطعمهم) يفتحون عليه حرباً. لذلك تكون لكم ليلة بلا رؤيا. ظلام لكم بدون عرافة وتغيب الشمس عن الأنبياء ويظلم عليهم النهار فيخزى الراؤون ويخجل العرَّافون ويغطون كلهم شواربهم لأنه ليس جواب من الله.» (مي 3: 5ـ7)

وميخا النبي يعلن صدق نبوته صراحة وبقوة، وأنه من فم الرب يتكلَّم وبروحه يصرخ:

+ «لكني أنا ملآن قوة روح الرب وحقًّا وبأساً لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته.» (مي 8:3)

وميخا النبي يكشف العلَّة الكامنة وراء تخلية الله عن الشعب والكهنة

والملوك معاً، وهي الثقة الكاذبة بسلام كاذب وإيمان وهمي بحضور الله ورضاه لا يقوم على أي أساس من صدق العبادة أو العمل بالوصايا:

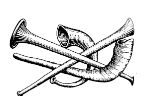
+ «وهم يتوكَّلون على الرب قائلين: أليس الرب في وسطنا، لا يأتي علينا شرٌّ.» (مي 11:3)

وهكذا تناسى شعب إسرائيل الشروط الأساسية التي وضعها الله لبقاء عهده للآباء وموسى وداود قائماً سارياً على الشعب، وأن الله قاضٍ قبل أن يكون فادياً. لهذا ينطق ميخا بفم الرب معبِّراً عن مدى سخطه وغضبه:

+ «اسمعوا ما قاله الرب: قم خاصم لدى الجبال، ولتسمع التلال صوتك، اسمعي خصومة الرب أيتها الجبال ويا أسس الأرض الدائمة. فإن للرب خصومة مع شعبه وهو يحاكم إسرائيل!! ... بِمَ أتقدَّم إلى **الرب** وأنحني **للإله العلي**؟ هل أتقدَّم بمحرقات ...؟ هل يُسر الرب بألوف كباش؟ بربوات أنهار زيت؟ ... قد أَخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلب منك الرب ... تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك.» (مي 6: 1-8)

ميخا النبي يتجاوز كل ما قاله إشعياء لتوضيح المصير المحتوم لأُورشليم والهيكل معاً كنطق إلهي بالقضاء النهائي الذي يأتي كحكم بحيثيات مبيَّنة قبل مائة عام من تنفيذه:

+ «لذلك: بسببكم صهيون تُحرث بالنورج مثل حقل، وتصير **أُورشليم** كومة خراب وجبل **البيت** (الهيكل) كمرتفعة في وسط غابة.» (مي 12:3 ترجمة مفصَّلة)



11- الاحتضار البطيء

المائة عام الأخيرة في تاريخ مملكة يهوذا

(687-587 ق.م)

على مدى مائة عام ظلَّت مملكة يهوذا تتخبَّط بين العبودية والسيادة، وبين التبعية لمصر ثم لبابل ثم القدر المحتوم.

وتاريخ الملوك في هذه الفترة كان كالآتي:

	مدة الملك	سنة بدء الملك
منسَّى	45 سنة	687 ق.م
أمون	سنتان	642 ق.م
يوشيا	31 سنة	640 ق.م
يهوآحاز	ربع سنة	609 ق.م
يهوياقيم	11 سنة	609 ق.م
يهوياكين	ربع سنة	597 ق.م
صدقيا	11 سنة	597 ق.م
سقوط أُورشليم	←......	سنة **587** ق.م

وكان سقوطها بحسب 2مل 8:25 في السنة التاسعة عشر من ملك

نبوخذناصر كالآتي:

+ «وفي الشهر الخامس في سابع الشهر، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذناصر ملك بابل، جاء نبوزرادان رئيس الشُّرطِ عبد ملك بابل إلى أُورشليم، وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أُورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار. وجميع أسوار أُورشليم مستديراً هدمها كلُّ جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشُّرَط. وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزرادان رئيس الشُّرَطِ. ولكن رئيس الشُّرَطِ أَبقى من مساكين الأرض كرَّامين وفلاَّحين ... فسُبي يهوذا من أرضه.» (2مل 25:8-12 و21)

ونستقي تاريخ هذه الحقبة الزمنية من تسجيلات سفر الملوك الثاني الأصحاحات: (21-25)، وما يقابله من سفر أخبار الأيام الثاني من الأصحاحات: (33-36) ثم الإضافات البالغة الأهمية من نبوات الأنبياء المعاصرين لهذه الحقبة الزمنية: إرميا، حزقيال، صفنيا، ناحوم وحبقوق.

وقد كشف علم الآثار في الآونة الأخيرة عن معلومات قيمة جداً تضيء معالم هذه الأزمنة من السجلات المحفورة لأخبار الملوك التي وُجدَت في خرائب بابل.

بقية ملوك يهوذا حتى السبي:

منسى بن حزقيا ملك يهوذا: 687-642 ق.م

توَلَّى الحكم وهو صغير السن:

+ «كان منسَّى ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك.» (2مل 1:21)

[ولم يكن لا منسَّى ولا مشيروه أحراراً في اختيار نوع الحكم، إذ

كانت يهوذا واقعة تحت الجزية للإمبراطورية الأشورية التي كانت قد اتسعت وامتدت في أيامه حتى بلغت أقصى اتساع.

ولما مات سنحاريب ملكها بيد بعض أبنائه، ملك ابنه الأصغر أسرحدون Esarhaddon (680ـ669 ق.م) الذي كان حاكماً عنيفاً أقسى العنف، وقد غزا مصر (671 ق.م) وبلغ مدينة منف عاصمة مصر واحتلها، وهرب من أمامه ترهاكا فرعون مصر Tirhakah واحتل أسرحدون منف وسلب كل كنوزها ولكنه وقع مريضاً ومات وهو يضرب الحصار على عاصمة مصر، فقام ابنه أشوربانيبال Ashurbanipal (668ـ627 ق.م)، وسارع لنجدة جيش أبيه وأكمل الحصار، ولكن هرب ترهاكا فرعون مصر من أمامه نحو الجنوب ومات هناك. وأسر ملك أشور أمراء مصر إلى نينوى وترك هناك نخو Neco أمير صايس Sais مع ابنه بسماتيك Psammetichus، ولكن الفرعون خليفة ترهاكا المدعو تانوت أمون Tanutamun ظل ثائراً ضد أشور



رأس بسماتيك الأول
مؤسِّس الأسرة السادسة والعشرين
663ـ609 ق.م

حتى لاحقه الأشوريون سنة (663 ق.م) وتعقَّبوه جنوباً حتى مدينة طيبة، واحتلوا العاصمة العتيقة وحطَّموها، وقد جاء ذكر هذا في نبوَّة ناحوم النبي بصورة مضخَّمة: «هل أنتِ أفضل من نوآمون (طيبة) الجالسة بين الأنهار ... التي هي

حصن البحر» (ناحوم 8:3). ولكن الفرعون تانوت أمون ظل يتقهقر حتى النوبة وبه انتهى عصر الأسرة الخامسة والعشرين في مصر!][1]

والعجيب أنه وجد في سجلات بابل اسم منسَّى ملك يهوذا من ضمن الأعوان الذين ساعدوا أشوربانيبال ملك أشور في حملته ضد مصر[2].

وعلى مدى قصة منسَّى سواء في سفر الملوك الثاني أو أخبار الأيام الثاني نجد منسَّى الملك من أردأ الملوك الذين قاموا على يهوذا.

وبحسب سفر الملوك الثاني وسجلات أشور علمنا أن منسى بقي عوناً لملك أشور كل أيام ملكه الطويلة جداً (55 سنة). وقد ذكره أسرحدون Esarhaddon كواحد بين اثني وعشرين ملكاً يقدِّمون أدوات لبناء مشاريعه، بينما أشوربانيبال Ashurbanipal يذكره كواحد من الأعوان الذين ساعدوه في غزو مصر[3]. وبحسب سفر أخبار الأيام الثاني (33: 2ـ9) واضح أن منسَّى أضلَّ شعب يهوذا وأورشليم فعملوا أشر من الأُمم ... وكلَّم الرب منسَّى (بواسطة الأنبياء) فلم يصغوا. فجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك أشور. وبلغت شكوك لملك أشور عن خيانته فأرسل رؤساء الجند وقبضوا على منسَّى وقيَّدوه بسلاسل من نحاس بخزامة وذهبوا به إلى بابل ـ ومن ضيقه صرخ إلى الرب وتواضع جداً فأعانه، وصلَّى كثيراً فاستجاب له وردَّه إلى أُورشليم مملكته. ولكن لم تُسجَّل هذه الحوادث في سجلات أشور، ولم يعرف

---

(1) J. Bright, *A History of Israel*, pp. 309, 310.

(2) J. B. Pritchard, *(ANET = Ancient Near Eastern Texts)*, Princeton, 1950, pp. 291ـ294.

(3) W. Rudolph, *Chronikbücher* (HAT = Handbuch zum Alten Testament) 1955, p. 315-317.

على وجه اليقين هل أفرج عنه أو أن التحقيق أثبت أمانته، ولكن من المؤكَّد أنه لم يعد أميناً موالياً لأشور بعد ذلك، محاولاً أن يستعيد حريته.

ولكن جاء في سجل أعماله في سفر الملوك الثاني أنه «عمل الشر في عيني الرب» (2مل 21:2)، وهو اصطلاح يفيد دخول النجاسات في صميم العبادة حسب رجاسات الأُمم: فبنى المرتفعات التي كان قد أبادها حزقيا أبوه، وأقام مذابح للبعل، وعمل سارية كما عمل أخآب ملك إسرائيل، وسجد لكل جند السماء وعبدها، وبنى مذابح الأوثان في بيت الرب وعبَّر ابنه في النار، وعاف وتفاءل واستخدم جاناً وتوابع وأكثر الشر في عيني الرب لإغاظته. وأضل منسَّى الشعب بعمل كل ما هو أقبح من الأُمم. وكانت النبوَّة فظيعة على منسَّى: « لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل هاأنذا جالب شرًّا على أُورشليم ويهوذا حتى أن كل مَنْ يسمع به تطن أُذناه، وأمدّ على أُورشليم خيط السامرة ومطمار بيت أخآب ـ (بمعنى أجعل نصيب أُورشليم كنصيب السامرة وبيت منسَّى كبيت أخآب بالقياس) ـ وأمسح أُورشليم كما يمسح واحد الصحن، يمسحه ويقلبه على وجهه (أي لا يعود يدخله بركة).» (2مل 21: 12و13)

وكان منسَّى في كل ذلك يقلِّد ملوك أشور ويجاملهم في عبادة آلهتهم، لذلك اقتص منه الله، كما وصف ذلك النبي صفنيا: «ويكون في ذلك الوقت (وقت منسَّى) أني أُفتِّش أُورشليم بالسرج وأُعاقب الرجال الجامدين على مقاعدهم القائلين في قلوبهم إن الرب لا يحسن ولا يسيء، فتكون ثروتهم غنيمة وبيوتهم خراباً، ويبنون بيوتاً ولا يسكنون فيها ويغرسون كروماً ولا يشربون خمرها» (صف 1: 12و13). والمصيبة الكبرى أن الشعب لم يكن يحس ولا يعرف أنه خرج عن عبادة يهوه[4] لأن الملوك أضلوهم والأنبياء

(4) Bright, *op. cit.*, p. 311.

الكذبة جعلوهم يستهينون بالله، والكهنة الأنجاس عابدي الأصنام أدخلوا في روعهم أن هذه هي آلهتهم التي أخرجتهم من مصر. وهكذا امتد الخطر إلى صميم عبادة يهوه من أصولها، والتوحيد دخل منطقة الآلهة التي بلا عدد، دون شعور من الشعب.

وبطبيعة الحال فإن العفن الأخلاقي والسلوكي بين الشعب والرؤساء والمسئولين أسقط هيبة الله من قلوبهم واحتقار ناموسه، ويصف صفنيا النبي العبادة والكهنة والأنبياء بهذا الوصف المريع:

+ «رؤساؤُها في وسطها أسود زائرة، قُضَاتُها ذئابُ مساءٍ لا يُبْقُونَ شيئاً إلى الصباح (أي ينهبون الشعب ولا يعملون حساب الأيام القادمة) أنبياؤُها متفاخرون أهل غدر. كهنتها نجسون، **نجَّسوا القدس خالفوا الشريعة**.» (صف 3: 3و4)

وهكذا أُخرس صوت الأنبياء المتكلِّمين بالحق، وكان كل مَنْ يعترض على هذه النجاسات والمخالفات يسفكون دمه: «وسفك أيضاً منسَّى دماً بريًّاً كثيراً جداً حتى ملأ أُورشليم من الجانب إلى الجانب» (2مل 16:21). وكان تقرير سفر الملوك أنه لم يقم في كل مَنْ جلس على كرسي داود أشر من منسَّى الملك، حتى أن خطيته لن تُغفر (2مل 21: 9-15). وظلَّ السفر يرددها من أصحاح لأصحاح: «حسب خطية منسَّى» (2مل 3:24)، كذلك ردَّدها إرميا من بعد أيام منسَّى: «وأدفعهم للقلق في كل ممالك الأرض من أجل منسَّى بن حزقيا ملك يهوذا من أجل ما صنع في أُورشليم.» (إر 4:15). علماً بأن إرميا جاء بعد منسَّى بما يقرب من 90 سنة.

اليهودية تحكم نفسها: 640-609 ق.م

عرفنا أن منسَّى ظل موالياً لنينوى حتى نهاية حكمه إلى أن خلفه ابنه آمون

(642ـ640 ق.م)، والـذي مـارس سياسـة أبيـه ولكنـه اغتيـل داخـل بيـت أسرته[5] بعد أن عـاش 48 سنة حكـم منهـا سنتين، وقد يُشك أن تكون هـذه الجريمة قد اقترفت بيد معادية لأشور وذلك بغية تغيير السياسة التي وضعها منسَّى وسار عليها ابنه[6]. ولكن لم يستجب سكان الأرض لهذا الإيحاء وقبضوا على القتلة وحـاكموهم وأقـاموا يوشـيا بـن آمـون ليكـون ملكـاً، وكـان صـغيراً ابـن 8 سنوات، وأجلسوه على العرش.

الحكم أيام يوشيا (640-609 ق.م):

بدأ الاستقلال منذ بدء حكمه واضحاً وواقعاً ـ ولكن تسجيلات الحكم في السنين الأُولى له ظلت غامضة وكانت على يد الحكماء الذين تولوا رعايته. ولكن على العموم كان الحكم موالياً لأشور غير أنه كان معروفاً منذ تنصيبه ملكاً أن الاستقلال لابد قادم على يديه. ففي السنة الثانية عشرة من حكمه (629 ق.م) سنحت له الفرصة لأول مرَّة عندما كان أشوربانيبال قد شاخ وابنه شِن شار إشكون Sin-shar-ishkun كان قد استولى على الحكم خلفاً له، عندئذ ابتدأت قبضة أشور تنفك عن الممتلكات الغربية كلها دون تدخُّل منه، في ذلك الوقت ابتدأ يوشيا بالتحرُّك لإصلاح مملكته على غرار داود الملك كما يمدنا سفر أخبار الأيام الثاني: «وفي السنة الثانية عشرة (من ملكه) ابتدأ يطهِّر يهوذا وأُورشليم من المرتفعات والسواري والتماثيل والمسبوكات وهدموا أمامه مذابح البعليم وتماثيل الشمس ... وكسر السواري والتماثيل والمسبوكات ودقَّها ورشَّها على قبور الذين ذبحوا لها، وأحرق عظام الكهنة

(5) Edersheim, *op. cit.*, Book 10. chap. 4, p. 269.

(6) A. Malamat, “The Historical Background of the Assassination of Amon King of Judah”, I E J = Israel Exploration Journal, 3 (1953), pp. 26-29.

على مذابحهم» (2مل 34: 3ـ7). وطهَّر يهوذا وأُورشليم ومدن منسَّى وأفرايم وشمعون حتى أرض نفتالي في الشمال، هدم المذابح كما صنع في يهوذا وعاد إلى أُورشليم. وهكذا مسح الأرض كلها من العبادات الغريبة وامتد فامتلك إقليم السامرة ومجدو وجلعاد التي كان الأشوريون قد فصلوها عن إسرائيل في الشمال، كما امتد حتى شواطئ البحر الأبيض حتى جنوب يافا(7). وقد اكتشفت فيها حفريات وشقافة تثبت ملكية يوشيا لهذه المناطق. وقد رحَّب به أهل إسرائيل المتبقون في الأرض وانضموا إليه لمقاومة بعض الفرق الأشورية المتبقية في الأرض، حيث كانت أشور غير واعية لنفسها وقد رضيت بفقده كموالٍ لها، غير أنها بقيت كما هي قوة معادية. وفي نفس الوقت كان بسماتيك ملك مصر قد بدأ يظهر كقوة في الجنوب. ويحكي إرميا كيف كان يوشيا حيراناً بين مصر وأشور لأيهما ينضم، فوقف له إرميا بالمرصاد يحذِّره: «والآن مالك وطريق مصر لشرب مياه شيحور، ومالك وطريق أشور لشرب مياه النهر» (إر 18:2). وهكذا بينما كان يسير يوشيا نحو القمة في القدرة والإصلاحات كانت أشور تتدهور إلى الحضيض.

ملامح نهضة يوشيا:

كان يوشيا يسير بخطى النهضة والإصلاح كأفضل ما رأته اليهودية في تاريخها، ويأتي وصفها في سفر الملوك الثاني هكذا: «وعمل المستقيم في عيني الرب وسار في جميع طريق داود أبيه ولم يحد يميناً ولا شمالاً» (2مل 2:22). وفي السنة **الثامنة عشرة** للملك بدأت إصلاحاته على أعلى مستوى إذ جمع الفضة التي استودعت في الهيكل وأرسل إلى البنائين والصُنَّاع وجمع عمَّال الترميم وبدأوا في ترميم هيكل الرب: نجَّارون وبنَّاءون ونحَّاتون، وشراء

---

(7) Bright. *op. cit.*, p. 316.

أخشاب وحجارة منحوتة لأجل ترميم البيت!! وإزاء هذه الحركة المباركة من قلب الملك تحرَّكت السماء لتنعم على هذا الملك الأمين بما يتوافق مع مقاصده. إذ حدث أن حلقيا الكاهن العظيم وجد سفر الشريعة في بيت الرب بينما كان يبحث عن كنوز الذهب المخفية لبناء الهيكل، وكان في السابق قد نُسي سفر الشريعة هذا لأنه اختفى وضاع. فاستحضره الملك وسمع منه كلام الشريعة وخاصة في التحذيرات والويلات للذين يستهينون بالمقدسات «فلمَّا سمع الملك كلام الشريعة مزَّق ثيابه» وأرسل الكاهن العظيم والمسئولين عن البيت قائلاً: «اذهبوا واسألوا الرب لأجلي ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذي وُجد» (2مل 21: 11-13). فأرسلوا إلى نبيَّة في أُورشليم اسمها خلدة، فأمَّنت على كل ما عمل الرب ويعمل في أُورشليم بسبب أن الملوك السابقين خرجوا عن الشريعة وعبدوا الأوثان، أمَّا عن شخص يوشيا فقالت: «هكذا قال الرب إله إسرائيل من جهة الكلام الذي سمعتَ - (في التوراة) - من أجل أنه قد رقَّ قلبك وتواضعتَ أمام الرب حين سمعتَ ما تكلمتُ به على هذا الموضع (بالشر) وعلى سكانه أنهم يصيرون دهشاً ولعنة ومزَّقتَ ثيابكَ وبَكيتَ أمامي. قد سمعتُ أنا أيضاً يقول الرب. لذلك هاأنذا أضمُّك إلى آبائك فتُضم إلى قبرك بسلام ولا ترى عيناك كل الشر الذي أنا جالبه على هذا الموضع» (2مل 22: 18-20).

وقد جال هذا الملك التقي أرض إسرائيل كلها من الشمال إلى الجنوب ومسحها مسحاً وأباد الأصنام التي كان قد صنعها سليمان الملك والملوك الذين بعده إلى آخر ما صنعه أبوه، وذبح كهنة البعل وأحرق عظامهم. وأقام قضاة في الأرض كلها لاستتباب العدل والأمان. ودعا جميع الكهنة واللاويين من كافة الأعمار وبدأ يقرأ لهم من سفر الشريعة فيما يخصهم، وبعدها وقف في وسطهم

وأجبرهم أن يُعطوا عهداً بقسم ليعبدوا الرب ويقيموا الناموس بحسب شريعة موسى، فارتضوا من أنفسهم ووعدوه، وفي الحال قاموا بتقديم الذبائح وصلوا أمام الله أن يكون رحيماً مع الشعب وكثير الإحسان كعادته. وبعد أن طهَّر البلاد هكذا دعا الشعب للاجتماع في أُورشليم وعمل أمامهم الفصح للرب في أُورشليم وذبحوا الفصح في الرابع عشر من نيسان: «ولم يُعمل فصح مثله في إسرائيل من أيام صموئيل النبي» [8] (2أي 18:35)، وقد دخل مع الشعب في عهد أمانة لله. هذا كله حدث في السنة الثامنة عشر من ملكه التي توافق 622 ق.م.

وكان تجديد الهيكل وإقامة الشريعة بطقوسها شاهداً لنهضة كبرى تمَّت على يد ذلك الملك. على أن نيَّة كسر نير الأشوريين بدأت عند يوشيا في السنة الثامنة من ملكه سنة 633 ق.م، وفي السنة الثانية عشرة الموافقة 629 ق.م ـ يوافق هذا التاريخ اعتلاء شن شارإشكون عرش أشور ـ بدأت أعمال تطهير العبادة وامتدت حتى الشمال لإسرائيل. وفي السنة الثامنة عشرة الموافقة 622 ق.م ارتخت يد الأشوريين وزالت سطوتهم وهي السنة التي وُجدت فيها الشريعة فكان دافعاً قوياً للامتداد وفرصة سانحة لقطع دابر عبادة الأشوريين في البلاد.

وأعلن يوشيا أنه لا خلاص للبلاد مما حاق بها وسيحيق بها إلاَّ بالتوبة.

نهضة يوشيا: العوامل والقيمة:

كان لاكتشاف سفر الشريعة والمعتبر الآن أنه سفر "التثنية" أثر كبير، لأن معظم انفعالات يوشيا كانت بإيحاء من سفر التثنية، خاصة فيما يكون عليه الكهنة والخدمة والهيكل وهي التي ابتدأ بها في التجديد. ولأن سفر التثنية يحتسب أن عبادة الأوثان تُعد جريمة عظمى فكان ذلك هو السبب في رفع

(8) Edersheim, *op. cit.*, p. 271.

حرارة يوشيا ضد الأوثان وعبادتها وعبادها وكهنتها إلى أقصى حدود العنف. فقد ذبح الكهنة الذين كانوا يتعاملون معها حتى ولو كانوا من أنصاف عبَّاد يهوه وأحرق عظامهم.

كذلك كانت شجاعة يوشيا في تحطيمه العبادات الغريبة التي استقدمها أبوه من أشور تغلي في صدره بعامل الضد بالنسبة لأبيه في كل شيء، بعد أن رأى البلاد وخاصة على ضوء الناموس كيف صارت لعنة بالنسبة لإسرائيل الأُولى.

كذلك فإن عبادة أشور في البلاد وداخل أُورشليم والهيكل، وهو العدو المحتل الذي أذل اليهود، تمثل بالنسبة ليوشيا المذكِّر بالذل، فإن مقاومتها تسري في دمه بعامل الوطنية الحرة وروح الخلاص كحركة تحرير من الأساس. وتطهيره للعبادة حتى أقصى البلاد في الشمال كان جزءاً من طموحه لضم وتوحيد البلاد لتكوين إسرائيل الحرة. فكان توحيد العبادة الصحيحة أعظم خطوة لتوحيد البلاد سياسياً.

وسرت **روح الحرية** في يوشيا بعد ما نجح في إزالة كل الأصنام والعبادات الوثنية في البلاد، وهي الروح التي كانت تدفعه لرؤية البلاد تستعيد أمجادها الأُولى كأيام داود.

ودخول عنصر الأنبياء وإعطاؤه الفرصة ليستمعه الشعب وسط هذه الإصلاحات الجريئة كان أكبر معين ليوشيا، إذ جهَّز له الشعب لقبول هذه الإصلاحات دون معارضة تذكر. كما أمدَّ الملك بإحساس رضى الله عن أعماله ودفعه للمزيد من الجهاد في الإصلاح إذ سمع من نبوَّة صفنيا أجمل ما يمكن أن تسمعه أذناه:

+ «ترنَّمي يا ابنة صهيون (في الجنوب)، اهتف يا إسرائيل (في الشمال)

افرحي وابتهجي بكل قلبك يا ابنة أُورشليم (عاصمة الملك ومقر هيكل الله العظيم) قد نزع الرب الأقضية عليكِ أزال عدوكِ، ملك إسرائيل الرب، في وسطك، لا تنظرين بعد شرًّا ... الرب إلهك في وسطك جبَّار. »(صف 3: 14ـ19)

السنين الأخيرة ليوشيا:

لقد امتدت إصلاحات يوشيا بامتداد الأرض أمامه من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال وليس من محاسب، لا جزية ولا رقابة. فكانت هذه الحرية بالنسبة له العامل الذي ظلَّ يلح عليه نحو المزيد من إصلاحاته. على أنه اهتم بالناحية العسكرية ليحمي حريته التي اغتصبها من يد الغاصب. والمعروف أنه بقطع عبادة الأوثان وإصلاح عبادة يهوه وسماع كلمات الشريعة دُفعت البلاد إلى عهد إصلاح أخلاقي وسلوكي وأدبي جديد لم تكن تعرفه، وعادت أُورشليم لتكون مركز العبادة ومقر حج الألوف من الساعين إليها من جميع البلاد (إر 5:41).

ولكن بالرغم من كل هذه المظاهر الجيدة التي سارت في موكب النهضة وما رافقها من عودة إلى الشريعة وعبادة يهوه في الهيكل، كانت كل هذه التجديدات تحتاج إلى مَنْ يرسِّخها بالتعليم والرعاية والقدوة. كذلك فإن مظاهر العبادة وبداية التمسُّك بالناموس دون دوافع حقيقية في الداخل أدخلت المظاهر الريائية التي ابتدأ يرثها جيل وراء جيل. كذلك الكهنة والمعلمون لما كان استدعاؤهم بأمر تكليف وضغط وليس عن عمق معرفة وسعي داخلي، بقيت الديانة عندهم صنعة ومهنة وتوارثها الخلف عن السلف. لذلك كانت نهضة يوشيا الملك بادرة ذات لمعان خارجي ولكنها تخلو من حقيقة النور والروح والحق.

موت يوشيا الملك وفقدان الحرية المؤقتة:

في هذه الأثناء التي كنَّا منشغلين فيها بيوشيا الملك وقيام عصر النهضة والحرية التي يمكن أن تبشِّر بالخير لو ترسَّخت ودامت، قامت مملكة بابل ومادي وأنزلت بأشور حتى التراب سنة 612 ق.م وسقطت مدينة نينوى. ولكن بالرغم من أهمية هذا الخبر ليوشيا واليهودية إذ سقط الجبار الذي استبد بهم، ولكن ما فتئ أن قامت النسور الجارحة تقتسم الجثة والخاسر الوحيد فيها في ذلك الوقت هو اليهودية، لأن يوم الحرية والتحرر كان لا يزال بعيداً جداً.

فلمَّا قامت مملكة بابل باتفاق مع مادي في الانقضاض على أشور، يخبرنا سفر أخبار الأيام الثاني (20:35) أن نخو الثاني ملك مصر (610ـ594 ق.م) الذي خلف بسماتيك أباه قام بقوة كبيرة متجهاً إلى كركميش على الفرات ليساعد أشور أوباليت Asshur-uballit ليسترد معه حاران التي سقطت في يد البابليين: «صعد نخو ملك مصر إلى كركميش ليحارب عند الفرات (لحساب أشور) فخرج يوشيا للقائه» (2أي 20:35)، فكانت حماقة من ملك اليهودية أن يتصدى لملك قوي كأنه قادر أن يصده عن التحالف مع أشور. وبالرغم من أن نخو ملك مصر أرسل إليه: «فأرسل إليه رسلاً يقول: مالي ولك يا ملك يهوذا لست عليك أنت اليوم ولكن على بيت حربي والله أمر بإسراعي، فكفّ عن الله الذي معي فلا يهلكك» (2أي 21:35). ولكن للأسف لم يسمع يوشيا ولم يرتدع:

+ «ولم يحوِّل يوشيا وجهه عنه بل تنكَّر لمقاتلته ولم يسمع لكلام نخو من فم الله بل جاء ليحارب في بقعة مجدُّو. وأصاب الرماة الملك يوشيا فقال الملك لعبيده انقلوني لأني جُرحت جداً ... وساروا به إلى أُورشليم فمات ودُفن في قبور آبائه وكان كل يهوذا وأُورشليم ينوحون على

يوشيا» (2أي 35: 22-24)

+ «ولم يكن قبله ملك مثله قد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقم مثله.» (2مل 25:23)

وقد رثاه إرميا النبي بمرثاة طويلة وكذلك حزقيال النبي، علماً بأن هذين النبيين هما كاهنان بالميلاد حسب تحقيق يوسيفوس المؤرِّخ[9]. وقد سكن إرميا في أُورشليم في السنة الثالثة عشرة لحكم يوشيا حتى سقطت المدينة والهيكل وتمَّ خرابها.

تولِّي يهوآحاز الملك ومصيره السيئ (609 ق.م):

بعد موت يوشيا مباشرة أقاموا ابنه يهوآحاز Jehoahaz ملكاً عوضاً عن أبيه، وكان بحسب تحقيقات المؤرِّخ برايت هو الأصغر في أبناء يوشيا تيمّناً بصغر أبيه في وقت توليه الحكم لعله يسير مسيرة أبيه، وكان أخوه الأكبر هو يهوياقيم Jehoiakim[10]. ولكن لما عاد نخو ملك مصر من معارك الفرات التي ربحها البابليون ضد أشور ومعه نخو، تراجع نخو ملك مصر ليقوى قبضة يده على الممالك التي أخضعها غرب الفرات ربلة أرض ''حماة'' في سوريا، فأرسل واستدعى يهوآحاز ملك اليهودية الجديد الذي لم يزد حكمه على ثلاثة شهور (ربع سنة) وعمل الشر في عيني الرب، فأسقطه من ملكه وقبض عليه مقيَّداً وأخذه معه إلى مصر ومات هناك. وغرَّم اليهودية مائة وزنة فضة ووزنة ذهب. وملَّك فرعون نخو الياقيم بن يوشيا عوضاً عن يوشيا أبيه وغيَّر اسمه إلى يهوياقيم. وقد كان سن يهوآحاز ثلاثة وعشرين سنة لما ملك، أمَّا يهوياقيم

---

(9) Edersheim, p. 271.

(10) Bright, p. 324, n. 43.

فكان سنُّه خمسة وعشرين سنة لأنه الأكبر سناً «وملك إحدى عشرة سنة في أُورشليم وعمل الشر في عيني الرب.» (2مل 23: 26و27)

حكم يهوياقيم على اليهودية (609-598 ق.م):

كان موالياً لمصر عن هزيمة وجزية، ووقعت الأرض في أيامه تحت وطأة جزية لا تتناسب مع فقر البلاد، وقد قُدِّرت عن كل رأس حر في البلاد، وبه انتهت حرية اليهودية التي دامت عشرين سنة[11].

حال اليهودية تحت ولاية مصر: (609-605 ق.م)

ولو أن فرعون نخو انهزم أمام قوة البابليين وعجز أن يساند أشور سنة 609 ق.م، إلاَّ أنه بعودته أدخل سوريا وفلسطين تحت الجزية وظلَّتا كذلك لمدة طويلة. وقد تبادل جيش مصر وجيش بابل الغارات المتتالية في منطقة الفرات ـ كركميش دون نصر واضح. وفي أثناء ذلك كانت وطأة الجزية على اليهودية معوِّقة للنهضة التي أراد يهوياقيم أن يحاكي بها ما عمل أبوه من جهة العبادة والتنظيم، ولكن لم يكن على كفاءة أبيه، وكان قاسياً في تصرفاته وكثير الطموح، فقد بنى قصراً لنفسه غير القصر الذي ورثه عن أبيه، ولكن بناه بالسخرة! وقد شنَّع به إرميا النبي:

+ «ويل لمن يبني بيته بغير عدلٍ وعلاليه بغير حقٍّ، الذي يستخدم صاحبه مجَّاناً ولا يُعطيه أجرته. القائل أبني لنفسي بيتاً وسيعاً وعلالي فسيحة ويشق لنفسه كوىً ويسقف بأرزٍ ويدهُن بمغْرَةٍ ... لأن عينيك وقلبك ليست إلاَّ على خطفك وعلى الدم الزكي لتسفكه وعلى الاغتصاب والظلم لتعملهما. لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ابن يوشيا ملك

(11) Ibid, p. 324.

يهوذا لا يندبونه قائلين آه يا أخي أو آه يا أختِ. لا يندبونه قائلين آه يا سيد أو آه يا جلاله: يُدفن دفن حمارٍ مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم.» (إر 22: 13-19)

وزحفت عبادة الأصنام على اليهودية من جديد وانطفأت شعلات العبادة والتجديد وتقهقرت روح الشعب وأنَّت من جراء الجزية وضلالة الملك. وأخلاق الشعب عادت إلى الانحلال والفجور واقتراف الشرور والآثام واضطهدوا أنبياءهم وقتلوهم(12). وكانت النتيجة أن سقطت اليهودية مرَّة أخرى في يد أعدائها:

السبي الأول لليهودية: (605 ق.م)

فجأة انقلبت موازين القوى في الشرق على الفرات ونواحيه، وكان من نتيجته أن وُضِعَت اليهودية أمام تهديد خطر حاسم. إذ انقضَّ نبوخذناصر على معسكر المصريين في كركميش بين النهرين حيث كانت سوريا تحت حكم مصر وهزمهم هزيمة شديدة، كما أخبرنا النبي إرميا بدقة مذهلة هكذا:

+ «كلمة الرب التي صارت إلى إرميا عن الأُمم، عن مصر عن جيش فرعون نخو ملك مصر الذي كان على نهر الفرات في كركميش الذي ضربه نبوخذراصر ملك بابل في السنة الرابعة ليهوياقيم بين يوشيا ملك يهوذا.»(إر 46:1و2).

هنا تحرَّج مركز اليهودية وانكشف ملك اليهودية العميل الرسمي لنخو ملك مصر.

(12) Bright, p. 325.

البابليون يتقدَّمون:

عـاد نبوخذناصـر وكـرَّر ضـربته الموجعـة للمصـريين المعسـكرين في حمـاة في منتصف أرض سوريا وبهذا انكشفت له مناطق سوريا الجنوبية ومعها فلسطين! ففي أغسطس سنة 605 ق.م وقف تقدُّم زحف البابليين إذ جاءتهم الأخبار بموت نابوبلاصر Nabopolassar الذي أرغم نبوخذناصر بالعودة يطلب مزيداً من القوة، وكان ذلك في سبتمبر من نفس السنة.

ولكن استأنف البابليون زحفهم، وبنهاية سنة 604 ق.م ظهرت جيوش نبوخذناصر في سهول فلسطين فاستولوا على أشقلون وهدموها (إر 5:47) وسلبوا كل ما فيها إلى بابل مع جيادها وبحَّاريها[13]. وقد اكتشف في مصر خطابٌ باللغة الأرامية مُرسل من ملك اليهودية إلى الفرعون يطلب النجدة[14]. وأُعلن الصوم العام في اليهودية في ديسمبر سنة 604 ق.م: «وكان في السنة الخامسة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا في الشهر التاسع (اليهودي) أنهم نادوا لصوم أمام الرب كل الشعب في أُورشليم وكل الشعب القادمين من مدن يهوذا إلى أُورشليم» (إر 9:36) وكان هذا النداء بدون علم الملك يهوياقيم، فلمَّا بلغه كلام هذا المكتوب «وكان الملك جالساً في بيت الشتاء في الشهر التاسع والكانون قدَّامه متَّقد. وكان لما قرأ يهودي (الكاتب) ثلاثة سطور أو أربعة (من سفر إرميا) أنه شقَّه بمبراة الكاتب وألقاه في النار التي في الكانون حتى فنى كل الدرج» (إر 36: 22ـ24). على أن الدرج كان يحمل نبوَّة إرميا ضد اليهود وأُورشليم وضد الملك كما هو مكتوب في (إر 30:36) وعن قضاء الله المحتوم على البلاد.

---

(13) Ibid, p. 326, n. 49.
(14) Ibid, p. 326, n. 50.

خريطة توضِّح غزو الأشوريين ضد مملكة يهوذا

وما أن نزل نبوخذناصر إلى فلسطين حتى حوَّل يهوياقيم ولاءه من مصر إلى بابل سنة 603 ق.م، ولم يكن مقصد نبوخذناصر أن يستولي على البلاد بل كان مجرَّد إظهار قوته وسلطانه. واستطاع جيش بابل أن يغطِّي أرض فلسطين كلها سنة 603 ق.م.

وغيَّر يهوياقيم الجزية من نحو مصر إلى نبوخذناصر ببابل «في أيامه صعد نبوخذناصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبداً ثلاث سنين ثم عاد فتمرَّد عليه فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين(15) وغزاة الأراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بني عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب ... من أجل خطايا منسَّى حسب كل ما عمل.» (2مل 24: 1ـ3)

وهكذا تحرَّك نبوخذناصر في أواخر سنة 601 ق.م نحو مصر واصطدم بجيش مصر على الحدود المصرية قرب بيلوزيوم (بورسعيد الآن) (انظر أدرشيم صفحة 272)، وتحمل الفريقان خسائر فادحة عاد بعدها نبوخذناصر إلى بلاده وأمضى سنة 600 ق.م في تحسين جيشه.

أمَّا يهوياقيم ملك اليهودية فاعتبر عودة نبوخذناصر شبه مهزوم إلى بلاده أنه انكسر فتشجَّع وثار ضد نبوخذناصر ولم يدفع له الجزية، وكانت هذه جهالة قاتلة، علماً بأن إرميا النبي حذَّرهم كثيراً جداً أن لا يعتمدوا على مصر وأن نبوخذناصر قادم بجيشه وسيستولي على البلاد، فطلب الملك وجهلاء الشعب أن يقتلوه. فلو أن نبوخذناصر لم يكن لديه نيَّة لدخول اليهودية ولكنه عسكر في النواحي القريبة ـ في بيلوزيوم على حدود مصر سنة 600 إلى سنة 599 ق.م، ثم في سنة 599 إلى سنة 598 ق.م نزل على اليهودية حتى لا

(15) غزاة الكلدانيين جمعوا عصابات مدرَّبة من هذه الأقاليم الخاضعة لنبوخذناصر.

يجعل يهوياقيم يفلت من العقاب. وفي سنة 598 تحرَّك جيش نبوخذناصر في شهر ديسمبر ولكن في هذا الشهر مات يهوياقيم[16]. ومعروف بحسب إرميا النبي أنه اغتيل هو وأشراف المدينة، ذبحهم نبوخذناصر وألقى بجثة الملك أمام السور دون دفن وهكذا تمّ كلام إرميا النبي بالحرف الواحد[17]: «لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم وأجلب عليهم وعلى سكان أُورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر.» (إر 36: 30و31)

وبعد موت يهوياقيم بعد أن عاش ستة وثلاثين سنة حكم منها إحدى عشرة سنة، أخذوا ابنه يهوياكين (بالكاف) Jehoiakin وأجلسوه عوض أبيه (2مل 8:24)، وحكم ثلاثة أشهر وعشرة أيام. وفي 16 مارس سنة 597 ق.م أُخضعت اليهودية لجيوش نبوخذناصر وأخذوا الملك يهوياكين وأُمه الملكة وكبار الضباط والموظفين وكل رؤساء وشيوخ الشعب وساقوهم إلى بابل، ثلاثة آلاف نفس، وكان من بينهم النبي حزقيال الذي كان وقتها صغير السن. ولكن يقول المؤرِّخ برايت إن هذا الرقم بحسب إرميا النبي يشمل الرجال البالغين فقط، ولكن الرقم الحقيقي بحسب 2 مل 24: 14و16 هو بين عشرة آلاف وثمانية آلاف نفس[18].

وأقام الشعب عم يهوياكين ويُدعى ماتانيا Mattaniah وهو صدقيا

---

(16) Freemann, p. 54.

(17) Edersheim. *op. cit.*, p. 272.

(18) Bright, p. 327, n. 55.

كحاكم للبلاد مكان الملك[19].

نهاية مملكة اليهودية:

كان من المفروض بعد المعاناة التي مرَّت فيها اليهودية وخبرة عدم الأمانة لرؤساء الشعب الذين ملَّكهم الله عليهم لتأديبهم أن يكونوا طيِّعين تحت اليد العالية التي لنبوخذناصر، ولكن يبدو أن تأديبهم من قبل الله لم يكمل بعد.

حكم صدقيا الملك: (597ـ587 ق.م)

كان متردداً بروح العصيان والتمرُّد لتخريب حياته وبلده، وقد نجح في إسقاط السقف على رأسه، حتى أنه في خلال عشر سنوات كان قد بلغ بالبلاد إلى الخراب الأخير.

كان بعد الاضطرابات التي حدثت بسبب جنون يهوياقيم أن اليهودية تكلَّفت فوق طاقتها وفوق فقرها جزية أرهقت الأرض والشعب والبلاد، حتى أن بعض المدن مثل لخيش ودبير كانت قد تخرَّبت[20]، وفقدت اليهودية أجزاء من أرضها بعد ذلك عندما رفعت سيطرتها عن مناطق الجنوب[21]، أما اقتصادها فقد انكمش وتعدادها ضعف[22]، مع أن عدد المسبيين منها لم يكن كثيراً، إنما كانوا من كبراء ووجهاء اليهود.

والذين تبقوا في اليهودية لمعاونة صدقيا الملك كانوا من مغالاة القوميين

(19) Bright, p. 327.
(20) Ibid.
(21) H. L. Ginsberg, Jewish Theological Seminary, 1950, p. 363.
(22) G. E. Wright, *Biblical Archaeology*, p. 178.

الوطنيين الذين أعمت الوطنية أبصارهم فلم يعودوا يرون الصالح لبلادهم في الأيام العصيبة. وحتى صدقيا الملك لم يكن كفءاً لإدارة البلاد في مثل هذه الساعات الحرجة، ولو أن مقاصده كانت حميدة، إنما لم يكن فيه القدرة للتعاون مع مساعديه، كما أنه كان متخوفاً من حركات الشعب، هذا بالإضافة إلى أن يهوياكين الملك المسبي في بابل كان محسوباً لدى الشعب أنه الملك الحقيقي، بل وحتى بابل نفسها كانت تعتبره كذلك.

والسجلات التي عُثر عليها في بابل كشفت أن يهوياكين كان مقيَّداً فيها أنه ملك اليهودية[23] في الوقت الذي وجدت فيه شقافة في أرض فلسطين تحمل نقشاً باسم ألياقيم وزير يهوياكين، مما يفيد أن تاج الملوكية كان لا يزال محسوباً له في البلاد نفسها[24]. وكان اليهود الذين في الأسر في بابل يحسبون سنيهم منذ نفي الملك يهوياكين. وقد ذَكَرَ هذا بوضوح حزقيال النبي (وهو مسبي أيضاً): « كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وأنا بين المسبيين عند نهر خابور أن السموات انفتحت فرأيت رؤى الله في الخامس من الشهر وهي السنة الخامسة من سبي يهوياكين الملك.» (حز 1: 1و2)

وبنفس هذه المشاعر كان يعيش أهل اليهودية، ونستشعر هذا من كلام إرميا النبي هكذا:

+ «في ابتداء مُلك يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا صار هذا الكلام إلى إرميا من قِبَل الرب قائلاً: ... ويكون أن الأُمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذناصر ملك بابل والتي لا تجعل عُنقها تحت نير ملك بابل إني

---

(23) Albright, "King Jehoiachin in Exile", The Biblical Archaeologist, V, 1942. pp. 49-55.

(24) Albright, Journal of Biblical Literature, L I (1932), pp. 77-106.

أُعاقب تلك الأُمة بالسيف والجوع والوبأ يقول الرب حتى أفنيها بيدهِ. فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعرَّافيكم وحالميكم وعائفيكم وسحرتكم الذين يكلِّمونكم قائلين: لا تخدموا ملك بابل. لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب لكي يبعدوكم من أرضكم ولأطردكم فتهلكون ...

وكلَّمت صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام قائلاً: أدخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه وشعبه واحيوا. لماذا تموتون أنت وشعبك بالسيف والجوع والوبأ كما تكلَّم الرب عن الأُمة التي لا تخدم ملك بابل.»(إر 27: 1-13)

وهكذا نفهم أنه قد سرت مشاعر ثورية حمقاء بين شعب اليهودية وفي قلب صدقيا نفسه كما بلغت هذه المشاعر بواسطة الأنبياء الكذبة إلى المسبيين. وابتدأت حركة التمرُّد من الجيش هناك في السبي أن العودة قريبة، وبدأت الحركات العشوائية تسري بين الشعب، فعلا صوت إرميا يحذِّر: «اطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون سلام لكم. لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل: لا تغشّكم أنبياؤكم الذين في وسطكم ... لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب، أنا لم أرسلهم يقول الرب.» (إر 29: 7-9)

ويبدو أنه بلغت نبوخذناصر خبر هؤلاء الأنبياء الكذبة الذين في وسط الشعب فقتلهم أمام أعين الشعب (إر 21:29). ولكن الثورة المكتومة التي قام بها أهل السبي في بابل والتي أُقمعت بلغت أخبارها اليهودية، ففي سنة 594-593 ق.م قام سفراء للخراب من أدوم وموآب وعمون وصور وصيدا وتقابلوا في أُورشليم ليخططوا لقيام ثورة، وكان هذا يوافق السنة الرابعة لصدقيا الملك، وأشاعوا بين أنبياء كذبة في اليهودية أن الله قد كسر نير

ملك بابل، وأنه في ظرف سنتين (بحسب إرميا 2:28) سيعود يهوياكين والمسبيون معه ظافرين إلى أُورشليم. وأسرع إرميا ليدحض هذه الافتراءات وأرسل خطاباً إلى المسبيين أن يكفُّوا عن الأحلام الكاذبة ويعملوا حسابهم لسبي طويل.

وأمَّا صدقيا فبعد أن جسَّ نبض مصر في المساعدة على قيام ثورة فكان الرد بالنفي، قام بنفسه بسبب خوفه واتجه إلى بابل ليقدِّم خضوعه لنبوخذناصر.

الثورة الأخيرة وخراب أُورشليم (589ـ587 ق.م):

كان المقضي به مؤجَّلاً إلى حين، ففي خمس سنوات حتى سنة 589 ق.م شبَّت روح الوطنية يحمِّسها ثقة عمياء كاذبة غير مخضعة للواقع، دفعت اليهودية إلى الثورة المكشوفة العارمة التي لا رجعة فيها دون أن يكون لها أسباب أو مسببات واضحة. ولكن المعروف أنه كان هناك اتفاق مع مصر وفرعونها خفرع Hophra (589ـ570) الذي تولَّى بعد بسماتيك الثاني (594–589) والذي مارس التدخُّل في شئون بلاد أسِيَّا. ولكن لم تكن الثورة شاملة لفلسطين وسوريا معاً، بل فقط في صور التي حاصرها نبوخذناصر بعد أُورشليم وسقطت، وعمون كما يخبرنا إرميا (40: 13 إلى 15:41) وحزقيال (21: 18ـ32)[25]. أمَّا بقية البلاد فكانت الحركة فيها هزيلة ما عدا آدوم التي دخلت مؤخّراً ولكن في صف البابليين: «اذكر يا رب لبني آدوم يوم أُورشليم (كانوا ضدها) القائلين هدوا هدوا حتى إلى أساسها. يا بنت بابل المخرِّبة (كانت آدوم متعاونة مع بابل ضد أُورشليم) طوبى لمن يجازيكِ جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمنْ يدفن أطفالك ويضرب بهم الصخرة.» (مز 137: 7ـ9)

(25) Ginsberg. *op. cit.*, pp. 365-367. cited by Bright p. 329, n. 60.

أمَّا البابليون فكان عملهم سريعاً، ففي يناير سنة 588 ق.م (2مل 1:25 ـ (إر 4:52) وصل جيشهم ووضع أُورشليم تحت الحصار (إر 21: 3ـ7) وأسقطوا القلاع الحصينة واحدة تلو الأخرى، حتى أخيراً في نهاية السنة لم يتبقَّ من النقاط إلاَّ لخيش وعزقة (إر 6:34). وهكذا انحطَّت معنويات أهل أُورشليم وتيَّقن قوَّادها أن الأمر ميئوس منه. ففي صيف سنة 588 ق.م وصلت الأخبار أن جيشاً من مصر يتقدَّم وقد كسح الحصار عن أُورشليم وتراجع البابليون أمام المصريين. وواضح أن صدقيا ملك اليهودية أسرع بإرسال الاستغاثة التي وصلت في حينها. ولكن كان تراجع البابليين تراجعاً تخطيطياً مؤقَّتاً (إر 5:37). وهكذا سرت موجة من السعادة والراحة والغبطة في قلوب أهل أُورشليم ما عدا النبي إرميا الذي ظلَّ يصرخ: لا تصدِّقوا لا تصدِّقوا، الخراب قادم قادم (إر 37: 6ـ10، 21:34). وبناءً عليه ومن واقع نبوَّة إرميا انخذل جيش المصريين وارتد إلى الوراء وأعاد البابليون الحصار!

ومع أن أُورشليم قد صمدت صمود الجبابرة حتى صيف السنة التالية، لكن كان مصيرها محتوماً. فأراد صدقيا أن يستسلم (إر 38: 14ـ23) ولكنه جبن، وفي يوليو سنة 587 ق.م في السنة الحادية عشر من ملك صدقيا سقطت المدينة أثناء الليل (2مل 2:25)، (إر 7:52) بعد أن فرغ تموين الشعب، فاقتحم البابليون الأسوار واندفعوا داخل المدينة(26) ، وأحرقوا الهيكل عن آخره بحسب يوسيفوس(27). أما الملك صدقيا ففر مع حاشيته وعساكره ليلاً نحو الأُردن (2مل

(26) K. S. Freedy, *JAOS* = *Journal of the American Oriental Society*, 90 (1970), pp. 462-485

(27) Joseph. *op. cit.*, p. 275

4:25؛ إر 7:52) طلباً للأمان في عمان، ولكنه أُوقف قرب أريحا وقُبض عليه وقدَّموه أمام نبوخذناصر وهو معسكر في ربلا Ribla في سوريا ولم ير رحمة!! فبعد أن قتلوا أولاده أمام عينيه خلعوا عينيه وربطوه بسلسلة إلى بابل حتى مات هناك (2مل 25: 6و7)، (إر 52: 9ـ11). وحضر قوَّاد نبوخذناصر وهدموا أسوار المدينة إلى الأرض وقبضوا على خدَّام الهيكل ورجال الدين ورؤساء الشعب واستقدموهم أمام نبوخذناصر وقتلوهم أمامه، وبقية الشعب رُحِّل إلى السبي في بابل. ويقدِّر إرميا عدد الرجال البالغين منهم بـ 832 شخصاً.

وانتهت مملكة اليهودية **إلى الأبد!**

تعقيب وقصة جداليا Gedaliah:

بعد سقوط المدينة وحرق الهيكل وهدم الأسوار وخراب المدينة، أدخل البابليون اليهودية كأحد أقاليم الامبراطورية، وذلك بعد أن خربت الأرض وهُدمت المدن وتحطَّم اقتصادها، ورعاياها إما قُتلوا أو أُسروا ورُحِّلوا للسبي، وأصبح شعب الأرض من المساكين والفلاحين الذين لا حول لهم ولا قوة ولا ثورة ولا مكيدة (2مل 12:25)، (إر 16:52). وأقام البابليون حاكماً على البلاد: جداليا رجلاً من أسرة نبيلة أبوه أخيقام الذي كان قد أنقذ حياة إرميا من الموت (إر 24:26)، وكان جده شافان سكرتير يوشيا في أعمال الحكومة (2مل 3:22) باعتباره الشخص الأول الذي يدبِّر ويحرِّك الأمور. وقد وُجِدَت حفرية في مدينة لخيش تقول عن جداليا أنه رئيس وزراء على بيت صدقيا. ولأن أُورشليم قد خربت وما عادت تصلح للسكنى جعل إقامته الحكومية في المصفاة Mizpah (الآن تل النصبة). ولكن أخفق جداليا في إدارة البلاد والشعب الفقير الجائع، ولا يعلم أحد مقدار وجوده في هذا المنصب ويُقال إنه

لم يزد عن ثلاثة شهور أو ربما تصل حتى إلى سنة أو اثنتين(28).

وقامت مؤامرة لقتله بواسطة إسماعيل Ishmael واحد من الأسرة المالكة ولقد نجح إسماعيل في الانفراد بجداليا مع بعض أعوانه وقتلوه، وقاموا وهربوا إلى مصر وأخذوا إرميا النبي معهم بالقوة.

وهكذا أصاب بلاد اليهودية خراب في المدن والأرض والشعب، ولا يعلم أحد ما أصاب هذه البلاد في حالك هذه الأيام(29).

---

(28) Bright. *op. cit.*, p. 330.

(29) Bright. *op. cit.*, p. 331.

12- العودة من السبي وبناء الهيكل
(538-333 ق.م)

فترة هدوء وسلام

حينما بدأ شعب إسرائيل يعود من السبي سنة 538 ق.م، بدأوا فوراً في بناء الهيكل سنة 537 ق.م، وظلوا يعملون باجتهاد وحماس نادرين حتى تمَّ بناؤه في 10 مارس سنة 519 ق.م، وذلك بإشراف وإلهام النبي حجَّي والنبي زكريا.

ومن سفري حجَّي وزكريا نستطيع أن نُدرك أن الشعب بدأ بداية طيبة بقيادة هذين النبيين، وعاش في سلام كامل مع جيرانه والتفت إلى تعمير البلاد.

ومن الأمور الهامة جداً ما نلاحظه أن الشعب لم يطلب أن يقيم لنفسه ملكاً بعد السبي، وذلك بسبب ما اكتشفه الأنبياء، وخصوصاً حجَّي وزكريا، أن الملوك أنفسهم كانوا هم سبب خراب مملكة إسرائيل، لأن الله منذ البدء كان هو الملك الوحيد على إسرائيل، وذلك يتضح جداً من تعاليم كل من حجَّي وزكريا.

فعدم قيام ملك مشهور على إسرائيل من بعد السبي كان في الواقع أقرب إلى الوضع الروحي الصحيح. ولكن كان لمجيء عَزْرا الكاتب سنة 457 ق.م، وكذلك مجيء نَحَمْيَا سنة 444 ق.م، واشتراكهما معاً في قيادة الشعب مثلما كان في زمن القضاة، أثرٌ كبيرٌ في نهضة ما بعد السبي. فقد اضطلع نحميا بإعادة بناء أسوار أُورشليم، وتجديد العبادة والشرائع الطقسية، والتدقيق في حفظ السبت والعشور، ومسك سجلات الأنساب بتدقيق شديد. أمَّا عزرا الكاتب والكاهن فاهتم جداً بالناموس الروحي واجتماعات الشعب للوعظ وشرح الناموس المختص

بالتطهيرات والقداسة.

وظلت إسرائيل تحت الحكم الفارسي من سنة 538 إلى سنة 333 ق.م تنعم بهدوء وسلام عظيمين، وانتهزت فرصة الهدوء والسلام الداخلي للنمو في المعرفة الدينية ودراسة الأسفار والتعمُّق في الشرح والتأويل وممارسة الحياة الدينية على وجه العموم بمستوى روحي عال جداً، كتكميل للعمل العظيم الذي بدأه عزرا الكاتب، كما هو واضح في سفر ملاخي النبي.

كما بدأت تأثيرات الثقافة اليونانية تظهر في محيط الروحيات والأبحاث اليهودية، وأغنتها كثيراً، ولكن دون أن تؤثِّر على أصالة الميراث الآبائي وروح الأسفار المنطوية على أسرار الهيكل والعبادة. وفي ذلك العصر بدأت السلطة الدينية تتركَّز في شخص رئيس الكهنة الذي أصبح أيضاً مسئولاً عن حالة الشعب أمام الحكام الفارسيين وعن الضريبة.

وبنهاية هذا العصر بلغ النظام والعبادة في الهيكل أقصاه من حيث الدقة والاهتمام، كما بدأ أيضاً نظام العبادة والصلوات في المجامع المحلية. والمدهش حقًّا أن هذه الحقبة الناشطة روحياً أثمرت ظاهرة جديدة في المحيط الديني وهي بداية التبشير بالديانة اليهودية في البلاد المحيطة.

على أن الحالة الاقتصادية والتوسُّع في التعمير كان محدوداً جداً بسبب الضرائب. وكان من أهم النتائج الإيجابية للسبي ــ الذي تكرر مرتين في هذه المدَّة ــ بالنسبة لتاريخ إسرائيل الروحي، وبالتالي بالنسبة للتمهيد لظهور المسيَّا هو تشتُّت اليهود في كافة البلاد المحيطة، وتأثرهم بالمدنيات والثقافات المجاورة، وتاثيرهم أيضاً عليها. وكان هذا داخلاً في صميم الخطة الإلهية لرفع مستوى إدراكات شعب إسرائيل من جهة، والتمهيد لمعرفة الله عند الأُمم من جهة أخرى.

خريطة توضِّح العودة من السبي

13 – الحكم اليوناني
(333–63 ق.م)

أولاً: من غزو الإسكندر الأكبر (333 ق.م)
حتى اعتلاء أنطيوخس إبيفانس (175 ق.م)

بظهور الإسكندر الأكبر في بلاد اليونان بدأ نجم الدولة الفارسية في الأفول، وفي موقعة أسوس سنة 333 ق.م سقطت الدولة الفارسية وغزا الإسكندر الأكبر سوريا ومصر وأخضعهما، وبذلك دخلت إسرائيل تحت حكم اليونان.

صورة تبيّن الإسكندر الأكبر كإله وله قرنا كبش

وبموت الإسكندر الأكبر سنة 323 ق.م، حدثت اضطرابات وحروب محلية بسبب تنازع أربعة ضباط من جيشه على الحكم، وكان منهم بطليموس وسِلُوقس، اللذان ظلاَّ يتنازعان على حكم سوريا ومصر[1]. وهذا التقسيم وقيام أربعة ملوك متنازعين يصفه دانيال النبي ـ كما

(1) كما يصف ذلك سفر المكابيين الأول: «وبعد ذلك انطرح (الإسكندر) على فراشه وأحسَّ في نفسه بالموت. فدعا عبيده الكبراء الذين نشأوا معه منذ الصبا، فقسَّم مملكته بينهم في حياته. وكان مُلك الإسكندر اثنتي عشرة سنة ومات. فتملَّك عبيده كل واحد في مكانه ولبس كل منهم التاج بعد وفاته.» (1مك 1:6ـ10)

رآه في رؤياه ـ وصفاً رائعاً بالنبوَّة في (دا 11: 3و4، 8: 5ـ 8). وبقي اليهود تحت حكم البطالسة حتى سنة 200 ق.م:

+ «ويقوم ملكٌ جبَّارٌ ويتسلَّط تسلُّطاً عظيماً ويفعل حسب إرادته، وكقيامه تنكسر مملكتهُ وتنقسم إلى رياح السماء الأربع، ولا لِعِقَبهِ (أي ليس لنسله) ولا حسب سلطانه الذي تسلَّط به، لأن مملكته تنقرض وتكون لآخرين غير أولئك.» (دا 11: 3و4)

+ «وبينما كنت متأمِّلاً إذا بتيسٍ من المِعْزِ (الإسكندر الأكبر) جاء من المغرب على وجه كل الأرض، ولم يمسَّ الأرض. وللتيس قرنٌ معتبرٌ بين عينيه. وجاء إلى الكبش صاحب القرنين (مملكة مادي وفارس) الذي رأيته واقفاً عند النهر وركض إليه بشدَّةِ قوَّته، ورأيته قد وصل إلى جانب الكبش، فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه فلم تكن للكبش قوَّةٌ على الوقوف أمامه وطرحه على الأرض وداسه ولم يكن للكبش منقذٌ من يده. فتعظَّم تيسُ المِعْزِ جداً ولما اعتزَّ انكسر القرن العظيم وطلع عِوضاً عنه أربعة قرونٍ مُعتبرة نحو رياح السماء الأربع.» (دا 8: 5ـ8)

وبالرغم من كثرة المنازعات بين حكَّام عائلة البطالسة وعائلة السلوقيين، فإن النشاط الديني كان على أشدِّه، واشتدَّ بأس رؤساء الكهنة وظهر أولاً سمعان البار رئيس الكهنة الذائع الصيت، وقد ذُكر خبره ومديحه في سفر ابن سيراخ (50: 1ـ24)، وفي زمانه أُضيفت بعض المباني للهيكل وازداد تحصينه، ومن أقواله المشهورة: «على ثلاثة دعائم يقف العالم: التوراة والهيكل والمحبة»

ومن أشهر رؤساء الكهنة الذين قاموا في نهاية هذه المدَّة من عائلة أونياس

هو أونياس الثاني ابن سمعان البار. وفي هذه المدَّة جُمعت مجموعة المزامير التي تكوّن الكتاب الثالث من المزامير (من مزمور 43 إلى مزمور 89)، وبعضها من إلهام الروح لكُتَّاب هذه الحقبة الناشطة. وفي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد (سنة 250 ق.م) تُرجمت في الإسكندرية خمسة أسفار التوراة إلى اللغة اليونانية كأساس للنسخة السبعينية الكاملة بعد ذلك.

حكم أنطيوخس الثالث الكبير: (223–187 ق.م)

ظلَّت الحروب المحلية مستمرة بين السلوقيين والبطالسة وبين حكَّام سوريا ومصر، والتنازع على التوسُّع والسلطان. فاستولى في بادئ الأمر أنطيوخس الثالث على سوريا حوالي سنة 219 ق.م، وقد ظلت فلسطين تحت حكم البطالسة ''ويذكر دانيال النبي هذه الحادثة في (11: 10–12)''، ولكن الجيش المصري تحت حكم البطالسة انتصر بقيادة بطليموس الرابع (فيلوباتير) (ملك مصر من سنة 221–203 ق.م) في موقعة رفح (217 ق.م)، وهزم الجيش السوري الذي كان بقيادة أنطيوخس الثالث وتعقَّبه حتى لبنان، واستعاد البطالسة كل سوريا ولبنان (فينيقية) وفلسطين.

وفي سفر المكابيين الثالث (6:1)، (9:1–11و24) جاء ذكر هذه الفترة، وانتصار بطليموس الرابع (فيلوباتير) واستقبال شيوخ اليهود وأعضاء السنهدريم له في أُورشليم وتقديم التهنئة له.

كما جاء ذكرها أيضاً في سفر نبوَّة زكريا الذي كان كأنه شاهد عيان إنما بروح النبوَّة (9:1–8، 11:1–3). حيث يرى النبي سقوط حدراخ على حدود دمشق وصور وصيدون، ووقوع قلعة صور وانكسار أشقلون. وبالأخص جداً يذكر انهزام غزة وعقرون وأشدود في فلسطين ثم لبنان شمالاً. ويضيف النبي تلميحاً جديراً بالذكر والإعجاب كيف أن الله نفسه حلَّ حول بيته، أي

أُورشليم، كما يحل القائد ويعسكر للحفظ والرعاية، فلم يمس أُورشليم ولا الهيكل أيُّ سوءٍ بسبب الغزوات المتتالية وتقدُّم وتقهقر الجيوش عدَّة مرَّات، مما يُفهم من ذلك أن عين الله كانت ساهرة على شعبه حتى هذا التاريخ، وهذا دليل الرضى. فكانت إسرائيل محفوظة بعناية إلهية حتى يجيء ملء الزمان:

+ «وأحلُّ حول بيتي بسبب الجيش الذاهب والآئِبِ.» (زك 8:9)

كما يُفهم من نبوَّة زكريا في (4:9) أن الرب ابتدأ يرتِّب ليُخضع لنفسه صور وصيدا وكافة هذه البلاد لتؤمن به، حيث هزيمتها وانكسارها تكون تمهيداً لتطهيرها. ويزيد زكريا النبوَّة وضوحاً بقوله:

+ «وأنزع دماءها من فمها ورجسها من بين أسنانها، فتصير هي أيضاً لإلهنا، وتكون كعشيرة في يهوذا وعقرون كيبوسيٍّ (الذين تهوَّدوا منذ القديم). »(زك 7:9 حسب النسخة المصححة الإنجليزية)

كما أن النبوَّة تشير إلى **إذلال هذه البلاد الفلسطينية التي على الساحل، والتي أذلَّت إسرائيل أكثر من ألف سنة، ولم تخضع لها قط خضوعاً كاملاً**. حيث يكون الإذلال هنا بطريقة عجيبة، وهو القضاء على تعصُّبها الجنسي والعنصري بإدخال أجناس أخرى في صميم عرقها، كعملية تهجين، حتى ينكسر كبرياؤها: «ويسكن في أشدود زنيم (جنس مهجن) فأقطع كبرياء فلسطين. »(زك 6:9)

وهذا واضح من ملابسات غزو المصريين ثم اليونانيين ثم السوريين لهذه البلاد وإقامتهم فيها!

أنطيوخس الثالث يعيد محاولة غزو مصر وسوريا: بعد أن نجح أنطيوخس في إخضاع سلوقيا، أعاد المحاولة لغزو مصر وسوريا سنة 205 ق.م، وبموت بطليموس الرابع (فيلوباتير) ملك مصر سنة 205 ق.م، انفتح الطريق أمامه

نحو مصر وسوريا. وفي سنة 202 ق.م ابتدأ الغزو، ولكن البطالسة والجيش في غزة قاوموا مقاومة عنيفة ورُدَّ أنطيوخس وجيشه السوري حتى إلى نهر الأُردن وذلك في شتاء عام 201ـ200 ق.م (وهذه الحادثة يذكرها دانيال النبي بالنبوَّة في 15:11و16):

+ «فيأتي ملك الشمال ويقيم مِتْرسة ويأخذ المدينة الحصينة، فلا تقوم أمامه ذراعا الجنوب ولا قومه المنتخب، ولا تكون له قوة للمقاومة، والآتي عليه يفعل كإرادته وليس مَنْ يقف أمامه، ويقوم في الأرض البهية وهي بالتمام بيده.» (دا 11: 15و16)

ولكن أنطيوخس أعاد الكرَّة على جيش البطالسة الذي كان بقيادة سكوباس وهزمه في بانيون وتعقَّبه حتى صيدون، وهناك حاصره حتى سلَّم وسمح له بالارتداد. وبذلك أُخضعت سوريا كلها للسلوقيين.

وفي عودة أنطيوخس استقبله اليهود في أُورشليم استقبالاً حافلاً كما يقول يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي، كما قدَّموا له معونات لجيشه.

وجدير بالذكر أن في هذا العام (200 ق.م)، قامت ثورات في أسيا الصغرى في منطقة ليديا وفريجيا، وقد أمر أنطيوخس الثالث القائد ريؤكسيس أن يرحِّل عدداً من العائلات اليهودية التي كانت متبقية من السبي في بلاد ما بين النهرين وبابل إلى المناطق المتمرِّدة في أسيا الصغرى، مع التوصية عليهم لكي يجدوا كل معونة وعناية. وهذا ما ذكره كلٌّ من المؤرِّخين القديمين بوليبيوس[2] ويوسيفوس[3].

(2) Polybius, xvi. 18.

(3) Josephus, *Antiq.*, XII, III, 4.

وهذه الحادثة تشير إلى دقة الترتيبات الإلهية التي كان يعدّها الله من صميم حوادث التاريخ للتمهيد بقبول الإيمان في البلاد البعيدة بواسطة اليهود الذين أُرسلوا بعناية الله، فكانوا أول من قَبِل الإيمان المسيحي في ''الشتات''، كما نراه واضحاً في رسالة يعقوب الرسول الخاصة إليهم:

+ «يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح يهدي السلام إلى **الاثني عشر سبطاً الذين في الشتات**.» (يع 1:1)

حالة اليهود أيام أنطيوخس الثالث:

يثبت المؤرِّخ يوسيفوس، معتمداً على ثلاث وثائق تاريخية، مقدار العناية والاهتمام والمحاباة التي لاقاها اليهود من أنطيوخس الثالث. وهذه الوثائق تنص على أن يُدفع لهم معونات خاصة لتقديم الذبائح، بالإضافة إلى السماح لهم بأخذ كافة الأخشاب اللازمة لهم من لبنان بدون ضرائب لترميم الهيكل، كما يأتي في نهايتها هذا التصريح: «ولتُمَكَّن هذه الأُمة من أن تعيش بمقتضى قوانين بلادها، وليُعفَ كافة أعضاء السنهدريم والكهنة وكتبة الهيكل وكافة المرنمين الدينيين من الضريبة المالية العامة وضريبة التاج وكافة الضرائب العادية الأخرى. وليُعفَ سكَّان أُورشليم من الضرائب العادية» ولكن ما يهمنا جداً من هذه الوثائق هو أنها أُرسلت لكل من حكام لبنان وسوريا للتنفيذ مباشرة على أن يكون ''رؤساء الكهنة'' هم الجهة السياسية المسئولة أمام الدولة. وكان رؤساء الكهنة مسئولين عن جمع الضرائب وتسليمها للحاكم العام، وكذلك في زمن البطالسة، مما كان يضطرهم للسفر إلى الإسكندرية لتقديم الحسابات وتجديد العقود، إلاَّ أنهم أوكلوا عنهم وكلاء كان أشهرهم عائلة ''طوبيا'' والتي كانت في عداوة وخصام ومنافسة شديدة مع عائلة سمعان البار رئيس الكهنة التي سُميت بعد ذلك بعائلة ''أونياس''. ولكن بعد تصاهر العائلتين صار

هناك اتفاق بينهما لتوريد الضرائب التي ظلت عائلة طوبيا مسئولة عنها مدة عشرين سنة تقريباً. ولكن ظل التنافس على السلطان السياسي والمدني قائماً بين عائلة ''أونياس'' وعائلة ''طوبيا''. وقد حافظ رؤساء الكهنة على دفع جزء من الضرائب بأنفسهم لاستمرار سلطتهم السياسية. وبانتصار أنطيوخس الثالث ظلَّت عائلة طوبيا هي المسئولة عن الضرائب وكانت تقدِّم لوالي سوريا.

وظلت المنازعات بين رؤساء الكهنة وبين عائلة طوبيا الموكَّلين على الضرائب وعلى خزائن الهيكل شديدة ومستمرة، مما أثَّر كثيراً على الأحوال الدينية.

غير أنه كانت هناك شيعة جديدة بدأت في الظهور تمسَّكت بالناموس تمسُّكاً روحياً شديداً وانعزلت عن الاهتمامات السياسية وعكفت على العبادة والاهتمام بالحياة الروحية فقط، تلك هي الشيعة المستقيمة الرأي (الأرثوذكسية اليهودية)، وكانت منقسمة إلى قسمين: قسم يُدعى ''الأسينيون''، والآخر يُدعى ''كاسيدين'' أو ''حسيديم'' وترجمتها ''الأتقياء'' (1مك 42:2). والأسينيون يمثِّلون الجناح اليساري المتطرِّف لهذه الشيعة، والأتقياء يمثِّلون جناحها اليميني المعتدل. وقد ذكر دانيال النبي شيعة الحسيديم في نبوته ووصفهم بأنهم: «الشعب الذين يعرفون إلههم» (دا 33:11). وهذه الشيعة الجديدة، بجناحيها اليميني واليساري قامت لتدافع عن التقاليد الدينية والميراث الروحي الآبائي الذي بدأت تعبث به جماعات اليهود المتأثِّرة بالثقافات السياسية اليونانية، والتي كان منها رؤساء الكهنة الذين مالوا جداً للحياة المدنية الارستقراطية واللعب بالسياسة. وكانت الشيعة اليهودية اليونانية هي التي سمَّاها دانيال النبي: «المتعدُّون على العهد.» (دا 32:11)

ويكشف سفر المكابيين الثاني (من 4:3 إلى 1:4)، من المثالب والاعتداءات والمؤامرات التي كان يحيكها رؤساء الكهنة ضد بعضهم بعض،

حتى ولو كانوا إخوة، بسبب خزائن المال في الهيكل.

وبموت أنطيوخس الثالث (187 ق.م) ملك ابنه سلوقوس الرابع (187ـ 175 ق.م) ومن بعده اعتلى أخوه أنطيوخس إبيفانس الرابع العرش، ودخل اليهود في حقبة جديدة من التاريخ المعروفة بزمن ''المكابيين''.

وجدير بالذكر أن دانيال يذكر في نبوته حادثة اعتلاء سلوقوس الرابع وملكه القصير:

+ «فيقوم مكانه مَنْ يُعبِّرُ جابيَ الجزيةِ في فخرَ المملكة وفي أيام قليلة ينكسر لا بغضبٍ ولا بحربٍ.» (دا 20:11)

ثم يذكر أيضاً حادثة اعتلاء إبيفانس:

+ «فيقوم مكانه مُحْتَقَرٌ لم يجعلوا عليه فخرَ المملكة ويأتي بغتة ويُمْسِك المملكة بالتملُّقات.» (دا 21:11)

عملة من الفضة عليها صورة الإسكندر الأكبر
وُجِدَت في كنوز بيرسيبوليس Persepolis

ثانياً: عصر المكابيين[4]

(175–63 ق.م)

(أ) بدء حكم أنطيوخس إبيفانس وبوادر الثورة المكابية (175–166 ق.م):

الأسباب الأُولى والأساسية التي أدَّت إلى الثورة اليهودية هي النزاع القائم بين شيعة الأتقياء[5] ''حسيديم'' المستقيمي الرأي والمتمسكين بالدين والتقاليد، والشيعة المثقَّفة اليونانية والتي اصطبغت بصبغة تختلف تماماً عن باقي اليهود في الفكر والدين والسياسة، والتي أرادت أن تفرض الرقي المدني اليوناني في البلاد. وإن كانت مظاهر الثورة لا تشير إلى وجود العنصر الديني واضحاً،



عملة عليها صورة أنطيوخس إبيفانس

(4) كلمة ''مكابي'' تعني ''مطرقة''.

(5) الأتقياء جماعة معتزلة كانوا مدقِّقين جداً في اتباع الوصايا، وكثيراً ما يذكرهم سفر المزامير كطغمة طقسية بعد طغمة هارون:

«ليقل بيت إسرائيل: إنه صالح وأن إلى الأبد رحمته،

ليقل بيت هارون: إنه صالح وأن إلى الأبد رحمته،

ليقل أتقياء الرب: إنه صالح وأن إلى الأبد رحمته.» (مز 117 حسب الأجبية)

إلاَّ أن الدوافع الأصيلة العميقة كانت التعصُّب للتقاليد الموروثة. كذلك كان النزاع القديم الموروث بين بيت ''أونياس'' أي رؤساء الكهنة، وبيت ''طوبيا'' أي رؤساء الضرائب، من العوامل الفعَّالة التي زكَّت الثورة وإنما بطريق غير مباشر.

كما أن انقسام بيت ''أونياس'' وبيت ''طوبيا'' إلى سلالات سورية ومصرية متنافرة(6) كان من الأسباب التي زادت من حدة الثورة.

كان السبب الأول للثورة هو رفض جماعة ''الأتقياء'' ـ حسيديم ـ حق الحكام اليونان، أي أنطيوخس إبيفانس (175ـ164 ق.م)، في تعيين رؤساء الكهنة حتى ولو كان من الوجهة السياسية المحضة بصفتهم رؤساء مسئولين أمام الولاة عن أحوال الشعب السياسية. وكان العمل الإيجابي الذي قاموا به للتحدي هو رفضهم ''منلاوس'' من أن يكون رئيساً للكهنة بعد أن عيَّنه أنطيوخس خلفاً لرئيس الكهنة ''ياسون'' (الذي كان مُعيَّناً أيضاً سابقاً بواسطة أنطيوخس، والذي هرب إلى بلاد العمونيين وأقام هناك)، باعتبار أن رئيس الكهنة يتحتَّم أن يكون ويتعيَّن ويُمسح من قِبَل الله لا من قِبَل الناس.

ومما زاد من إثارة ''الأتقياء'' هو أن منلاوس لم يكن من بيت رئيس الكهنة، وكان قد اشترك في مقتل أونياس رئيس الكهنة القانوني السابق. وهذه الحادثة يشير إليها دانيال النبي (26:9)، (22:11). كما أنهم اتهموه بسرقة أواني الهيكل (2مك 4: 39ـ42).

وهنا تدخَّلت الشيعة ـ اليهودية اليونانية ـ لمناصرة أنطيوخس في إعطائه الحق، محاولة منهم لكسب هذه الفرصة للانتصار إلى التجديد اليوناني ضد التعصب والضيق الفكري التقليدي الذي انتقل من الأمور الدينية إلى الأمور المدنية، مما كان

(6) من تأثير حكم البطالسة وحكم السلوقيين وتوطُّن اليهود في مصر وسوريا.

يهدِّد في نظرهم رقي الأُمة اليهودية.

وبدخول الشيعة اليهودية اليونانية في شبه محالفة مع أنطيوخس بهذه الصورة الفعَّالة، بلغ الاحتكاك الفعلي بين الشيعتين أقصاه فاندلعت نار الثورة.

أمَّا أنطيوخس إبيفانس، فبسبب هذه المساندة من جانب ''اليهود اليونانيين'' بدأ يتدخل بأقصى قدرته ونشاطه لجعل اليهود كباقي الشعوب التي تخضع له من حيث أوضاعها وعلاقاتها الداخلية سواء كانت دينية أو سياسية (1مك 1: 41و42). لأنه من جهته هو الآخر كان يشعر بسلطان وشرعية ملوكيته على مستوى التقديس الإلهي كما يشعر اليهود تماماً من جهة رئاسة كهنوتهم وعلى نفس المستوى. وإن كان لابد من التحدِّي فلابد من استخدام القوة حتى الإبادة (1مك 1: 30-32).

وأول من أعلن المقاومة لرد هذه المحاولة من جانب أنطيوخس إبيفانس وشيعة اليهود اليونان الموالية له هو مَتَّثْياس الذي من قرية مودين بجوار اللد، وهو رئيس عائلة تسمَّى ''هاسمون''(7) التي اشتُق منها كلمة ''هاسمونيين'' الذين دُعوا **بالمكابيين**. وقد بدأ المقاومة بأن ذبح رسول الملك الذي كان يأمر بتقديم ذبيحة للوثن على مذبح للوثنيين، ونادى الشعب، لكي كل مَنْ كان فيه أمانة للناموس أن يتبعه إلى الجبل والمناطق المحيطة لتنظيم المقاومة (1مك 2: 19-22)، وقد استجاب الشعب لندائه بصورة غامرة (1مك 2: 23-28).

ولكن بسبب شيخوخة مَتَّثْياس أن تسلَّم منه ابنه يهوذا مقاليد القيادة، وهو الذي سُمِّي ''المكابي'' أي ''المطرقة''.

---

(7) وتنطق بالعبرية ''حشمون''.

وفي سـفريْ المكـابيين الأول (1: 11ـ15)، والثـاني (4: 7ـ17) شـرح للأسباب التي دعت إلى الثورة. كما أن المؤرِّخ يوسيفوس يعلن عنها بدقة[8].

أمَّا وصف العنف الذي استخدمه أنطيوخس في إخضاع الثائرين في البداية، حيث أشعل النار في المدينة وهدم بيوتها وسبى جزءاً كبيراً من شعبها، فيصفه سفر المكابيين الأول (1: 30ـ32).

وهنا استظهرت الشيعة اليهودية اليونانية التي صارت مكروهة جداً من ‘‘الأتقياء’’، وقد وصفوهم كأنهم غرباء وأعداء؛ بل كأنهم من أُمة أخرى غير أمتهم: «أمة خاطئة متعدِّية للشريعة.» (1مك 34:1)

وهذه الشيعة اليهودية اليونانية استخدمت أيضاً العنف لحماية نفسها فأراقت الدماء حول الهيكل وداخله، فتعطَّلت مراسيم العبادة، وهرب كثيرٌ من اليهود إلى الجبال (1مك 1: 25ـ40).

ولكن كان طابع الثورة حتى الآن يخلو من الصدام الديني بين أنطيوخس واليهود، أو بين اليهود الأتقياء واليهود اليونانيين. غير أن انحراف اليهود الأتقياء ضد الأوضاع السياسية التي لليهود اليونانيين إلى الوضع الديني الصرف، وإعلان العصيان على أساس ديني، جعل أنطيوخس إبيفانس يتحدَّى الديانة اليهودية علناً. فمنع إقامة الذبائح داخل الهيكل، وألغى نظام السبت، ومنع الأعياد، وأوقف مراسيم الختان، وإمعاناً في التحدِّي أقام هيكلاً للأوثان ومذابح للأصنام وقدَّم عليها حيوانات من المحسوبة نجسة عند اليهود، وأمر بإعدام الأسفار المقدَّسة، وعقوبة الموت للمخالفة.

---

(8) *Antiq*. xii,V.

وختم هذه الفظائع بأن أقام مذبحاً للإله ''زيوس'' فوق المذبح النحاس في الهيكل نفسه (وذلك في سنة 167 ق.م)، فكان هذا إشارة إلى أول رجسة الخراب التي أشار إليها دانيال (11: 31و32)[9] (وهي غير ''رجسة الخراب'' التي أشار إليها المسيح في (مت 15:24) كعلامة للقضاء الذي سيحل بأُورشليم واليهود، هذا الذي تمَّ في سنة 70 بعد الميلاد، أي بعد صعود المسيح بحوالي 37 سنة تقريباً).

وهنا يبلغ أنطيوخس إبيفانس إلى أقصى اعتزازه وتعظمه كمحطِّم للديانة اليهودية وعدو لإلهها، ويصفه دانيال في نبوته بدقة: «ويفعل الملك كإرادته ويرتفع ويتعظَّم على كل إله ويتكلَّم بأمور عجيبة على إله الآلهة (يهوه) وينجح إلى إتمام الغضب لأن المقضيَّ به يُجرَى.» (دا 36:11)

وقد خضع له كثير من اليهود، ولكن كثيرين قاوموا وماتوا[10] (1مك 1: 41ـ64). وقد اشتد لهيب الثورة ودارت الدائرة على اليهود اليونانيين فقُتل منهم كثيرون، وهربوا إلى البلاد المجاورة وكثيرون هاجروا إلى الأُمم البعيدة (1مك 44:2).

أمَّا ''الحسيديم'' الأتقياء فظلوا يتقوون جداً من يوم إلى يوم، وقد ذكرهم دانيال ووصفهم في نبوته: «الشعب الذين يعرفون إلههم» وميَّزهم عن الشيعة اليهودية اليونانية التي وصفها بأنها: ''المتعدُّون على العهد'':

+ «والمتعدُّون على العهد يغويهم بالتملقات، أمَّا الشعب الذين يعرفون

(9) «ويصغي إلى الذين تركوا العهد المقدَّس وتقوم منه أذرع وتنجِّس المقدس الحصين وتنزع المحرقة الدائمة وتجعل الرجس المخرب. والمتعدون على العهد يغويهم بالتملقات.» (دا 11: 30ـ32)

(10) Josephus, *Antiq.*, XII, VI, 2.

إلهـهـم فيقـوون ويعملـون، والفـاهمون مـن الشـعب يعلّمـون كثـيرين، ويعثـرون بالسيف وباللهيب وبالسبي وبالنهب أياماً.» (دا 11: 32و33)

واسترد ''الأتقياء'' وبقية اليهود الأمناء للشريعة والناموس قوتهم، وحطَّموا الهياكـل الوثنيـة، وختَّنـوا الأطفـال بـالقوة، واسـتردوا سـلطان النـاموس (1مـك 2: 43-48).

وسـلَّم مَتَّيْـاس قيـادة الثـورة لأولاده، وهـم: ''سمعـان'' وجعلـه المشـير العـام، و''يهوذا'' المدعو بالمكابي أي المطرقة وجعله القائد. وتوفِّي مَتَّيْاس في قرية مودين التي بجوار اللد سنة 166 ق.م (1مك 2: 49-70).

(ب) الثورة المكابية بقيادة يهوذا المكابي (166-160 ق.م):

تقلَّـد يهـوذا المكـابي القيـادة، وابتـدأ حـرب العصـابات، وأحـرز نصـراً ضـد الحاميات السورية بقيادة أبولونيوس ثم ليسياس اللذين أوفدهما أنطيوخس لمقاومة اليهود. وهذه المواقع وأوصافها وردت كلها في سفر المكابيين:

+ «وجمـع أبلونيـوس أممـاً ومـن السـامرة قـوة عظيمـة لمحاربـة إسـرائيل.» (1مك 3:10)
+ «فقـال يهـوذا يسيرٌ على الله أن يـدفع كثيرين بيد قليلين وليس اختلاف عند إله السماء أن ينجِّي بكثير أو بقليل؟» (1مك 3:18)
+ «وسمـع يهـوذا ونهـض هـو والمقتـدرون ليضـربوا جـيش الملـك (أنطيـوخس إبيفـانس) الـذي كـان في عمَّـاوس، فإنـه إلى ذلـك الوقـت أيضـاً كانـت الجيـوش متبـدِّدة مـن المعسكر، وأتى جُرجيَّاس (أحد قوَّاد الجيش اليونـاني) إلى معسكر يهوذا ليلاً ولم يجد أحداً، وكان يطلبهم في الجبال لأنه قال: إن هؤلاء يهربون منّا. ولما أصبح النهار ظهر يهوذا في البقعة بثلاثة آلاف رجـل إلاَّ أنـه مـا كـان لهـم مـن أتـراس ولا سـيوف كمـا كـانوا

يختارون.» (1مك 3:4ـ6)

+ «وبينما يهوذا يتكلَّم هذا الكلام ظهر مكان إدبارهم من الجبل، ورأى جُرجيَّاس أنه قد انهزم وهم يحرقون المعسكر (معسكر جُرجيَّاس) فإن الدخان المنظور كان يظهر، فلمَّا رأوا هذه خافوا خوفاً شديداً لأنهم رأوا أيضاً معسكر يهوذا في السهل مستعداً للقتال، فهربوا جميعهم إلى أرض الغرباء.» (1مك 4: 19ـ22)

وفي سنة 164 ق.م مات أنطيوخس إبيفانس في بلاد الفرس حيث كان مهموماً بسلب المدن وجمع الأموال. وخلفه ابنه أنطيوخس الخامس (164ـ162 ق.م). وفي ديسمبر سنة 164 ق.م قام يهوذا المكابي وبقية الثائرين بتطهير الهيكل وترميمه وإعادة تكريسه، وذلك تقريباً بعد مرور ثلاث سنوات منذ أن أقام فيه الوثنيون ذبيحتهم (1مك 4: 52ـ59). وجُعل هذا اليوم تذكاراً سنوياً يُعيِّد له اليهود باستمرار وهو المدعو ''حنوكا'' أي ''عيد التجديد''، الذي جاء ذكره في إنجيل ق. يوحنا (22:10). أمَّا في سفر دانيال فيحدِّد المدة بين بداية إبطال المحرقة الدائمة وترميم الهيكل بعد أن صار رجساً وخراباً أنها 1290 يوماً أي ثلاث سنوات ونصف. أمَّا بداية إقامة الذبيحة واستعادة العبادة فبعد ذلك بمدة 45 يوماً أي نحو شهر ونصف (دا 12:12).

وهكذا عادت حرية العبادة التي كانت منتهى غاية الثائرين، والتي ظلوا يتمتعون بها حتى مجيء المسيح، وانسحب الجيش السوري واستمر الهدوء من سنة 164 إلى سنة 162 ق.م بسبب موت أنطيوخس إبيفانس. هنا تنتهي المرحلة الأُولى من الحرب والتي يمكن أن نسمِّيها: «حربٌ للرب ولمقدَّساته» وتبدأ المرحلة الثانية من الحرب والتي يمكن أن نسميها: «حرب الطمع والاتساع والضلالة» ويُلاحَظ أن الله أعانهم جداً في المرحلة الأُولى التي فيها

استعادوا حريتهم الدينية، والتي أبقاها لهم الله حتى مجيء المسيح، ولكنه خذلهم في محاولتهم للتحرير السياسي ومقاومة السلطات بلا أدنى داعٍ.

فقد طمع يهوذا المكابي في الامتداد وفتح أراضٍ جديدة، فامتد إلى الشمال وفتح عدة مدن في أرض جلعاد وعاد أدراجه إلى أورشليم. ولكن ''ليسياس'' والي سورية، رغبة منه في العودة إلى سوريا، عقد مع يهوذا المكابي شروطاً للهدنة سخية جداً وباحترام بالغ الوصف (2مك 11: 13ـ21)، ولكن سرعان ما نقضها يهوذا طمعاً في أرباح سياسية جديدة، وبذلك انتقل من الدفاع عن الدين والهيكل وحرية العبادة التي أقام عليها ثورته إلى محاولة للتوسع والغزو وامتلاك أراضٍ جديدة.

وقد حاول يهوذا في هذه المدة عقد مُعاهدة مع روما (مارس 160 ق.م) ونجح فيها وحصل عليها (1مك 8: 1ـ32)، غير أنه لم يستفد منها شيئاً إذ أن الجيش السوري اليوناني هجم عليه وقتله قبل عودة رسله الذين أرسلهم لعمل المعاهدة مع روما. والذي أثار عليه هذه الحملة الأخيرة من الجيش اليوناني هو رئيس الكهنة ''الكيمُس'' المدعو ''يواكيم'' وهو ''الراعي الأحمق'' الذي وصفه زكريا النبي هكذا: «فقال لي الرب: خذ لنفسك بعد أدوات **راعٍ أحمق** لأني هأنذا مقيم راعياً في الأرض لا يفتقد المنقطعين ولا يطلب المنساق ولا يجبر المنكسر ولا يربي القائم، ولكن يأكل السمان وينزع أظلافها، ويل للراعي الباطل التارك الغنم، السيف على ذراعه وعلى عينه اليمنى، ذراعه تيبس يبساً وعينه اليمنى تكل كلولاً» (زك 11: 15ـ17). وقد رعى ثلاث سنين ومات سنة 159 ق.م بالشلل، كما وصفته الرؤيا تماماً، ولم يخلفه أحد وظلت أُورشليم بدون رئيس كهنة سبع سنوات.

ويذكر يوسيفوس المؤرِّخ حادثة موته أنها كانت مفاجئة وكنقمة بيد

الرب، لأنه حاول أن يزيل حائط السياج المتوسط بين رواق الأُمم وبين القدس حتى يجعل للأُمم حق الدخول إلى القدس[11].

وكان الكيمُس هذا من شيعة اليهود اليونانيين، وقد عيَّنه الملك اليوناني ديمتريوس الأول (162ـ150 ق.م) بناءً على رشوة (1مك 9:7)، وقد جرَّ ويلات الحرب على يهوذا المكابي من جديد، إذ استعان بالملك ديمتريوس الذي أرسل له القائد ''نيكانور'' مع حملة لمحاربة يهوذا، فانهزم الجيش السوري في البدء وقُتل القائد ''نيكانور'' مما اضطر الملك ديمتريوس إلى إرسال جيش كبير بتعزيزات قوية، فدارت الدائرة على اليهود وسقط يهوذا المكابي ومات في هذه الموقعة سنة 160 ق.م.

أمَّا الوصف الروحي لتدخُّل الله في حرب المكابيين ضد اليونان في مرحلتها الأُولى لما كان كل هدفهم هو تخليص الهيكل من أيديهم وتطهيره من نجاساتهم وإعادة العبادة فيه، فيصفه سفر زكريا بوضوح:

+ «لأني أوتَرتُ يهوذا لنفسي، وملأت القوس أفرايم، وأنهضتُ أبناءكِ يا صهيون على بنيكِ يا ياوان (اليونان)، وجعلتكِ (يا صهيون) كسيفِ جبَّارٍ، ويُرى الرب فوقهم وسهمه يخرج كالبرق، والسيد الرب ينفخ في البوق ويسير في زوابع الجنوب. رب الجنود يحامي عنهم فيأكلون ويدوسون حجارة المقلاع ... ويخلِّصهم الرب إلههم في ذلك اليوم كقطيع شعبه بل كحجارة التاج مرفوعةً على أرضه، ما أجوده وما أجمله.» (13:9ـ17)

ومما يعزز نبوَّة زكريا النبي أن اليهود لم يحاربوا اليونان قط إلاَّ في أيام

---

(11) Josephus, *Antiq.* XII, X, 6.

المكابيين! والحرب في بدايتها كانت قائمة أساساً على غيرة إلهية صادقة وحماس روحي وأمانة لله رغبةً في تطهير الهيكل وتكريم اسم يهوه بين الأُمم، لذلك هبَّ الرب في معونتهم، وأنجح طريقهم، وحامى عنهم، وخلَّصهم وكلَّل جهودهم بعيد التجديد.

وهكذا تنطبق نبوَّة زكريا (13:9ـ17) على ما جرى بالفعل، والمذكور في (1مك 3: 10ـ 12) شهادة على أمانة الله وتحقيقاً لوعده وعهده.

ومن الأعداد التي اشتركت في الحرب من كلا الجانبين يظهر بوضوح أن الله فعلاً تدخَّل بصورة فعَّالة في صف اليهود. فالجيش اليوناني السوري كان عدده 40000 محارب، 7000 فارس، أمَّا جيش المكابيين فلم يزد عن 6000 محارب جميعاً (1مك 39:3، 2مك 16:8).

لذلك يعترف المكابيون، كما أشارت نبوَّة زكريا، أن النصرة كانت بالرب فقط (1مك 55:4، 18:3ـ22). ويُلاحَظ هنا كيف تأثَّرت نبوَّة زكريا بهذا الموقف، ووصفت الرؤيا مجيء المسيح كملك، وديعاً منصوراً راكباً على حمار!

والعجيب أن في وسط أوصاف زكريا النبي لمواقع المكابيين وحروبهم بالسيف واستعادة حريتهم الروحية بالقوس والرمح وتجديد العبادة بالقوة والمقلاع، فإن النبوَّة تنطلق إلى مسافة أبعد لتصف المسيح كملك آتٍ بنصرة أخرى وتحرير آخر وتوطيد سلام جديد، لا بقوة ولا بسيف ولكن بوداعة واتضاع:

+ «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أُورشليم، هوذا ملككِ يأتي إليكِ هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار ...» (زك 9:9)

ومن خصائص ملك صهيون الجديد أنه «يقطع المركبة من أفرايم والفرس

من أُورشليم وتقطع قوس الحرب، ويتكلَّم بالسلام للأُمم» (زك 10:9). وتفسير هذا أنه منذ المسيح فصاعداً لا يعود الله يدخل في حروب، لأن كافة الأُمم تكون شعبه ولا يتكلَّم معهم إلاَّ بالسلام: «ليس يهودي ولا يوناني ... لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع» (غل 28:3). وأُورشليم لا تعود قلعة صهيون لتحصين الجيوش ومقاتلة الأعداء وتكتُّل اليهود، بل تصير حصناً للرجاء «ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء» (زك 12:9). ولا تكون أعمال الرب بعد بقوة ذراع الإنسان ولا بواسطة آلات حرب «لا بالقوة ولا بالقدرة بل بروحي يقول رب الجنود.» (زك 6:4)

والواقع أن الذي جعل زكريا النبي ينطلق بالرؤيا بسرعة من منظر حروب المكابيين إلى منظر مجيء المسيَّا باتضاعه وسلامه الجديد الغامر، وإنهاء عهد الحروب الدينية إلى الأبد، هو اعتبار حروب المكابيين عملاً أساسياً للتمهيد لمجيء المسيَّا فقط من أجل تطهير الهيكل وتجديده، مع إحساسه الشديد بقرب مجيء سيد الهيكل بغتة. فعمل المكابيين للهيكل هو بمثابة إعداده لدخول المسيح المنتظر، وهذا تمَّ بالفعل عند دخول المسيح أُورشليم واقترابه للهيكل راكباً على حمار رمز الاتضاع والوداعة والسلام (مت 21: 1ـ11). وهذه الترتيبات التي أكملها المكابيون هي بعينها التي أشار إليها حجَّي النبي بعين النبوَّة وقال:

+ «فالآن ... تشدَّدوا يا جميع شعبِ الأرض، يقول الربُّ، واعملوا فإني معكم، يقول ربُّ الجنود، حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحي قائم في وسطكم. لا تخافوا، لأنه هكذا قال ربُّ الجنود، هي مرَّة بعد قليلٍ فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأُمم ويأتي مشتهى كل الأُمم، فأملأ هذا البيت مجداً، قال ربُّ الجنود ... مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد

الأول، قال ربُّ الجنود، وفي هذا المكان أُعطي السلام، يقول ربُّ الجنود.»(حج 2: 4ـ9)

(ج) الثورة المكابية بقيادة يوناثان (160ـ143 ق.م):

بموت يهوذا المكابي سنة 160 ق.م ارتخت أيدي الثوار قليلاً، وتعيَّن بكِّيديس Bacchides والياً على البلاد، وكان يساعده في السلطة الكيمُس (يواقيم) رئيس الكهنة المعيَّن من قِبَل ديمتريوس الأول، ولكنه مات سنة 159 ق.م، كما كان يشترك في إدارة الحكم شيعة اليهود اليونانيين. وسارت الأمور هادئة في الظاهر بينما الروح الثورية تجتاح الشعب من الداخل. وقد انقضت سنتان إلى أن استرد إخوة يهوذا يوناثان وسمعان قوتهم ونظَّموا شملهم، وقبل أن يبدأوا حركتهم استغاث اليهود اليونانيون بالوالي بكِّيديس الذي كان قد رحل إلى سوريا، وإذ حضر على عجل استطاع أن يهدئ الثوار الذين كانوا بقيادة يوناثان وعقد معهم معاهدة سلام ظلَّت سارية لمدة خمس سنوات، حيث أصبح الحكم في أيدي اليهود الأتقياء والوطنيين، وفقد اليهود اليونانيون سلطانهم تقريباً (1مك 9: 23ـ31و57ـ73).

وفي نهاية هذه المدة حدثت اضطرابات في سوريا حيث تنازع الحكم عليها كلٌّ من ديمتريوس الأول واسكندر بالاس، وابتدأ كلٌّ منهما يتودَّد إلى يوناثان بصفته أقوى شخصية في اليهودية، وقد فاز اسكندر بالاس بصداقة يوناثان لأنه عيَّنه رئيساً للكهنة سنة 152 ق.م بعد أن خلت رئاسة الكهنوت سبع سنوات، وانتهت منافسة ديمتريوس بقتله سنة 150 ق.م، بعدها ظلَّ يوناثان يحكم فلسطين دون مزاحمة (1مك 10: 1ـ50).

ولكن في نهاية هذه المدة قام لديمتريوس ابن قوي طالب بعرش أبيه وكان يُدعى "ديمتريوس" أيضاً (147 ق.م)، ولكن يوناثان انتصر لإسكندر بالاس،

فأرسل ديمتريوس الابن (الثاني) جيشاً لمحاربة يوناثان وإخضاع فلسطين ولكن انهزم جيش ديمتريوس الثاني، فاغتنم يوناثان من وراء ذلك أرضاً جديدة كهدية من اسكندر بالاس وهي عقرون وما حواليها (1مك 10: 88و89).

وبقيام بعض اضطرابات في سوريا، انتهز يوناثان الفرصة ليطيح بحكم سوريا كلية، ولكن مات اسكندر بالاس وتولَّى ديمتريوس الثاني مملكة سوريا، فاستغاث اليهود اليونانيون بديمتريوس الثاني ليخلِّصهم من حكم يوناثان، ولكن ديمتريوس خيَّب ظنَّهم وثبَّت يوناثان في رئاسة الكهنوت ورفع عن اليهودية الضرائب وأضاف إليها ثلاثة ربوع جديدة في إقليم السامرة وهي أفريمة ولُدَّة والرامتائيم أو الرامة (1مك 11: 25ـ37).

ولكن يوناثان طمع في اتساع أكثر، فخان ديمتريوس وانحاز لتريفون القائد المناصر لابن اسكندر بالاس غريمه في عرش سوريا، والذي قوي على ديمتريوس الثاني وسحب منه المملكة، ولكن تريفون كان يخشى من ازدياد قوة يوناثان وخياناته المتكررة، فجرَّد جيشاً عليه وخادعه حتى قتله (143 ق.م)، فتولَّى سمعان القيادة بعد يوناثان (11: 54ـ62 و12: 39ـ53). وهذه التحركات والمعارك يصفها سفر المكابيين بتفصيل كثير في المواضع التي ذكرناها.

ومن خصائص هذه الفترة الجمع بين رئاسة الكهنوت وقيادة الجيش، الأمر المحرَّم والممنوع قطعياً حسب شريعة اليهود، ولم يحدث في إسرائيل قبل ذلك على مدى كل تاريخها. ولكن يُلاحَظ أن تعيينه لم يكن من الرب ولا من الشعب، ولكن بواسطة الحكَّام اليونانيين.

ففي عيد المظال (أكتوبر سنة 152 ق.م) دخل يوناثان وارتدى حلة رئاسة الكهنوت فأصاب الشعب ذهول من المنظر، فاعتزاز الكهنوت بقوة

السيف ـ الذي يصفه المؤرِّخون بنوع من الخبل ـ ظلَّ يُلازم بيت المكابيين حتى النهاية.

ولكن هذا الوضع من قِبَل المهتمين بالحكم لم يحزْ الرضى في عين عامة الشعب، لأن يوناثان تولَّى رئاسة الكهنوت بتعيين السلطات الحاكمة من جهة، ومن جهة أخرى جمع بين رئاسة الكهنوت وسفك الدم، الأمر الخطير الذي يحذِّر منه الناموس.

ولكن الذي يهمنا جداً في هذه الحقبة من ثورة المكابيين هو صلتها الرئيسية بسفر زكريا النبي، فهي تشرح النصف الثاني من سفر زكريا إنما بغاية الوضوح.

ولكي تستضيء أمامنا النبوَّات في هذا السفر نعود قليلاً إلى الوراء لنشرح حالة رؤساء الكهنة الثلاثة الذين تعيَّنوا بواسطة السلطات في هذه الحقبة، والذين هم موضوع النبوَّات في الأصحاحات العاشر والحادي عشر والثالث عشر من سفر زكريا.

عندما اعتلى أنطيوخس إبيفانس العرش في صيف سنة 175 ق.م كان أونياس الثالث رئيساً للكهنة وكان معيَّناً وممسوحاً من قبل الرب، وكان له أخ شرير اسمه "ياسون" الذي قدَّم رشوة كبيرة جداً للملك فتعيَّن رئيساً للكهنة بدلاً من أخيه أونياس الذي عُزل (2مك 4: 7و8)، وكان هذا الإجراء بمثابة جرح بليغ أصاب قلب اليهود الأمناء لشريعتهم وناموسهم. ولكن شيعة اليهود اليونانيين الذين كان منهم رؤساء كثيرون متركزون في أُورشليم، رحبوا جداً بهذا الإجراء لأن ياسون كان مشايعاً جداً لسياستهم وآرائهم وثقافتهم كواحد منهم.

ولكن منلاوس، وهو من غير بيت رؤساء الكهنة، قدَّم رشوة أكبر فحظى برئاسة الكهنوت (172 ق.م) بعد أن عزل الملك رئيس الكهنة ياسون (2مك

4: 23و24)، وقد كان ياسون رأساً لشيعة اليهود المنتمين لسوريا وكان مركزهم أيضاً أُورشليم، ومن هنا بدأ العداء يستحكم بين يهود أُورشليم وكافة اليهود المستوطنين في البلاد الأخرى، وظل مستمراً حتى أيام يهوذا المكابي.

وقد ازداد التوتر جداً بين شيعة اليهود اليونانيين وبقية اليهود لما عيَّن الملك ديمتريوس الأول بعد مقتل منلاوس شخصاً يُدعى الكيمُس (يواقيم) سنة 162 ق.م وكان أيضاً رأساً لنفس الشيعة الموالية لسوريا. ولم يطق اليهود الوطنيون أن يقبلوا هذا الوضع، فبدأوا الحرب ضد (يواقيم) وحلفائه السوريين الذين كانوا بقيادة نكانور ثم بكِّيديس من بعده سنة 160 ق.م. وقد ذبح الكيمُس الكثيرين من بني جنسه حول الهيكل نفسه، ولكن لم يتمتع الكيمُس بانتصاراته لأنه مات بعد يهوذا المكابي بسنة واحدة (159 ق.م).

وهذا الصراع الداخلي بين يهود ويهود، وبين رعاة مأجورين ورعية حزينة مبدَّدة كان هو الصورة التي طغت على كافة الحوادث الخارجية الأخرى من حروب وانتصارات وانكسارات وذلك من وجهة النظر الروحية.

وسفر المكابيين الثاني يأتي ويصف هذه الحوادث على مسرح التاريخ كيف تمَّ بالحرف الواحد:

+ «وكان ليسيماكُس في المدينة قد سلب بإغراء منلاوس (رئيس الكهنة) كثيراً من مال الأقداس فذاع الخبر في الخارج ... وأُقيم الحكم في هذه الأمور على منلاوس. فلمَّا قَدِمَ الملك إلى صور أرسلت المشيخة ثلاثة رجال فرفعوا عليه الدعوى، وإذ رأى منلاوس أنه مغلوب وعد بطلماوس بمالٍ جزيل ليستميل الملك، ... فحكم لمنلاوس (رئيس الكهنة) الذي هو علَّة الشر كله بالبراءة مما شكُي به، وقضى بالموت على أُولئك المساكين الذين لو رفعوا دعواهم إلى الأسكوتيين لحُكِمَ لهم بالبراءة. ولم يلبث

أُولئك المحاجون عن المدينة والشعب والأقداس أن حلَّ بهم العقاب الجائر، فشقَّ هذا التعدِّي حتى على الصوريين وبذلوا نفقات دفنهم بسخاء!! واستقر منلاوس في الرئاسة بِشَرِّ ذوي الأحكامِ وكان لا يزداد إلاَّ خبثاً، ولم يزل لأهل وطنه كميناً مُهلكاً.» (2مك 4: 39-50)

ويستمر سفر المكابيين الثاني يصف لنا أعمال رئيس الكهنة السابق ''ياسون'' الذي عزله أنطيوخس:

+ «وأرجف قوم أن أنطيوخس (الملك) قد مات، فاتخذ ياسون جيشاً ليس بأقل من ألف نفسٍ وهجم على المدينة (أورشليم) بغتةً، فلمَّا دفع الذين على الأسوار وأوشك أن يأخذ المدينة هرب منلاوس إلى القلعة. فطفق ياسون (رئيس الكهنة السابق) يذبح أهل وطنه بغير رحمة ... لكنه لم يَحُزِ الرئاسة وإنما أحاق به أخيراً خزي كيدهِ فهرب ثانية إلى أرض بني عمون ... (ولكن) أرتاس زعيم العرب طرده فجعل يفرُّ من مدينةٍ إلى مدينةٍ والجميع ينبذونه ويبغضونه بغضةَ مَن ارتدَّ عن الشريعة ويمقتونه مقت مَنْ هو قاتل لأهل وطنه حتى دُحِرَ إلى مصر (حيث كان أنطيوخس إبيفانس يقود حملة هناك). فلمَّا بلغت الملك (أنطيوخس في مصر) هذه الحوادث اتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف من مصر وقد تنمَّر في قلبه وأخذ المدينة (أُورشليم) عنوةً، وأمر الجنود أن يقتلوا كل مَنْ صادفوه دون رحمة ويذبحوا المختبئين في البيوت ... فهلك ثمانون ألف نفس في ثلاثة أيام، منهم أربعون ألف نفس في المعركة. وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى. ولم يكتف بذلك بل اجترأ ودخل الهيكل وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن وأخذ الآنية المقدَّسة ومضى.» (2مك 5: 5-16)

ويعود أيضاً سفر المكابيين يصف أعمال رئيس الكهنة الثالث الكيمُس (يواقيم):

+ «وكان الكيمُس يجهد في تولي الكهنوت الأعظم، واجتمع إليه جميع المفسدين في الشعب واستولوا على أرض يهوذا وضربوا إسرائيل ضربة عظيمة، ورأى يهوذا جميع الشر الذي صنعه الكيمُس ومَنْ معه في بني إسرائيل وكان فوق ما صنعت الأُمم.» (1مك 7: 21ـ23)

ويقرِّر المؤرِّخ يوسيفوس[12] وسفر المكابيين أن الكيمُس مات بالشلل فعلاً كقول الرب:

+ «في ذلك الزمان ضُرب الكيمُس فكفَّ عن صنيعه، وانعقد لسانه وأصابه الفالج، ولم يعد يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة ولا أن يوصي لبنيه، ومات الكيمُس في ذلك الزمان في عذاب شديد.» (1مك 9: 55ـ56)

ولم يفت سفر زكريا أن يشير إلى النزاع التقليدي الكبير والطويل الأمد الذي قام بين اليهود المستوطنين أو الوطنيين وبين بني إسرائيل الذين تغرَّبوا واختلطوا باليونان وصاروا غير أمناء بالنسبة للشريعة وبالنسبة للوطن أيضاً:

+ «ثم قصفت عصاي الأخرى (المسمَّاه) حبالاً (أي الاتحاد) لأنقض الإخاء بين يهوذا وإسرائيل.» (زك 11:14)

وهكذا نرى صدق وانطباق نبوَّة زكريا على عصر المكابيين بوضوح ما بعده وضوح، وكأن زكريا كان شاهد عيان. وهذا يقودنا إلى الجزء الباقي من النبوَّة التي تخص ذلك العصر بالضرورة، وهي من أهم وأخطر النبوَّات التي

---

(12) Josephus, *Antiq.* XII, X, 6.

أزاغت فكر كثيرين من المسيحيين واليهود في العصور الحالية بأنها تختص بحوادث مستقبلية ينتظرونها في المستقبل لعودة إسرائيل. وهذا الخطأ ناشيء من الجهل بمجريات التاريخ وحوادثه التي تمَّت بالفعل، كما هو ناشيء أيضاً من الجهل بأن كافة النبوات كانت تمهِّد للمسيح، وقد تمَّت وانتهت بالفعل بمجيء المسيح. أمَّا المسئول عن حوادث ما بعد المسيح فهو المسيح وحده لأن المسيح هو «روح النبوَّة» (رؤ 10:19). والمسيح لم يُشر قط إلى أي تحركات ستتم بواسطته في الأُمم أو في إسرائيل عند مجيئه، بل كل ما قاله إنه سيجيء كالبرق الخاطف في استعلانه الواضح.

ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً أنه بعد استتباب السلام بعد انتصارات يوناثان وتعاهده مع روما ومع ديمتريوس الثاني، أنه قسَّم بلاد فلسطين من أقصاها بين إخوته، فأخذ سمعان الولاية على المنطقة «من عقبة صور حتى حدود مصر جنوباً» (1مك 59:11)، فكان ذلك بمثابة دعوة تشجيع لكافة المستوطنين في مصر للعودة إلى بلادهم، وحكم يوناثان كافة المنطقة الشرقية من سوريا شمالاً حتى أدومية مع شرق الأُردن، وكان هذا أيضاً بمثابة دعوة لعودة اليهود الذين تشتتوا في سوريا. هذا بالإضافة إلى أن يهوذا المكابي كان قد أرسل بعثات سابقاً إلى كافة اليهود المستوطنين في بلاد الأُمم المجاورة الذين كانوا واقعين تحت الضغوط والاضطهاد، وذلك لمساعدة وإنقاذ مواطنيهم وأحضروهم إلى اليهودية[13].

ويذكر سفر المكابيين مقدار فرح اليهود العائدين من أدومية وجلعاد وشرق الأُردن بهذا الكلام:

(13) Polybius, XXXI: 9:1., Josephus, *Antiq* VIII, 5.

+ «ثم عبروا الأُردن إلى السهل العظيم قبالة بيت باشان. وكان يهوذا يجمع المتخلِّفين ويشجِّع الشعب طول الطريق حتى وصلوا إلى أرض يهوذا، فصعدوا جبل صهيون بسرور وابتهاج وقدَّموا المحرقات لأجل أنه لم يسقط أحدٌ منهم حتى رجعوا بسلام.» (1مك 5: 52و53).

ويذكر سفر المكابيين كثرة اليهود العائدين من مواضع عديدة من الشمال ومن الجنوب:

+ «وانطلق سمعان إلى الجليل وناصب الأُمم حروباً كثيرة فانكسرت الأُمم من وجههِ فتتبَّعهم إلى باب بطلمايس (عكا)، فسقط من الأُمم ثلاثة آلاف رجل وسلب غنائمهم وأخذ الذين في الجليل وعربات مع النساء والأولاد وكل ما كان لهم وجاء بهم إلى اليهودية بسرور عظيم.» (1مك 5: 21-23)
+ «وجمع يهوذا كل ما كان من إسرائيل في أرض جلعاد صغيرهم وكبيرهم ونساءهم وأولادهم مع أمتعتهم جيشاً عظيماً جداً لينصرف بهم إلى أرض يهوذا.» (1مك 5:45)

ولم يفت سفر المكابيين أيضاً أن ينبه الأذهان إلى حادثة انكسار جيش المكابيين الذي لم يكن بقيادة أحد من أولاد المكابيين، لأن النصرة في كافة حروبهم واستعادة بني إسرائيل من الأُمم إلى مواطنهم لم تكن بالقوة والحماس، وإنما كانت عملاً إلهياً وخلاصاً من قبل الرب:

+ «فانكسر يوسف وعزاريا فتتبعوهما إلى حدود اليهودية وسقط في ذلك اليوم من شعب إسرائيل ألفا رَجُلٍ. وكانت في شعب إسرائيل حَطْمَةٌ عظيمة ذلك لأنهما لم يسمعا ليهوذا (المكابي) وإخوته ظنًّا منهما بأنهما يبديان حماسةً. إلاَّ أنهما لم يكونا من نسب أُولئك الرجال الذين

أُوتوا خلاص إسرائيل على أيديهم.» (1مك 5: 60ـ62)

هذه الحقائق التاريخية تنطبق تماماً على نبوَّة زكريا، وتوضِّح زمن عودة بني إسرائيل المشتتين وسبب رجوعهم وكيفية رجوعهم، بل والأماكن أيضاً التي رجعوا منها بصورة واضحة لا تقبل الشك، غير أن رجوعهم لم يكن نهائياً إذ تبقَّى كثيرون في كل أنحاء الممالك في الأُمم، وذلك ليمهدوا للإيمان بالمسيح، لأن اليهود في كل مدينة كانوا أول مَنْ تقبَّل الإيمان بالمسيح.

أمَّا بخصوص تتميم قول النبوَّة «ويُخفض كبرياء أشور ويزول قضيب مصر »(زك 11:10)، فيختص بزوال أداة الحكم نفسه وهي سلطة البطالسة في مصر وسلطة السلوقيين في سوريا. فلو علمنا أن اليهودية وقعت أولاً تحت حكم البطالسة الذين كان مركزهم مصر، ثم عادت فوقعت تحت سلطة السلوقيين الذين كان مركزهم سوريا، وأن البطالسة أساءوا معاملة اليهود جداً وثقَّلوا عليهم الضرائب[14]، كما أساء السلوقيون استخدام سلطتهم، لعرفنا لماذا خصَّت النبوَّة هاتين السلطتين الغاشمتين بالزوال والانهيار جزاءً لما لحق اليهود من جورهم وتعسُّفهم.

والملاحَظ أيضاً أن النبوَّة خصَّت مصر بزوال قضيب الحكم منها فقط، أمَّا أشور فخصَّتها بخفض كبريائها هي نفسها، وذلك لأن مصر كانت تكره جداً حكم البطالسة كما تكرههم اليهودية تماماً، أمَّا أشور فكانت معتزة بحكم السلوقيين وتصاهرت مع اليونان وتبنَّت سلطانهم وسطوتهم وجبروتهم.

(14) إن أشد جوانب الحكم البطليموسي تعسُّفاً وجوراً هو صلابة وإلحاح النظام الضرائبي الذي كانت تهتم به الرئاسات (*Cambridge Ancient History*, vol. VII, p. 129).

(د) الثورة المكابية بقيادة سمعان (143–134 ق.م):

تقلَّد سمعان القيادة سنة 143 ق.م وكانت اليهودية قد نالت كامل حريتها الدينية وغاية اتساعها في حدود الأرض السياسية، وكانت قوة المكابيين قد بلغت أقصى شهرتها، كما استحوز المكابيون على وظيفة رئاسة الكهنوت، أمَّا الإطاحة بحكم السلوقيين ''السوريين'' الذي أخفق فيه يوناثان عندما قُتِل غدراً فقد تعاهد سمعان لتنفيذه!!

كان حكم السلوقيين لا يزال يتنازعه ديمتريوس الثاني وتريفون، وقد انحاز سمعان لديمتريوس الذي كافأه برفع الجزية رفعاً كاملاً عن اليهود الذي كان معناه الحرية السياسية بصورة كبيرة. أمَّا العائلة الحشمونية (المكابية) فقد دخلت في احتكار رئاسة الكهنوت إنما بطريق شرعي، أي بواسطة اختيار الشعب لا بالتعيين، وابتدأها سمعان[15] فانتهى النزاع التقليدي والانقسام بين اليهود واندحرت شيعة اليهود اليونانيين. وطهَّر سمعان كل بلاد اليهودية من كافة آثار الأُمم حتى آخر قلعة لهم بجوار أُورشليم وهي قلعة ''أكرا''[16]. واستمر الهدوء والسلام والحرية تنعم بها اليهودية.

ولكن في سنة 139 ق.م أُسر ديمتريوس الثاني في الشرق وحلَّ محله

---

(15) «وفي السنة المائة والسبعين (142 ق.م) خُلع نير الأُمم عن إسرائيل وبدأ شعب إسرائيل في توقيع الصكوك والعقود في السنة الأُولى لسمعان الكاهن الأعظم قائد اليهود ورئيسهم» (1مك 13: 41و42) انظر وصف تزكية سمعان كرئيس للكهنة (1مك 14: 25–49).

(16) «وأمَّا الذين في قلعة أُورشليم (سلوقيين) فإذ كانوا قد مُنِعوا من الخروج ودخول البلد ومن البيع والشراء اشتدَّت مجاعتهم ومات كثيرٌ منهم فصرخوا إلى سمعان يسألونه الأمان، فأمَّنهم وأخرجهم من هناك وطهَّر القلعة من النجاسات ودخلها ... بالحمد وبالسَّعفِ والكنَّارات والصنوج والعيدان والتسابيح والأناشيد لانحطام العدو الشديد من إسرائيل ورَسَمَ أن يُعيِّد ذلك اليوم بسرورٍ كل سنةٍ.» (1مك 13: 49–52)

أخوه أنطيوخس السابع[17] (138ـ129 ق.م) الذي بدأ يؤكِّد لليهودية حريتها واستقلالها واتساعها[18] ولكنه عاد ونكث عهده وطالب سمعان بكل الأراضي التي استولى عليها المكابيون خارج حدود اليهودية[19] وأرسل جيشاً معلناً الحرب.

وسمعان المكابي نظراً لشيخوخته قدَّم ولديه يوحنا ويهوذا على رأس المقاومة، فاستظهرا على الجيش السوري ودحراه سنة 137 ق.م[20]. وبذلك بلغ المكابيون آخر مراحل حريتهم السياسية، وظل أنطيوخس لا يحرِّك ساكناً مدة ثلاث سنوات.

وهنا تُظهر نبوَّة زكريا في (12:1ـ9) كيف صارت أُورشليم فعلاً كأس ترنُّح للأُمم، وكيف انتصرت وسحقت كافة المحاولات الجبَّارة التي دبَّرها البطالسة والسلوقيون ضدها في عشرات الجيوش على مدى أربعين سنة. كما تصف النبوَّة كيف صار «أمراء يهوذا (المكابيين) كمصباح نارٍ بين الحطب وكمشعل نار بين الحزم فيأكلون كل الشعوب حولهم عن اليمين وعن اليسار فثبتت أُورشليم أيضاً في مكانها» (زك 12:6). ويعود ويصف في النبوَّة «ويخلِّص الرب خيام يهوذا أولاً (رؤساء المكابيين) لكيلا يتعاظم افتخار بيت داود وافتخار سكَّان أُورشليم على يهوذا» (زك 12:7)، أي افتخار الملوكية والنصرة والاتساع.

وقد حقَّق الله للمكابيين في نصرتهم أكثر فعلاً مما حقَّقه لداود لو أدخلنا

---

(17) 1مك 15: 10ـ14، Josephus, *Antiq.*, XIII, VII, 2

(18) 1مك 15: 2ـ9.

(19) 1مك 15: 29ـ31.

(20) 1مك 16: 2ـ10 Josephus, *Antiq.*, XIII, VII, 3

حساب الظروف الصعبة التي حارب أثناءها المكابيون، ولكن الله هو بنفسه الذي حقَّق النصرة للمكابيين كقول نبوَّة زكريا:

+ «في ذلك اليوم إني ألتمس هلاك كل الأُمم الآتين على أُورشليم.» (زك 9:12)

وفي سنة 134 ق.م قُتل سمعان غدراً بواسطة زوج ابنته "بطليموس بن أبوبس" (الذي أراد أن يستولي على البلاد) فبكته أُورشليم بمناحة عظيمة جداً. وبعد موت سمعان اعتلى ابنه يوحنا القيادة ورئاسة الكهنوت معاً باسم **يوحنا هركانوس**.

وتمتد نبوَّة زكريا لتشمل تصوير مقتل رئيس الكهنة مسيح الرب حينما طُعن بيد إسرائيلية وما رافق هذا العمل المشين من بكاء الشعب ونحيبه على كافة طبقاته وأسباطه لأنه كان رئيساً محبوباً جداً. وهنا ترتفع النبوَّة فجأة لتمزج بين هذا المنظر ومنظر مسيح آخر هو الرب نفسه، وطعنة أخرى بيدٍ إسرائيلية، وهي يد رئيس الكهنة الخفية، ونحيب بنات أُورشليم عليه مع إسرائيل كلها بكل أسباطها على مدى الزمان وإلى نهاية كل زمان.

وعندما نقرأ كلمات النبوَّة نندهش كيف استطاع اللفظ أن يحمل ويشمل طعنة سمعان رئيس الكهنة وطعنة المسيح يسوع في نفس الوقت معاً، ولكن لا عجب فقد استطاع الروح أن يجعل الطعنة مصوَّبة إلى سمعان كما إلى المسيح الذي مسحه وأرسله، عندما يقول النبي: «وينظرون إليَّ (بتشديد ياء المتكلِّم) الذي طعنوه» (زك 10:12). ويمكن قراءتها للتوضيح هكذا: "وينظرون إليَّ أنا الذي طعنوه". لأن الذين طعنوا سمعان لم يطعنوا سمعان بل طعنوا الله الذي قدَّسه للخدمة، كما أن الذين طعنوا المسيح لم يطعنوا جسداً مائتاً بل طعنوا قلب الله الذي أرسله!!

+ «وأفيض على بيت داود وعلى سكان أُورشليم روح النعمة والتضرُّعات

فينظرون إليَّ (أنا) الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيدٍ له، ويكونون في مرارةٍ عليه كمن هو في مرارة على بِكرِه، في ذلك اليوم يعظم النوح في أُورشليم كنوح هَدَدْ رِمُّون في بقعة مجدون.» (زك 12: 10و11)

(هـ) الثورة المكابية بقيادة يوحنا هركانوس (134–104 ق.م):

كان أول عمل اهتم به يوحنا هركانوس هو التخلُّص من قاتل أبيه بطليموس أبوبس، وذلك في ربيع سنة 134 ق.م، الذي قاوم ثم هرب وانضم إلى الأعداء.

وفي بداية حكم يوحنا هركانوس جدَّد أنطيوخس السابع "سيديتس" حملاته لإخضاع اليهودية، وحاصر أُورشليم. ولكن بحلول عيد المظال طلب يوحنا الهدنة ليتمكن من الاحتفال بالعيد، وقد استجاب أنطيوخس في الحال وجامل اليهود بكرامة عظيمة، وقدَّم ذبيحة عيد المظال كلها على نفقته، مع أدوات الهيكل اللازمة من ذهب وفضة. وقد ردَّ اليهود على ذلك بأن قدَّموا الجزية عن البلاد التي كانت خارج حدودهم التي كانوا يحتلونها. والملاحَظ هنا أن أُورشليم لم تُمس بسوء في هذا الحصار الذي دام سنة كاملة، فقد دخلها هدايا وذبائح من العدو[21] وهذا يطابق ما جاء في سفر زكريا.

وبموت أنطيوخس السابع سنة 129 ق.م حاول هركانوس الاستقلال الكامل عن السلوقيين بسوريا، واتصل بروما وتفاهم مع مجلس الشيوخ هناك، وعقد معاهدة معهم، وذلك حوالي سنة 127 ق.م.

---

(21) وقد ذكر هذه الحادثة كل من المؤرخ بلوتارخ وبوسيدونيوس ويوسيفوس
Josephus, *Antiq.* XIII, VIII, 2.

وجاء أيضاً في سجلات اليهود Megillath Taanith التي ذكرت أن الانسحاب تمَّ من حول أُورشليم بكرامة وهدوء في 28 شباط بعد سنة كاملة.

وبمقتضى هذه المعاهدة استطاع هركانوس أن يقف في وجه المطالبين بخضوع اليهودية سواءً من السلوقيين شمالاً أو البطالسة في مصر جنوباً.

واستطاع هركانوس أن يمتد بحدوده شرقاً شرق الأُردن فاحتل ميدبا وكل الإقليم الشرقي، وتوسَّع شمالاً حتى جرزيم وشكيم، وخرَّب معابد السامريين، وتوسَّع جنوباً وتوغَّل في أرض أدومية وأرغم شعبها أن يتهوَّدوا[22]. كما بنى قلعة دفاعية كبيرة في شمال غرب الهيكل بأُورشليم. وصكَّ نقوداً وكتب عليها اسمه: "رئيس الكهنة ورئيس جماعة اليهود المتحدة" وكان أول رئيس في عائلة المكابيين (الحشمونيين) يسك نقوداً باسمه.

في هذه المدة تقوَّت عائلة البطالسة الحاكمة في مصر ودخلت في صراعها التقليدي مع السلوقيين الحكام في سوريا وتبادلوا النصرة والكسرة، كل ذلك وهركانوس في سلام يمتد ويتسع ويتقوَّى في كافة الجهات. وفي أواخر حكم هركانوس قام بحملة للاتساع شمالاً وحارب السامريين وحاصرهم بقيادة ولديه أنتيجونيس وأرسطوبولس، وحاول السامريون الاستعانة بحاكم سوريا أنطيوخس سيسيزيكينوس (التاسع) ولكنه هُزم وارتد. وأخيراً سلَّمت السامرة وخضعت لهركانوس مع كل سهل يزرعيل وبيت شان، وضُمت إلى أرض اليهودية[23].

وقد أصاب هركانوس متاعب كثيرة من شيعة الفريسيين[24] وهي الشيعة التي انحدرت من جماعة الأتقياء الحسيديم، الذين كانوا يعارضون دائماً سياسة

---

(22) Josephus, *Antiq*. XIII, IX, 1.

(23) E. Schürer, *The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ*, 1901, Eng. Tr. 1973, part I, p. 210.

(24) Josephus, *Antiq*., XIII, X, 5.

التوسُّع ويقاومونها، فكانوا يتعاونون في الحرب مع المكابيين إذا كانت للتحرر الديني، ويعارضونها إذا كانت لمجرَّد التوسُّع.

وقد انحدرت طبقة الفريسيين من جماعة ''الحسيديم'' التي كان يمثلها المكابيون أيضاً، وكانوا في البدء وحدة واحدة متعاونة في كل شيء، إلاَّ أنه منذ بدء حكم يوحنا هركانوس بدأ الانفصال والبغضة والمقاومة تزداد بين الحسيديم والمكابيين، وابتدأ الحسيديم (الأتقياء) ينفصلون عن المكابيين وسياستهم الاستعمارية التوسعية، لذلك دعاهم اليهود بالمنفصلين (أو المعتزلة)، وهي ترجمة الكلمة العبرية ''فريسيين'' أي جماعة الأتقياء ''المنفصلين''. وانفصالهم يُفهم على المعنى الديني أولاً، أي منفصلون عن نجاسات الأُمم وسياستهم وعن كل ما لا يتصل بالشريعة والعبادة والناموس بتعصُّب شديد حتى الموت. ويُفهم بالمعنى الاجتماعي لأنهم انفصلوا عن المكابيين الذين كانوا أولاً من جماعة ''الأتقياء'' ولكن بسعيهم وراء الكهنوت والسياسة انضموا إلى جماعة اليهود اليونانيين سواء من جهة أفكارهم الدينية أو الاجتماعية. ويُفهم بالمعنى السياسي أي منفصلين عن كل عمل أو حرب أو مبدأ ينادي بالتوسُّع الاستعماري، والتزامهم فقط بالحرب إذا كانت من أجل استرداد حريتهم الدينية أو أراضيهم المغتصبة.

وإزاء انفصال شيعة الفريسيين من جماعة الأتقياء وتسميتهم بالفريسيين، اتخذ جماعة المكابيين الذين احتكروا رئاسة الكهنوت لقب الصدوقيين[25] أي التابعين لصَادوق رئيس الكهنة الكبير الذي عيَّنه سليمان الملك محل أبياثار (1مل 35:2)، والذي احتكرت عائلته رئاسة الكهنوت من أيام داود النبي

(25) Josephus, *Antiq.* XIII, V, 9.

(أي 11:15، 16: 39و40) حتى زمن أنطيوخس إيبفانس.

ومما هو جدير بالذكر أن يوحنا هركانوس كان منضماً إلى جماعة الأتقياء (الفريسيين) في بدء حكمه بالرغم من أنه كان رئيس كهنة، ولكن انفصل عنهم بعد ذلك وانضم لجماعة الصدوقيين. والسبب يقدِّمه يوسيفوس ملخِّصاً أن الفريسيين عارضوا أن يكون رئيس الكهنة قائداً عسكرياً مدنياً[26]. وقدَّموا السبب له رسمياً في المؤتمر الذي عقدوه من أجل هذا الغرض وبيَّنوا فيه أن أُمَّه كانت قد وقعت في الأسر وعاشت مسبية زمناً مما لا يجوز بسبب ذلك أن يكون ابنها الذي وُلد لها بعد ذلك صالحاً للكهنوت، إذ تُحسب في نظر التقليد نجسة. ولقد انضم لهذا الرأي أحد المفسرين المسيحيين وهو القديس جيروم الذي اعتمد في تفسيره على نبوَّة حزقيال الصريحة التي تشير إلى هركانوس (حز 21: 25-27).

ومن هذه الحادثة يظهر على مسرح التاريخ الديني اليهودي أول الصراع المستحكم التقليدي بين شيعة الفريسيين وشيعة الصدوقيين.

ومنذ ذلك الحين والعداء شديد ومستحكم بين جماعة الفريسيين الذين يمثلون الديمقراطية الشعبية الدينية على أساس الناموس والشريعة، وجماعة الصدوقيين ويمثلون الارستقراطية السياسية على أساس رئاسة الكهنوت والطقوس والتقليد المكتوب فقط أي الأسفار القانونية، والغنى!!

ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن قوة الفريسيين كانت في شعبيتهم، فكل ما كانوا يقولونه ضد رئيس الكهنة أو ضد الملك يقتنع به الشعب وينادي به. وهذا مما أثار حفيظة الصدوقيين باستمرار وخصوصاً أيام هركانوس لأنه قلَّد

(26) Josephus, *Antiq.* XIII, X, 5-6.

نفسه الملوكية رغماً عن معارضة الفريسيين الذين لم يعترفوا بملوكيته قط. فانضم إليهم الشعب في ذلك. والسبب الذي حدا بالفريسيين لعدم الاعتراف بملوكية هركانوس أنه لم يكن من بيت داود، وبذلك يكون مخالفاً لرجاء إسرائيل ووعد الله وانتظار المسيَّا!!

ومات يوحنا هركانوس سنة 104 ق.م بعد أن تولَّى قيادة إسرائيل في حروبها وتوسعاتها وأعيادها ومسرَّاتها مدة 31 عاماً كأفضل ما تكون الإدارة والقيادة. ويقول يوسيفوس المؤرِّخ أن الله وهبه ثلاث مواهب عظمى: موهبة الحكم وموهبة الكهنوت وموهبة النبوَّة لأن الله كان معه[27].

(و) الثورة المكابية بقيادة أرسطوبولس الأول (104–103 ق.م):

خلف أباه في الحكم، واضطهد أُمه التي أرادت أن تنازعه الحكم كوصية يوحنا هركانوس زوجها، مما اضطر أرسطوبولس أخيراً أن يلقيها في السجن ويقطع عنها الطعام حتى ماتت. ولكي يأمن شر إخوته الأربعة سجن ثلاثة منهم، والرابع وهو أنتيجونيس وثق فيه في البدء ثم بوشاية زوجته سالومة اغتاله.

وقد اعتراه بسبب هذه الاغتيالات مرضٌ أوداه الموت في نهاية السنة التي بدأ فيها حكمه. ولكن في هذه المدة البسيطة أدَّى خيراً كثيراً لإسرائيل إن كان هذا يُدعى خيراً، وهو امتداد الحدود الشمالية لليهودية حتى شملت الجزء الأكبر من إقليم إيطورية المتاخم للبنان من الشمال إلى الجنوب، وقد استولى أرسطوبولس على الجزء الجنوبي منه المسمَّى بالجليل (جليل الأُمم)، وقد هوَّد الجليليين وختَّنهم وأرغمهم في البداية على قبول الناموس والشريعة اليهودية.

---

(27) Josephus, *Antiq.* XIII, X, 7.

وفعلاً تمَّ تهويد كل الجليل على يديه[28] (المكان الذي قضى السيد المسيح معظم وقته في بشارته).

وقد كان أرسطوبولس من المنجذبين للثقافة اليونانية بشدة (لذلك قابله الفريسيون بمعارضة شديدة ومسخوا تاريخه وأساءوا إلى سمعته)، مع أن أمانته للتقاليد اليهودية والتعصُّب لها كان شديداً.

(ز) الثورة المكابية بقيادة اسكندر حنَّاؤس (103–76 ق.م):

بموت أرسطوبولس ظهر إخوته الثلاثة الذين كانوا في السجن، وقد سعت سالومة امرأة أرسطوبولس لتنصيب أكبرهم ملكاً رسمياً وهو اسكندر حنَّاؤس، فكان أول مَنْ سكَّ نقوداً باسم ''الملك'' اسكندر حنَّاؤس، كما أضاف إلى وظيفته وظيفة رئيس كهنة.

وكان أول عمل قام به اسكندر حنَّاؤس هو توسيع تخوم بلاده كسنَّة المكابيين (الحشمونيين)، وساعده على ذلك انهماك المطالبين بعرش سوريا في الحرب والصراع وهما أنطيوخس الثامن (غريبوس) وأنطيوخس التاسع (سيزيكينوس).

واتجهت أطماعه أولاً ناحية بتولمايس ''عكا'' بصفتها أهم الموانئ البحرية في فينيقية (لبنان) وخصوصاً لاتصالها بإقليم الجليل، الجزء الجديد الذي أُضيف إلى مملكة اليهودية حديثاً.

وقد استغاث مواطنو ''عكا'' بحاكمهم بطليموس الثامن (سوتير الثاني) الذي خلعته أُمه ''كليوبترا الثالثة'' من عرشه في مصر، والذي لجأ إلى قبرس

---

(28) Schürer, *op. cit.*, I, pp. 217,562.

إحدى محميات البطالسة، فخفَّ لمساعدتهم بجيش كبير من ثلاثين ألف مقاتل.

وكطبيعة اليهود وخصوصاً المكابيين في انتهاز فرص الخصومات بين الأعداء لبذر الشقاق بينهم، استغاث اسكندر حنَّاؤس بكليوبترا أم بطليموس الثامن لتحارب ابنها؟ وقد أحدث هذا التصرُّف توتراً شديداً في الموقف إذ حضرت كليوبترا الثالثة بجيشها إلى فلسطين وكان بقيادة قائدين يهوديين (حلقياس وأنانياس ابني رئيس الكهنة أونياس ابن أونياس الذي بنى هيكل "ليونتوبوليس" بمصر بعد اغتيال أبيه في فلسطين). وكانت كليوبترا متحالفة مع أنطيوخس (غريبوس) مما اضطر بطليموس الثامن (سوتير الثاني) للتحالف مع خصم غريبوس وهو أنطيوخس سيزيكينوس.

وقد دارت الحرب بين الفريقين دون أي انتصار واضح، وقد خسر الجميع في هذه الحرب ما عدا اسكندر حنَّاؤس طبعاً. وكان المجال في النهاية مفتوحاً لكليوبترا للاستيلاء على فلسطين مرَّة أخرى بعد مطاردة ابنها الذي توغَّل في فلسطين حتى حدود مصر، وارتداده نحو غزة وإضعاف جيشه بعد محاصرته، مما اضطره إلى العودة إلى قبرص مرَّة أخرى. ولكن تدخل القائدين اليهوديين بالنصح والتهديد معاً كما يروي يوسيفوس جعل كليوبترا تصرف نظرها عن فلسطين. وفي هذه الحادثة بالذات يظهر مقدار نفوذ اليهود في مصر أيام البطالسة[29].

وانتهى الأمر بأن تقوَّى مركز اسكندر حنَّاؤس جداً في أرض فلسطين بدون منازع، فابتدأ بالتوسُّع إذ حاصر "جدرا" التي هي كورة الجدريين كما ذُكرت في العهد الجديد وهي في الجليل، واستولى عليها بعد عشرة أشهر، ثم

---

(29) Josephus, *Antiq.* XIII, XIII, 2.

استولى على منطقة حماه وهي من أقوى المواقع وذات حصون، واستولى على مناطق كثيرة شرق الأُردن. وامتد نحو الجنوب فاستولى على غزة ورفح بعد حصار دام سنة كاملة(30).

ولكن لم تعد هذه التوسعات السياسية والنشاطات الحربية وأمجادها على اسكندر حنَّاؤس بالخير، فقد أثارت حفيظة اليهود وكافة جمهور الشعب الملتف حول الشريعة وأصولها، فاستاء من هذا النشاط الزائد، لأن اسكندر حنَّاؤس أهمل وظيفة الكهنوت وجعلها محتقرة بالنسبة لاهتمامه الزائد في تعظيم نفسه بالحروب وانتصاراتها.

ومما زاد في عداوة الشعب له إقدامه على الزواج من سالومة امرأة أخيه الأرملة مما يتنافى مع روح الشريعة بالنسبة لرؤساء الكهنة (انظر حز 22:44)، كما يتنافى مع تقاليد الفريسيين أن يتزوج الملك بأرملة أخيه كما جاء في ''المشناه'' (31).

وهكذا وقع اسكندر حنَّاؤس في مخالفة مزدوجة للشريعة والتقليد، وفوق كل شيء لم يكن كفؤاً للقيام بوظيفة رئيس الكهنة مع ما تتطلبه من روحانية تتمشَّى مع رجاء شعب اليهود الأساسي وهو مجيء المسيَّا. هذا بالإضافة إلى عدم احترامه وإتقانه لأصول الخدمة على المذبح، مما جعل الشعب يثور ويهتف ضده ويقذفه بسعف النخل وغصون الليمون التي كانوا يحملونها يوم عيد المظال(32). وقد ردَّ اسكندر حنَّاؤس على هذا الشعور المحتدم ضده وهذا

(30) *Bell, Jud.*, I, IV, 2.

(31) Senhidrin (ii. 2).

(32) *Bab. Talmud* (Sukkah 48 b).

الاعتداء المخزي بأن أمر بذبح الشعب الهائج، فذبح منه أعداداً كبيرة، وكانت النتيجة أن ارتد الشعب عنه وتأصَّلت عداوة مُرَّة تجاهه وظلَّت تتزايد يوماً بعد يوم(33).

والمدهش حقًّا أن يصل اسكندر حنَّاؤس وهو من سلالة المكابيين الأتقياء الغيورين على الشريعة والمحبوبين جداً من عامة الشعب الأتقياء إلى هذه الدرجة من الانحلال والاستهتار، وهذا يوضِّح مقدار الانحدار الشديد الذي انحدرت إليه أسرة المكابيين في النهاية.

وكان من نتيجة هذا الشعور الشعبي العام أن رفض الشعب التمادي معه في الحروب والتوسعات، وامتنع عن الانخراط في الجيش مما اضطر اسكندر حنَّاؤس للاستعانة بالجنود المرتزقة من ''بسيديا'' و''سيسيليا''، واستمر في توسعاته شرق الأُردن فأدخل الجلعاديين وجزءاً من الأدوميين والموآبيين تحت الجزية. ولكن لما أراد التوسُّع في شرق الأُردن اصطدم بملك العرب ''عوبيداس الأول'' الذي استظهر عليه وأوقعه في كمين لم يستطع أن يفلت منه إلاَّ بجلده، وهرب وعبر الأُردن بمفرده ودخل أُورشليم فقابله شعبه بالثورة ضده، فدخل مع شعبه في حرب أهلية دامت ست سنوات مستعيناً بالجنود الأجانب المرتزقة ضد شعبه(34).

ولكن في النهاية انهارت قوى اسكندر حنَّاؤس واستعطف الشعب للمهادنة، ولكن الشعب صمَّم على التخلُّص منه نهائياً. فاستعانوا ضده بالقائد ديمتريوس الثالث السلوقي المسمَّى يوكاريوس بن أنطيوخس الثامن غريبوس

(33) Josephus, *Antiq.* XIII, XIII, 5; *Bell. Jud.*, I, IV, 4.

(34) Josephus, *Antiq.* XIII, XIII, 5.

الذي كانت دمشق قاعدة حكمه(35) وذلك سنة 88 ق.م. وهذا أسرع في المجيء فكان مفاجأة لاسكندر حنَّاؤس الذي قابله في ''شكيم'' بجيش يتكوَّن من ستة آلاف من جنود المرتزقة وليس أكثر من عشرين ألفاً من اليهود الذين كانوا موالين له. ولم يكن هذا العدد يزيد عن نصف جيش ديمتريوس، فلم يكن بدٌ من أن يواجه اسكندر حنَّاؤس هزيمة شديدة أجبرته على الهروب إلى الجبال.

وفي النهاية تخلى اليهود عن ديمتريوس فارتد صاغراً إلى دمشق، وانتهز هذه الفرصة اسكندر حنَّاؤس ولمَّ شمل جيشه من المرتزقة والموالين له، وهجم على اليهود الثائرين وهزمهم ''وصلب ثماني مائة من رؤسائهم على مشهد من مدينة أُورشليم كلها''(36) وقبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة مسك زوجاتهم وأولادهم وذبحهم أمام أعينهم، وذلك حسب رواية يوسيفوس(37). مما جعل كافة اليهود يتمردون عليه بسبب هذه القسوة البربرية المريعة وقاوموه كل أيام حياته.

أمَّا الفريسيون وكافة الأتقياء من الشعب فأسقطوه من اعتبارهم كرئيس للكهنة.

ولكن ظل اسكندر حنَّاؤس بالرغم من ذلك شغوفاً بالاتساع والحروب، وقد وقع اضطراراً في حرب أخرى مع ملك العرب أريتاس الثالث الذي هزم أنطيوخس الثاني عشر المدعو ديونيسيوس وذبحه واستولى على الأراضي التابعة له حتى دمشق، وكان التصادم بين اسكندر حنَّاؤس وبين أريتاس الثالث بالقرب من يافا، وانهزم اسكندر حنَّاؤس ووقَّع على شروط للصلح التي

---

(35) E. R. Bevan, *The House of Seleucius* (1902), ii, 60.

(36) اكتشفت البعثات اليهودية الأمريكية للحفائر عدداً كبيراً من المقابر بجوار أُورشليم مملوءة جثثاً عليها علامات الصلب، وبعض أقدام الجثث لا تزال ملتصقة بها المسامير.

(37) Josephus, *Antiq.* XIII, XIV, 2.

بمقتضاها ارتضى أريتاس الثالث بالانسحاب من اليهودية.

وأخيراً وبعد حروب مستمرة وقع اسكندر حنَّاؤس ميتاً سنة 76 ق.م بينما كان يحاصر قلعة ''راجابا'' شرق الأُردن. وترك اسكندر حنَّاؤس المملكة وقد بلغت أقصى اتساعها الذي بلغته شمالاً حتى الكرمل وجنوباً حتى حدود مصر، مع كل ساحل البحر الأبيض المتوسط والأدومية جنوباً وشرق البحر الميت والأُردن حتى بحيرة ميروم.

وقبل أن يموت اسكندر حنَّاؤس أوصى زوجته ''سالومة'' المسمَّاة أيضاً ألكسندرا أن تحذر قوة الفريسيين، فإن كان هو أخضعهم بقوة الجنود المرتزقة فيلزم أن تمالئهم وتستعين بهم[38].

(ح) الثورة المكابية بقيادة "ألكسندرا" (76–67 ق.م):

قلَّد اسكندر حنَّاؤس زوجته سالومة (ألكسندرا) المملكة قبل وفاته، وكان ابنها الأكبر ضعيفاً غير سياسي بعكس ابنها الأصغر. ولكن هذه لعلمها أن الابن الأكبر لها ويُدعى هركانوس لا يستطيع أن يمنعها من مباشرة كافة سلطات المملكة، قلَّدته المملكة. هذا بالإضافة إلى ميل هركانوس الطبيعي لمعاشرة الفريسيين ومحبتهم، الأمر الذي جعل ألكسندرا في أمان مطلق من جهة معاملتهم الدينية المستمرة، خصوصاً وأنها كانت ذا أخلاق وسلوك متزن وتقوى عميقة[39].

كما يصرِّح يوسيفوس أنها استعادت كافة التقاليد الفريسية في إدارة شئون البلاد، فكانت هي بمثابة القائم مقام الملك، وكان الفريسيون أصحاب التدبير

(38) Josephus, *Antiq*. XIII, XV, 5.
(39) *Bell. Jud*. I, V, 1.

والسلطان[40].

وهكذا بدخول ألكسندرا الحكم **احتل الفريسيون السلطان المدني والديني في الدولة وتقلَّدوا سلطة القضاء، وبذلك شكَّلوا لأول مرَّة في تاريخ إسرائيل المجمع القضائي الديني والمدني "السنهدريم"**، وهو يعتبر الهيئة المتبلورة من نظام ''شيوخ الشعب'' الذي كان مسئولاً عن كافة الأحوال المدنية والدينية والسياسية أيضاً في تاريخ إسرائيل السابق.

وقد ابتدأت تتبلور هيئة السنهدريم (الشيوخ) ''جيروسيا Gerousia'' منذ أيام أنطيوخس الثالث، وكانت صفته الغالبة من الكهنة ورؤساء الكهنة، فكان طابعه ارستقراطياً محضاً. ولكن باحتلال الفريسيين سلطة السنهدريم وعمله تغيرت طبيعته فمالت بالأكثر ناحية الديمقراطية التي كان يمثلها الفريسيون. ومن سلطة السنهدريم القضائية والمدنية بدأ الفريسيون يفرضون تعاليمهم وتقاليدهم الدينية، ولكن ليس بصفة مطلقة لأن رؤساء الكهنة والكهنة كانوا لا يزالون يُمثِّلون في السنهدريم أيضاً. أي أن سلطة السنهدريم كان يتنازعها الصدوقيون (الكهنة) والفريسيون، وتتبادلها النزعات الارستقراطية والديمقراطية معاً.

ومنذ أيام ألكسندرا، بدأ الفريسيون يفرضون سلطانهم وتقاليدهم على الأُمة كلها بشكل واضح وشديد وعلى مستوى الممارسات والتطبيق العملي. فانتهزوا الفرصة واستعادوا سلطان الناموس القديم وصفُّوه من شوائب الثقافات اليونانية التي تسرَّبت وصاغت مفهومات جديدة للناموس تختلف كثيراً عمَّا كان يفهمه ويمارسه الآباء. وقد اعتمدوا أولاً في تصفيتهم للناموس

(40) Josephus, *Antiq.* XIII, XVI, 2; *Bell. Jud.* I, V, 2.

من الشوائب الثقافية الجديدة سواء كانت فارسية أو يونانية على الأسفار المكتوبة التي عمل الكتبة على نسخها ونشرها بتدقيق شديد، لأن الكتبة كانوا يتبعون بصفة عامة حزب الفريسيين ومنهجهم الديني.

ولأن الكلمة المكتوبة لم تكن من الوضوح الكافي الذي يسهِّل فهمها أو تطبيقها المباشر بواسطة الشعب، لزم تفسيرها وشرحها واقتراح طرق تتميمها بما يناسب الظروف المتغيرة والأحوال المدنية الجديدة، وكان هذا هو عمل الفريسيين الأول واختصاصهم بلا منازع!

وبازدياد تأثير الفريسيين على الشعب تقوَّى سلطانهم، وبازدياد أهمية السنهدريم ازداد خطر الفريسيين لأنهم بدأوا ينحرفون ناحية التجبُّر والاستبداد بالرأي والتعسُّف في الحكم مع كثير من الجور والظلم.

وأول صدام مع السلطة الحاكمة كان مع ألكسندرا نفسها التي أفسحت لهم المجال للعمل والاجتهاد بأن أملوا رأيهم عليها بضرورة الانتقام من شيوخ اليهود الذين أشاروا على أسكندر حنَّاؤس بصلب الثماني مائة وبذبح نسائهم وبنيهم أمام أعينهم. وبدأوا فعلاً بحكم الإعدام وتمَّ التنفيذ على ثلاثة منهم، وكان معظمهم من الصدوقيين، وبذلك بدأ الاحتكاك. ولكن ألكسندرا انحازت للصدوقيين وحمتهم من عتو الفريسيين وسلَّمتهم عدة قلاع ليتحصَّنوا فيها إذا لزم الأمر. وكان أرسطوبولس (الثاني) الابن الأصغر لألكسندرا ممالئاً للصدوقيين وعدواً للفريسيين، كما كان مبغضاً لأُمه وسياستها.

فلمَّا بدأت ألكسندرا تضعف بدأ سلطان ابنها أرسطوبولس يزداد، وبدأت الاحتكاكات بدورها تأخذ حرارتها بين الصدوقيين الذين كان يرأسهم أرسطوبولس والفريسيين الذين كان يرأسهم هركانوس. وماتت ألكسندرا

سنة 67 ق.م فبدأ الصدام على المسرح.

(ط) الثورة المكابية بقيادة أرسطوبولس الثاني (67–63 ق.م):

كان المفروض بعد موت ألكسندرا أن يتولَّى هركانوس الثاني ابنها الأكبر الحكم رسمياً، ولكن أرسطوبولس جرَّد جيشاً على أخيه الأكبر والتحم معه في أريحا. فانهزم هركانوس أمام أخيه الأصغر بسبب موالاة الجنود لأرسطوبولس، وهرب هركانوس إلى أُورشليم فتتبعه أخوه وأجبره على التسليم، ثم أطلق سراحه على شرط التنازل عن الملوكية ورئاسة الكهنوت. فتمَّ لأرسطوبولس كل ما كان يتمناه منذ موت أبيه فترأس المملكة والكهنوت(41).

بيد أنه كان هناك عدو لأرسطوبولس يتربَّص له وهو والي أدومية واسمه أنتيباتر أو (أنتيباس) وهو أبو هيرودس الكبير المزمع أن يلعب دوراً كبيراً في اليهودية. وكان أنتيباس صديقاً لهركانوس الأخ الأكبر لأرسطوبولس كما كان صديقاً للملك العربي أريتاس الثالث ملك النباطيين الذي كانت قاعدة ملكه بترا (البطراء)، لأن امرأة أنتيباس مع أنها كانت يهودية إلاَّ أنها كانت ذات صلة بالعائلة العربية الحاكمة في بترا(42).

وبذلك اتفق أنتيباس مع هركانوس ونزلا معاً إلى بترا وعقدا معاهدة مع أريتاس الثالث، وتقدما معاً لمحاربة أرسطوبولس وهزماه، فهرب واعتصم في أُورشليم حيث حاصره جيش أريتاس مع هركانوس. وبينما الحرب دائرة كان

---

(41) Josephus, *Antiq.* XIV, 1,2, XX, X, 1.

(42) A. Schlatter, *Israels Geschichte von Alexcander dem Grossen bis zum Hadrian* (1900), p. 428.

بومبي القائد الروماني يزحف بجيشه ناحية سوريا بعد غزوه أسِيًّا الصغرى وأرمينيا سنة 64 ق.م. وأرسل قائده "سكاوروس" لاستطلاع اليهودية وحسم النزاع بين الأخين المتنازعين والاستفادة من الموقف. وقد انحاز سكاوروس أولاً لأرسطوبولس وألزم محاصريه أن يفكوا الحصار عنه. ولكن أرسطوبولس لم يكتفِ بذلك بل خرج من أُورشليم بعد فك الحصار وتابع أعداءه حتى وصلوا أدومية وهناك هزمهم بشدة(43)، وكان بومبي قد وصل دمشق سنة 63 ق.م، فصعد إليه هركانوس وأرسطوبولس وكل منهما يُريد أن يستميله إليه ولكن بومبي انحاز إلى هركانوس وبعد عدة مواقع ضد أرسطوبولس حاصره أخيراً في أورشليم ودام الحصار ثلاثة أشهر ثم انهارت المقاومة، وذبح اثني عشر ألفاً من اليهود، ودخل بومبي الهيكل وتجرأ ودخل قدس الأقداس(44) ولكن استمرت العبادة كما هي بعد ذلك.


بومبي القائد الروماني

ومنذ ذلك الحين دخلت اليهودية تحت الجزية الرومانية.

وأُضيفت اليهودية إلى إقليم سوريا بعد أن انسلخت منها مدن الساحل وبلاد السامرة وكل المدن العربية شرق الأُردن، ولكن ظل يتبعها إقليم الجليل وأدومية وبيريه. وفقدت مظهرها السياسي كمملكة، وفقد هركانوس لقب ملك إذ أقامه بومبي للإشراف "مديراً" لمقاطعة اليهودية ورئيساً للكهنة على أن يقوم بدفع جزية سنوية لروما، وحمل بومبي أرسطوبولس هو وعائلته وأرسله إلى روما، ولكن ابنه الأكبر اسكندر هرب من السفينة أثناء الطريق

(43) Josephus, *Antiq.* XIV, II, 3; *Bell Jud.* I, VI, 2,3.
(44) Tacitus, *Hist,* V, 9.

وعاد إلى وطنه.

وباتصال اليهودية بروما بدأت عصراً جديداً مختلفاً في العلائق والمعاملات عن باقي العصور السالفة، فإن كانت قد بلغت درجة كبيرة من الاتضاع وفقدت كافة اتساعها وامتداداتها الخارجية عن حدودها الأصلية، إلاَّ أنها بدأت تنعم بحرية دينية كاملة.

وبقي هركانوس (الثاني) كما هو يحكم اليهودية تحت الجزية الرومانية، ولكن في الحقيقة كانت القوة المحركة والمدبِّرة لهركانوس هو "أنتيباس" والي أدومية.

ﷺﷺﷺ

14- الحكم الروماني

(63 ق.م – 135 ب.م)

أولاً: من بدء الحكم الروماني حتى تولي هيرودس الكبير (63–37 ق.م)

ورث الرومان مملكة السلوقيين بما فيها اليهودية، ولم يستطيعوا أن يفرّقوا من الوجهة السياسية بين سوريا واليهودية، فضموا اليهودية إلى سوريا تحت حكم واحد ولكن بعد أن سلخوا من اليهودية جميع البلاد التي لم يكن مواطنوها يهوداً مثل مدن الساحل وجزءاً كبيراً من شرق الأردن[1]. وبذلك تقهقر ظل المكابيين السياسي وانحصرت اليهودية على نفسها جداً.

سكاوروس والي سوريا (63–57 ق.م):

وهو أول والٍ تعيَّن من قِبَل بومبي الروماني، وكانت حدود مديريته من نهر الفرات حتى حدود مصر، تعاونه كتيبتان رومانيتان[2].

وكان أول عمل قام به سكاوروس بالنسبة لليهودية هو تثبيت **هركانوس (الثاني)** والياً على اليهودية، وتدعيمه برئاسة الكهنوت سنة 63 ق.م[3]

(1) Josephus, *Antiq.*, XIV, V, 4, *Bell Jud.*, I. 155-157. H, Willrich, *The House of Herod*, p. 17.

(2) Josephus, *Antiq.*, XIV, V, 5.

(3) Josephus, *Antiq.*, XIV, V, 4, *Bell. Jud.*, I, 153.

مكافأة لما أداه من مساعدة في قمع ثورة أرسطوبولس. ولكن ظل يدفع الجزية لسكاوروس باستمرار. وفي طوال أيام بومبي كان الحكم الروماني في غاية الرحمة والحكمة والتلطف، ولكن سرعان ما انقلب إلى شبه نهب وسلب. فقد طلبت روما ما يزيد عن عشرة آلاف وزنة من الذهب كجزية[4]، ودخلت فلسطين في شبه فوضى وصارت مسرحاً للمغامرات.

وفي الحقيقة منذ عصر اسكندر حنَّاؤس واليهودية تعاني من ظلم الحكام وجورهم، وانتشرت جرائم السرقات والنهب والسلب والقرصنة من اليهود أنفسهم، وقد اتهم هركانوس أخاه أرسطوبولس بجرائم السطو والقرصنة في البر والبحر[5].

ومن أعظم الشخصيات التي ظهرت في الميدان لتطهير هذه المفاسد الاجتماعية ـ سواء في سوريا أو اليهودية ـ والضرب على أيدي المغامرين بشدة هو بومبي، وقد مدحه المؤرِّخون وبالأخص سترابو المؤرِّخ المشهور إذ حسبوه ليس امبراطوراً فحسب بل مصلحاً.

وقد حاول سكاوروس إخضاع النباطيين العرب، وجهَّز جيشاً واتجه لمحاربتهم في الجنوب والجنوب الشرقي، وكاد جيشه يخسر المعركة لولا تدخُّل أنتيباس والي أدومية الذي دخل كوسيط لأنه كان صديقاً لبومبي وصديقاً لأريتاس والي العرب، فاستطاع أن يقنع سكاوروس بالانسحاب بعد أن أعان جيشه وموَّنه بالمؤن إذ كان في شبه حالة جوع، كما دخل كضامن للجزية

(4) Josephus, *Antiq.*, XIV, V, 5.

(5) Josephus, *Antiq.*, XIV, III, 2.

المالية التي كان على أريتاس أن يدفعها(6).

جابينيوس "والي سورية" (57–55 ق.م):

تولّى خلفاً لسكاوروس سنة 57 ق.م، وكان عليه أن يساعد هركانوس ضد ابن أخيه اسكندر بن أرسطوبولس المطالب برئاسة الكهنوت والحكم، والذي هرب من المركب التي كانت تقل أباه وعائلته إلى روما لإقصائهم عن مسرح الحكم ومغامراته، وعاد لمناوءة عمه هركانوس، فجمع الموالين له من اليهود من أطراف البلاد وجهَّز جيشاً من عشرة آلاف متسلِّح وألف وخمسمائة فارس وتحصَّن في الحصون على حدود جبال العربية(7). وقد بعث جابينيوس بحملة بقيادة مارك أنطوني، ثم لحقه بجيش كبير بقيادته هو نفسه، وقد التحم معه جنوب أُورشليم وحارب جيش الرومان الرئيسي مع جيش هركانوس جنباً إلى جنب، فانهزم اسكندر أرسطوبولس وفَّر إلى الحصون الجنوبية، فحاصروه هناك حتى استسلم، وكان مُزْمَعاً التخلُّص منه، لولا تدخُّل أُمه التي كانت صديقة للرومان، فأفرجوا عنه(8).

ولكن تسبب هذا العمل الأحمق الذي قام به اسكندر أرسطوبولس في سحب الحكم نهائياً من هركانوس وإعطائه رئاسة الكهنوت فقط. وتقسَّمت البلاد إلى خمسة أجزاء كما يقول يوسيفوس. القسم الأول يشمل أُورشليم، والقسم الثاني يشمل جدارا (جذارا) على حدود فلسطين، والثالث حماه، والرابع أريحا، والخامس سيفوريس في الجليل.

---

(6) Josephus, XIV, V, 1, *Bell Jud.*, I, VIII, 1.

(7) Josephus, *Antiq.*, XIV, V, 2, *Bell Jud.* I, VIII, 2.

(8) *Bell. Jud.* I, VIII, 3-5.

وقد قابل الشعب هذا التقسيم بالارتياح لتخلصهم من استبداد الحكم الفردي[9].

وكان غرض جابينيوس الرئيسي من تقسيم البلاد سهولة جمع الجزية، بالإضافة إلى وضع العراقيل في وجه اسكندر الطامح في الحكم.

في هذه الأثناء فرَّ أرسطوبولس من روما (56 ق.م) هو وابنه أنتيجونيس وظهر في فلسطين فجأة، وقد انحازت له حامية أُورشليم التي كانت بقيادة بيثولوس (اليهودي) مع ألف محارب[10].

وقد تحرَّج موقف أنتيباتر لأنه كان مقيماً هو وعائلته في أُورشليم لإدارة شئون البلاد من خلف هركانوس، فاضطر إلى ترحيل عائلته لتكون تحت رعاية وحماية الملك العربي أريتاس ملك النباطيين[11]. وقد نجح جابينيوس في تشتيت شمل أرسطوبولس الذي فرَّ إلى الحصون ولم يستطع الصمود، فسلَّم وقُبض عليه وأُرسل سجيناً إلى روما مرَّة أخرى، أمَّا ولداه فظلا في اليهودية[12].

وقد التجأ إلى جابينيوس في هذه الأثناء أحد قواد البطالسة المدعو بطليموس الحادي عشر "أوليتس Auletes" الذي كان والياً على مصر، وأعطاه عشرة آلاف وزنة لمعونته في استرداد عرش مصر، وفعلاً قام جابينيوس وغزا مصر وأعان أوليتس في استرداد الحكم هناك، وكان ذلك في ربيع سنة 55 ق.م[13]. وكان

---

(9) Josephus, *Antiq*. XIV, V, 4., *Bell Jud*. I, VIII, 5.

(10) Josephus, *Antiq*., VIX, VI, 1., *Bell. Jud.*

(11) H. Willrich. *op. cit*., p. 19.

(12) Josephus, *Antiq*., VI, 1. Dio Cassius, *Hist. of Rom., XXXIX, LVI, 5,6.*

(13) Bevan, *The Ptolemaic Dynasty*, p. 236.

لهركـــانوس وأنتيبـــاس يـــدٌ في هـــذه الغـــزوة إذ أمـــدّا جـــابينيوس بكـــل

ما لزم الحملة من سلاح وقمح للمؤونة. ولكن بسبب غياب جابينيوس في مصر وانهماكه في الحرب هناك قام اسكندر أرسطوبولس بمحاولة أخرى لغزو اليهودية متحدِّيا السلطة الرومانية كلها، وقد وجد له موالين ومشجعين كثيرين من اليهود، وابتدأ بذبح كل روماني يقع في يديه. وقد قاوم أنتيباتر الموالين لاسكندر وضيَّع عليهم الفرصة، وإذ علم جابينيوس بالأمر أسرع لملاقاته بجيشه في منطقة الجليل على جبل تابور وأنزل به هزيمة شديدة(14). وقد كافأ جابينيوس أنتيباتر على معونته له وصدِّه لاسكندر بأن منحه حكم مقاطعة أُورشليم(15)، ولكن كل ذلك لم يثنِ اسكندر أرسطوبولس عن أطماعه، فبحيلة تزوَّج ألكسندرا بنت هركانوس رئيس الكهنة لكي يضمن ميراث رئاسة الكهنوت، لأن هركانوس لم يكن له بنون.

ثورة بيثولوس حاكم منطقة أُورشليم السابق (53 ق.م):

لما استُدعي جابينيوس إلى روما وغادر البلاد نهائياً خلفه القائد **كراسوس الروماني** سنة 54 ق.م. كان جابينيوس شديد الوطأة في التثقيل بالضرائب، وبالرغم من ذلك كان محبوباً لعدالته، أمَّا كراسوس فكان لصاً، فقد سطا على أموال اليهود المودعة في الهيكل، وبطرق التحايل والخداع والقوة معاً اغتنم منها ألفي وزنة ذهب دفعة أُولى، ثم تجرأ أكثر واستولى على ثمانية آلاف بحجج كاذبة(16).

والمعروف أنه لا يوجد شيء يثير اليهود ويهيج سخطهم مثل ابتزاز أموالهم، وبذلك بدأت فكرة المقاومة العامة. ولما مات كراسوس سنة 53 ق.م

---

(14) Josephus, *Antiq*., XIV, VI, 2-3, *Bell. Jud*. I, VIII, 7.

(15) Josephus, *Antiq*., XIV, VI, 4, *Bell. Jud*. I, VIII, 7.

(16) Josephus, *Antiq*., XIV, VII, 1, *Bell. Jud.* I, VIII, 8.

حانـت الفرصـة لليهـود لبـدأ إعـلان المقاومـة بقيـادة بيثولـوس، لكـن اسـكندر أرسطوبولس ظل يراقب الأحداث من بعيد ولم يشترك في هذه الثورة. وبمجيء خليفة **كراسوس** وهو كاسيوس استطاع أن يخمد الثورة في مبدأها، وقبض على بيثولوس وبمشورة أنتيباتر أعدمه(17).

النزاع بين قيصر وبومبي (49 ق.م):

في بدايـة سـنة 49 ق.م قامـت حـرب داخليـة بـين قيصـر وبـومبي، ومـا أن جاءت نهاية هذه السنة حتى اعتلى قيصر عرش روما وفرَّ بومبي إلى مكدونية ثم إلى مصر.

وقد استعان قيصر في البداية بأرسطوبولس الذي كان أسيراً في روما، فأرسله إلى سوريا مزوداً بكتيبتين رومانيتين لمقاومة أتباع بومبي.

فأسرع بومبي بقتل اسكندر أرسطوبولس خوفاً من الانحياز إلى أبيه(18)، وقد هزمه بومبي في موقعة ''فارسالوس'' سنة 48 ق.م ثم فرَّ إلى مصر، فتعقَّبه قيصر إلى هناك، ولكن بومبي مات بعد ذلك بأسابيع قليلة.

اليهودية في أيام يوليوس قيصر (48–44 ق.م):

بعد موت بومبي وجد قيصر نفسه في مواجهة عدو آخر وهو بطليموس الثاني عشر والي مصر، الذي كان في موقع يهيئ له فرصة الغلبة، وهنا يبرز أنتيباتر مرَّة أخرى ببعد نظره الشديد، ففي الحال أرسل إلى قيصر إمدادات عسكرية وتموينية، كما أرسل رسالة سريعة إلى اليهود المقيمين في ليبتوبوليس بمصر لمناصرة قيصر بكل قوتهم. وبهذه المعونة تمكن قيصر من الانتصار أخيراً،

---

(17) Josephus, *Antiq*, XIV, VIII, 2, *Bell. Jud*. I, VIII, 9.

(18) Josephus, *Antiq*, XIV, VIII, 4, *Bell. Jud*. I, VIII, 2.

ولم يتأخَّر في إبداء رضاه وتشكراته لليهود.

وقد حاول أنتيجونيس بن أرسطوبولس الوحيد الباقي أن يعكِّر العلاقة بين قيصر وأنتيباتر، فذهب بنفسه إلى قيصر وقدَّم دعاوي وشكاوي ودموعاً إلى قيصر لينصفه من أنتيباتر الذي تسبب في قتل أبيه أرسطوبولس وقتل أخيه اسكندر، كما وشى أيضاً بهركانوس ولكن لم يسمع له قيصر[19]. وقام قيصر بتدعيم سلطة هركانوس كرئيس كهنة وكحاكم عام على اليهودية وجعل لقبه متوارثاً لبيته. وفي نفس الوقت جعل أنتيباتر عميلاً لروما على اليهودية. وهذا الإجراء السياسي دقيق في الواقع وغاية في الحذق والمهارة، لأن بُعد نظر قيصر جعله يدرك أن عدم استتباب الأمن في اليهودية عائد لكون الشعب ذا قدرة للتعبير عن مشاعره مباشرة ضد روما المعروف بالحكم الديمقراطي، فعمل على فصل الشعب وجعله تحت سلطة حاكم مفرد، ثم فصل الشعب وحاكمه عن الاتصال المباشر بروما بواسطة عميل يتبع روما ويخضع له بالولاء الكامل، وفي نفس الوقت يمت بصلة مباشرة للمنطقة. وبهذا ألغى مناوءة الشعب ومناوءة فرقة الصدوقيين المترأسين على الكهنوت تجاه روما[20].

وبهذا الإجراء أيضاً أخذ هركانوس حرية كبيرة في إدارة شئون البلاد بدون تحمُّل أي هم أو مسئولية ما، لا من جهة الاتصال بروما ولا من جهة الخوف من ثورات الشعب.

ولكي يستطيع أنتيباتر أن يباشر سلطانه على اليهودية بمقتضى الأوامر الرومانية

---

(19) Josephus, *Antiq*, XIV, VIII, 4, *Bell. Jud.*, I, X, 1.

(20) Willrich, *op. cit.*, p. 24 f.

مَنَحَهُ قيصر حق ''الرعوية الرومانية'' هو وأولاده من بعده، حتى يكفُل له حق الحماية الرومانية تجاه أي عداء أو اعتداء من جهة اليهود[21].

وقد أبرز هذا الإجراء الخاص في عين اليهود الاعتقاد والافتخار بأنهم شعب يُحسب حسابه مما جعلهم أكثر تحفزاً. وابتدأوا يستغلون موقف أنتيباتر للمطالبة بحقوق أكثر.

وقد استجاب قيصر لكثير من المطالب، فخفَّض الجزية ومنحهم حرية كاملة للعبادة، مع إعطائهم حق تطبيق ناموسهم وعوائدهم حسب تقاليد جنسهم. وعلى هذا الأساس بدأت المحاكم اليهودية تمارس وظيفتها المستقلة. كما أعفى الشعب من التجنُّد في الجيش الروماني. وقام الجيش الوطني بحماية البلاد بدلاً من الاعتماد على الكتائب الرومانية التي سُحبت من البلاد. كما منحهم قيصر كل إقليم الجليل مرَّة أخرى وبعض مدن الساحل وأهمها يافا، فابتدأت التجارة اليهودية تنشط من جديد، وكان لها أكبر الأثر في انتعاش اقتصاديات البلاد.

ومن أهم الامتيازات التي منحها قيصر لليهود هي إعادة بناء سور أُورشليم الذي كان قد هدمه بومبي.

وفوق كل هذا لم ينسَ قيصر المعونة التي قدَّمها له اليهود في مصر أثناء حربه مع بومبي وبطليموس الثاني عشر، لذلك عمل على استرضاء يهود الشتات والإحسان إليهم، فأعطى يهود مصر حرية العبادة وبعض الامتيازات[22] ، كما منحهم في روما أيضاً حرية ممارسة طقوسهم الدينية

---

(21) Ibid., p. 28.
(22) Schürer, *op. cit.*, vol. III, § 31.

الأمر الذي كان ممنوعاً على أي جماعة أخرى أجنبية عن الرعوية الرومانية.

كما أعطى قيصر تعليمات لكافة الحكومات التابعة والمتحالفة مع روما لمنح اليهود هذه الامتيازات في حدود دوائرهم الخاصة.

كما أمَّن قيصر اليهود ضد أي أعتداء أو ظلم من قبل البلاد المعادية لليهود في الخارج في روما نفسها، أو في الداخل مثل صور وصيدا وأشقلون. فجعل لهم حق الشكوى في أي مكان على أن تُرفع لرئيس كهنتهم أو حاكمهم الخاص.

وقد جعل قيصر هذه الأوامر تعلّق على الكبيتول في روما وفي كافة الهياكل الحكومية في البلاد.

فكانت هذه الإجراءات الأخيرة ذات قيمة عظمى من جهة ربط اليهود المشتتين في كافة البلاد والأُمم بعضهم ببعض، كما جعلت صلتهم المركزية برئيس الكهنة والحاكم المركزي في اليهودية ذات أهمية بالغة القيمة في تمركزهم في أُورشليم وخضوعهم لسلطاتهم الخاصة التي أصبحت قادرة على حمايتهم ومساعدتهم.

كما زادت هذه الإجراءات من قوة السلطات المركزية الكهنوتية والمدنية ومن تأثيرها على كافة اليهود المشتتين.

وقد أعفى قيصر كافة اليهود من الجزية المفروضة (التي كانت تقدَّم على هيئة قمح) في كل سنة سابعة التي كان مفروضاً على اليهود أن لا يباشروا فيها الزراعة[23] (أي كل سبع سنوات).

---

(23) Josephus, *Antiq*, XIV, X, 6.

من هذا لا نتعجَّب أن يبكي اليهود الذين في كافة أنحاء العالم على قيصر يوم وفاته(24).

وبالرغم من أن الحاكم كان يُذكر اسمه أنه هركانوس، إلاَّ أن أنتيباتر كان هو الشخصية الحقيقية المدبِّرة، والتي كانت مرموقة جداً من الرومان كأقوى شخصية شرقية ذات ثقافة يونانية. وكان قيصر يقدِّر أنتيباتر تقديراً يفوق الوصف كشخص يستحق الإعجاب بسبب كفاءته الشخصية وحكمته وبعد نظره، بالإضافة إلى أمانته ومحبته لخير البلاد التي يحكمها.

ولقد تضافرت شخصية قيصر مع شخصية أنتيباتر ـ وهما أجنبيان عن اليهود ـ لخير اليهود.

ولكن تعامى اليهود عن كل هذه الظروف المواتية وعن كل هذه الامتيازات، ولم يكن يشغل بالهم إلاَّ الحقد المستمر على الرومان وعلى أنتيباتر معاً. على الرومان لأنهم يحكمون بلادهم ويطالبونهم بالجزية، وعلى أنتيباتر لأنه أدومي ـ نصف يهودي. وتزعَّم كلٌّ من الصدوقيين والفريسيين معاً إثارة هذا الحقد وتنميته في الشعب معتبرين أن هذا الحقد هو الوسيلة المقدَّسة التي ينبغي أن يمارسوها كجزء لا يتجزأ من أمانتهم لله!

وكان لأنتيباتر ابنان مخلصان حكيمان أيضاً، الأول **فاسائيل** وهذا جعله حاكماً محلياً على أُورشليم، والثاني **هيرودس** وقد جعله حاكماً على الجليل سنة 48 ق.م. وكان عمر هيرودس لما بدأ أعماله في الجليل حوالي 25 سنة، وبدأ بالضرب على أيدي اللصوص، وقبض على زعيم لهم يُدعى حزقياس الذي كان

(24) Suetonius *Div. Iul.*, 84, quoted by Schürer, *op. cit.*, I, 275.

قـــد أفســـد الأمـــن في الجليـــل كلهـــا، وأراح ســـوريا كلهـــا وإقلـــيم الجليـــل

من هذا العاتي[25]. مما نال إعجاب والي سوريا وكان سبباً في توطيد أواصر الود والاحترام بينهما.

(هذه الحقائق التاريخية تكشف لنا الجو المضطرب السائد أيام المسيح الذي على أساسه ضرب المثل بأن إنساناً كان نازلاً من أُورشليم إلى أريحا فوقع بين اللصوص ...).

ولكن هذا الإجراء لم يُرضِ الفريسيين إذ اعتبروه صادراً من أدومي غريب عن البلاد ينبغي إذلاله، لأن ليس لأحد الحكم بالإعدام إلاَّ لمجلس السنهدريم وحده، فهو تحدٍّ لسلطانهم ومناقضة للناموس. لذلك انتهزوا هذه الفرصة للإنحاء على هيرودس، بأن قدَّموا شكوى لهركانوس طالبوه فيها بتقديم هيرودس ليعطي جواباً عن خطئه أمام السنهدريم.

ولم يكن هركانوس أشرف منهم، بل وجدها فرصة أيضاً أن يتخلَّص من هيرودس، فأبلغ هيرودس الطلب رسمياً للحضور، ولما حضر أمام السنهدريم كاد أن يحكم عليه، فلمَّا أحسَّ بالمكيدة هرب بجيشه إلى سوريا واحتمى في عاهلها سكستوس قيصر، الذي عيَّنه سنة 47 ق.م على ''كويلا سوريا''، وهو السهل المعروف الآن ''بالبقاع'' الجزء المتاخم للبنان شرقاً والممتد من دمشق شمالاً حتى أطراف الجنوب، والمسمَّى أيضاً في سفر المكابيين ببقاع سوريا وفينيقية (2مك 5:3)[26].

وقد تغيَّرت الأمور فجأة، إذ لما نزل قيصر إلى شمال إفريقيا لإخضاع بقايا أتباع بومبي، قام أيضاً أتباع بومبي في سوريا وقتلوا سكستوس وتحفزوا لغزو

---

(25) Josephus, *Antiq*, XIV, IX,2.
(26) Josephus, *Antiq*. XIV, IX, 5.

البلاد شمالاً وجنوباً، ولكن سارع أنتيباتر مع ابنيه واستنجدوا بمقاطعة بارثيا الموالية لليهود منذ أيام السبي (جنوب بحر قزوين والتي كانت في عداء مستمر للسلوقيين ودائمة الثورة ضد الحكم الروماني، ومناوئةً لكل امتداد له ناحية الشرق) وحاصروا أتباع بومبي سنة 45 ق.م، وأعانهم قيصر نفسه إذ أرسل لهم كتائب رومانية مجهَّزة. وظلَّت الحرب حتى سنة 44 ق.م، وفجأة اغتيل قيصر نفسه(27).

موت كلٍّ من يوليوس قيصر (44 ق.م)
وأنتيباتر أبي هيرودس الكبير (43 ق.م):

بكى اليهود كثيراً وناحوا على قيصر في كل مكان، وأسرعوا إلى مجلس السناتو (التشريع) الروماني للحصول على تأكيدات وضمانات لاستمرار القرارات التي أصدرها قيصر بخصوص معاملة اليهود والامتيازات التي حصلوا عليها، وتقدَّموا إلى مارك أنطوني ليتوسط عنهم ويستخدم نفوذه لدى مجلس الشيوخ، إذ كانت تربطهم به صلات ودية عن طريق صداقة أنتيباتر له(28).

وفي سوريا ظهر كاسيوس مرَّة أخرى سنة 44 ق.م وفك الحصار وساد على الموقف كله، وطالب اليهود بجزية ثقيلة حوالي 700 وزنة، ولم يجد أنتيباتر بُداً من الإذعان، فحاول جمعها بمعاونة ابنيه فسائيل وهيرودس وهركانوس أيضاً الذي عيَّن مالخوس نائباً عنه، وهنا ازدادت مرارة اليهود جداً وارتفع سخطهم ضد أنتيباتر وكاسيوس. ومما زاد الحقد على أنتيباتر محاولة مالخوس الوقيعة بين اليهود وبين أنتيباتر نفسه رغبة منه في الاستيلاء على

---

(27) Josephus, *Antiq*. XIV, XI, 1, *Bell. Jud.* I, X, 10, Appian, *Civil Wars*, III, 77, Dio Cassius, XLV ii, 27, E. Schürer, *op. cit.*, I, p. 248.

(28) H. Willrich *op. cit.*, p. 31.

الحكم بدلاً منه. وتوتر الموقف علانية بين أنتيباتر ومالخوس، ولكن مالخوس اتخذ طريقاً مختصراً ودسَّ له السم في الطعام فقتله بواسطة أتباع هركانوس المقرَّبين إلى أنتيباتر(29) سنة 43 ق.م.

ولكن هيرودس أوقع القصاص على الجاني بمنتهى السرعة، فطعن مالخوس وقتله وانتقم لأبيه.

ومن هذا العمل يتبيَّن طباع هيرودس الثائرة وسرعة إنجازه لمخطط الانتقام بدون حذر. وبعد سنة ترك كاسيوس سوريا واليهودية وهما في حالة فوضى شديدة وذهب لمقاتلة مارك أنطوني وأوكتافيوس.

وفي هذه الفوضى قام أنتيجونيس بن أرسطوبولس بمحاولة إخضاع اليهودية وحكمها بالقوة (بعد أن فشلت محاولاته السلمية لإقناع قيصر بتسليمها له).

ولم يبال هيرودس كثيراً بهذه المفاجأة، ولكنه بدأ بحكمة متقنة وخطة أخرى لكسب الموقف نهائياً بالنسبة للتقرُّب الطقسي من اليهود والمطالبة الرسمية بالملك مستقبلاً، وذلك بأن تزوَّج مريمن ابنة اسكندر أرسطوبولس وهي في نفس الوقت بنت ألكسندرا الابنة الكبرى لهركانوس الثاني.

حكم أنتيجونيس كملك ورئيس كهنة (40ـ37 ق.م):

تغيَّر الوضع في اليهودية بعد أن انتصر مارك أنطوني وأوكتافيوس في موقعة فيلبي على كاسيوس وبروتوس سنة 42 ق.م. فقد وقع هركانوس كما وقع هيرودس في موقف حرج لأنهما كانا صديقين لكاسيوس، هذا بالإضافة إلى أن

(29) Josephus, *Antiq*, XIV, XI, 4.

اليهـود وخاصـة الصـدوقيين يبغضـون كاسـيوس ويبغضـون هـيرودس الأدومـي ويبغضون هركانوس لأنه كان موالياً لكاسيوس وهيرودس أيضاً. وقد عزم اليهود على التخلُّص من الأدوميين.

كليوباترا ملكة مصر

صورة فريدة رُسمت بيد روح وصاحبتها في العالم الآخر

ولكـن بـالرغم مـن أن الأنظار كلها كانت متطلعـة إلى مـارك أنطوني، إلاَّ أنه لم يكن عند حسن ظن أحد، فقـد اعتكـف في الإسـكندرية مـع معشوقته كليوباترا وأهمل مسئولية الحكم والتبعة الـتي عليـه، فسـاءت الأحـوال في سـوريا وانتهـز هـذه الفرصـة الفرثيـون الموجـودون هناك منذ وقت الحصار الذي شنَّه أنتيباتر على أتباع بومبي، وهم سكَّان منطقة جنوب بحر قزوين (إيران الآن) التي سُبي إليها اليهود (فرتيون أع 9:2)، وصاروا في تعاون وأُلفة كاملـة مـع اليهـود، وشـنوا هجومـاً علـى سـوريا،

وقـد اسـتقبلهم اليهـود في اليهوديـة بفـرح كمنقـذين، وتقـدَّم إلـيهم أنتيجـونيس "ووعـدهم بإعطـائهم ألـف وزنـة وخمسـمائة امـرأة إذا خلعـوا هركـانوس وقتلـوا هيرودس وأعطوه الملك"(30).

وسـارع أنتيجـونيس وجمـع جيشـاً وتقـدَّم إلى أُورشـليم (40 ق.م) فاسـتقبله الشـعب بفـرح علـى أمـل أن يعـتقهم مـن حكـم الرومـان والأدوميـين. وقـبض أنتيجونيس على فاسائيل الذي انتحر وعلى هركانوس. ولكي يتخلَّص أنتيجونيس من هركانوس كرئيس كهنة وقع على أذنه وقطعها بأسنانه(31) وأخذ الفرثيون هركانوس المقطوع الأذن واستودعوه ليهود بابل.

وبـذلك نـال أنتيجـونيس كـل أطماعـه، فاسـتولى علـى الحكـم وعلـى رئاسـة الكهنوت وصك نقـوداً باسمه على وجهها اليونـاني كتـب "أنتيجـونيس الملـك" وعلـى الوجـه اليهـودي "مَتَّتْيـاس" رئـيس الكهنـة، لأن اسمـه العـبري كـان مَتَّتْياس(32).

كل هذا وهيرودس رابض من بعيد يرصد الحوادث وكل أمله في أنطوني الراقد في الإسكندرية ... وفجأة استيقظ أنطوني من مواته على أثر مشادة بينه وبين أوكتافيوس، توجه على أثرها إلى روما، فأسرع هيرودس إلى هناك حيث استقبله استقبالاً ودياً حاراً وكان كل أمله أن يظل يعمل من وراء أرسطوبولس (الثالث) أخي زوجته مريمن، فكان مطلبه أن تقيم روما أرسطوبولس هذا ملكاً على اليهوديـة مسـتخدماً بـذلك حِذْقَـهُ السياسـي في قبـول

---

(30) Josephus, *Antiq*, XIV, XIII, 3, *Bell. Jud.* I, XIII, 1.
(31) Josephus, *Antiq*, XIV, XIII, 10, *Bell. Jud*. I, XIII, 9.
(32) Madden, *F. W. Coins of the Jews*, (1881) p. 99 ff.

مطلبه لعلمه أن روما تزكّي دائماً أصحاب الدم الملكي لتبوُّؤ الملوكية[33].

ولكن لدهشته وسروره المفرط رأى أن روما تزكيه بمفرده ملكاً على اليهودية كلها. ولم يكن ذلك اعتباطاً، لأن روما كانت تزن شخصية هيرودس جداً وتعلم مدى كفاءته، كما أنها كانت قد أسقطت من اعتبارها أنتيجونيس لأنه استعان بأعداء روما، كما أسقطت أرسطوبولس الصغير (أخا مريمن وابن ألكسندرا) لضعفه وصغره وعدم اتزانه. ومُنح لهيرودس إقليم السامرة كله تقديراً له.

ولم يكن هيِّناً على هيرودس أن يفرض سلطانه الملكي على اليهودية، خصوصاً وأن أنتيجونيس نفسه كان قائماً بأعماله كملك ورئيس كهنة وكان محبوباً لليهود بسبب عدائه للرومان ولكل ما هو غير يهودي. ولكن في ظرف سنتين وباستعانة هيرودس بسوسيوس والي سوريا استطاع سنة 38 ق.م أن يفرض سلطانه الكامل على كافة البلاد إلاَّ أُورشليم. وظلت أُورشليم وحدها تكافح ضدَّه بقيادة أنتيجونيس، فحاصرها هيرودس وسوسيوس فسلمت بعد ثلاثة أشهر سنة 37 ق.م، وأُخذ أنتيجونيس إلى أنطاكية وحوكم وعوقب بالموت[34].

وبموت أنتيجونيس انتهى عصر رئاسة الكهنوت وحكومة المكابيين (الحشمونيين).

وصار هيرودس (سنة 37 ق.م) ملكاً بكل معنى الكلمة على كل اليهودية والسامرة.

---

(33) Josephus, *Antiq*, XIV, XIV, 5.

(34) Josephus, *Antiq*, XIV, XVI, 4, XV, I, 2, *Bell. Jud.* I, 18, 3.

ثانياً: حكم هيرودس الكبير
(37–4 ق.م)

الفترة من بدء حكم هيرودس (37 ق.م) حتى تولية أغسطس قيصر (29 ق.م):

(هنا يعتمد يوسيفوس المؤرِّخ على تسجيلات سترابو ونيقولاوس الدمشقي المؤرِّخَين).

ورث هيرودس عداوة اليهود له من أبيه كونه أدومياً فوق كل شيء، وبالرغم من كل معونة وإصلاح قدَّمها لليهود. وكان أول عمل احتياطي يقوم به هو قتل الرؤوس المعادين له، فذبح خمسة وأربعين من أشياع أنتيجونيس المتزعمين حركة المقاومة ضده[1]، وكان هذا العمل الوحشي سبباً في ازدياد العداوة ضده. ولكي يقوِّي مركزه لدى الرومان سلب المملكة كثيراً من غناها الموفور من ذهب وفضة، وسلب الأغنياء، وثقَّل المطالب المالية على الشعب، وقدَّم كل شيء إلى أنطونيوس ومَنْ معه[2].

ولكن بقدر ما كان يزداد قوة واعتماداً على الرومان، بقدر ما كان يزداد الحقد عليه من اليهود. كذلك كان حكم هيرودس يُذكِّرهم باستمرار بضياع عصر المكابيين على أيدي أنتيباتر وابنه هيرودس مما كان يزيد الضغينة جداً خصوصاً في صدور الصدوقيين والفريسيين، لأن حكم المكابيين كان يمثل

(1) Josephus, *Antiq.* XV, 6 I, 2.
(2) Josephus, *Antiq.* XV, I, 2.

الحرية الدينية الكاملة واتحادها بالحرية المدنية والسياسية في شخص واحد، الأمر الذي انكسر وتصدَّع على أيدي هيرودس.

ولكن لم يفتأ هيرودس من أن يقرِّب نفسه إلى اليهود ويقرِّب اليهود إلى نفسه بشتى الطرق حتى يزيل حدة هذا الجفاء، فقرَّب إليه كبار الفريسيين العلماء مثل بوليو (أبتاليون) وتليمذه شماي[3]، وهذان كانا من أعظم متقدمي الفريسيين وأكثرهم نفوذاً وتأثيراً في الشعب في هذه الفترة. ثم قام بعمل آخر ليجتذب إليه أنظار وقلوب اليهود، إذ استحضر هركانوس الملك المخلوع والمقطوع الأُذُن من منفاه لدى الفرثيين من بابل وقرَّبه إليه وأشركه في الحكم بعد مدة سبع سنوات، وقد نال هيرودس بسبب هذا الصنيع الحسن في هذا الشيخ العجوز ـ الذي يمثل أكبر وآخر رأس في عائلة المكابيين ـ رضا اليهود فعلاً.

وهنا تبرز حركة نسائية تزيد في تعقيد الموقف وتفضح أخلاق هيرودس الوحشية وسرعة نقمته وبطشه. فقد قامت ألكسندرا أم أرسطوبولس (الثالث) مع مريمن أخت أرسطوبولس وزوجة هيرودس بالاتصال سراً بكليوباترا ملكة مصر[4] وعشيقة مارك أنطوني للتدخُّل في إقامة أرسطوبولس رئيس كهنة، على الأقل لأن هيرودس كان قد أقام حنانائيل رئيساً للكهنة وهو من أسرة يهودية بابلية سليلة لأسرة صدُّوقية عريقة تنم بصلة إلى آخر رئيس كهنة قبل المكابيين. وكان عمل هيرودس هذا بقصد التخلُّص من نفوذ أسرة المكابيين نهائياً. أمَّا عمل ألكسندرا ومريمن في تنصيب أرسطوبولس رئيس كهنة فكان على أساس إرجاع رئاسة الكهنوت إلى أسرتهم.

---

(3) Josephus, *Antiq.* XV, I, 1, Schlatter, *op. cit.*, 432.

(4) Josephus, *Antiq.* XV, II, 5.

وقد نجحت هذه المساعي السرية وضغطت كليوباترا على أنطوني لكي يأمر هيرودس بإقامة أرسطوبولس الصغير رئيس كهنة بعد أن عُزل حنانائيل، وكان عمر أرسطوبولس 16 سنة فقط!!

كان هذا الإجراء كسراً للناموس بسبب صغر سن أرسطوبولس، كما كان سابقة خطيرة تعطي الملك حق سلطة عزل رئيس كهنة بدون أسباب. هذا زاد من اتساع النفور اليهودي ضد أعمال هيرودس.

ومع أن هيرودس بريء من هذا الإجراء لأنه لم يكن عن أي رغبة شخصية بل بتدخُّل بيت المكابيين نفسه ممثلاً في ألكسندرا ومريمن، إلاَّ أن لعنة هذا الإجراء حملها هيرودس.

ولكن سرعان ما كشف هيرودس العلاقة السرية التي قامت بين ألكسندرا ومريمن بكليوباترا عدوة هيرودس الطامحة في اغتصاب الأجزاء القديمة التي كانت تابعة لمملكة البطالسة في اليهودية، وخصوصاً مدن الساحل[5]، كما أحسَّ هيرودس أن هناك أطماعاً لألكسندرا لاستعادة الملك لأرسطوبولس[6]، فأسرع هيرودس بأخذ الحيطة ضد ألكسندرا وحدَّد إقامتها في القصر. ولكن اتصلت ألكسندرا بكليوباترا ووضعتا خطة معاً لهربها مع أرسطوبولس إلى مصر، غير أن هيرودس اكتشف الخطة في آخر لحظة، فتخلَّص من أرسطوبولس سنة 35 ق.م وأبقى على ألكسندرا خوفاً من انتقام كليوباترا[7].

---

(5) Josephus, *Antiq.* XV, IV, 1, L. R. Bevan, *The Ptolemaic Dynasty*, p. 375.

(6) Josephus, *Antiq.* XV, II, 7.

(7) Josephus, *Antiq.* XV, III, 3.

وكان تخلُّصه من أرسطوبولس بطريقة إغراقه في بركة للسباحة ادَّعى بعدها أمام الشعب أن أرسطوبولس مات في حادثة غرق مؤسفة وبكاه أمام الناس(8).

ولم يصدِّق أحد هذه القصة وبالأخص ألكسندرا التي اتصلت بكليوباترا تطلب القصاص من هيرودس، وفعلاً أقنعت كليوباترا مارك أنطوني بضرورة محاكمة هيرودس. فطلب مارك أنطوني من هيرودس أن يقابله أثناء مروره شمالاً بإقليم لاودكية في طريقه لأرمينيا.

هنا يأخذ هيرودس الحذر ويعيِّن يوسف عمه حاكماً أثناء غيابه ويأمره سرًّا بأنه في حالة وصول خبر إدانته بالموت، أي موت هيرودس، عليه أن يقتل زوجته مريمن، لأنه اكتشف أن ألكسندرا تود تقديمها هدية لأنطوني ثمناً لرأسه(9).

وقد شاع كذباً إشاعة موت هيرودس، فبدأت المرأتان في التحرُّك بسرعة، وتواطأ معهما يوسف عم هيرودس وأخبرهما بالوصية السرية التي سلَّمها له هيرودس، مما أعطى فرصة لأم هيرودس وأخته(10) أن يتهما مريمن باتهامات خلقية مع يوسف عم هيرودس، ويصدقها هيرودس عند عودته بدون تردد(11)، فما كان من هيرودس إلاَّ أن قتل عمه يوسف بدون استجواب واعتقل ألكسندرا في السجن، وبالرغم من أنه كان ينوي قتل زوجته مريمن، إلاَّ أنه لإخلاصه لها عدل عن قراره.

---

(8) Josephus, *Antiq.* XV, III, 4, *Bell. Jud.* I, XXII, 2.

(9) Josephus, *Antiq.* XV, III, 5.

(10) أُمه كيبروس وأخته سالومي.

(11) Josephus, *Antiq.* XV, III, 9.

توضع هنا خريطة شجرة عائلة هيرودس الكبير على الصفحتين المتقابلتين

توضع هنا خريطة شجرة عائلة هيرودس الكبير على الصفحتين المتقابلتين

ولكن لم تكُف مناوأة كليوباترا ضد هيرودس، فأثارت العرب (دولة النباطيين جنوب وجنوب شرق اليهودية) لمحاربة هيرودس، وقد استطاع هيرودس بصعوبة وحرب مريرة أن ينتصر على العرب. وعند عودته ووصوله أُورشليم منتصراً جاءه خبر هزيمة مارك أنطوني أمام أوكتافيوس (الذي تسمَّى فيما بعد باسم أغسطس قيصر) في موقعة أكتيوم سنة 31 ق.م، ودَعا أوكتافيوس بصفته إمبراطور العالم كله هيرودس لكي يمثل أمامه. ومرَّة أخرى يضطر هيرودس أن يأخذ الحذر من ألكسندرا ومريمن فحبسهما في قلعة تحت حراسة مشدَّدة[12] وذهب لمقابلة أوكتافيوس في رودس. وفي هذه الأثناء لم تكف ألكسندرا عن المقامرة بحياتها فاتصلت بأبيها هركانوس وتعاهدت مع ملك العرب مالخوس للقيام بدور ضد هيرودس، ولكن هيرودس اكتشف المؤامرة قبل ذهابه لمقابلة أوكتافيوس فتخلَّص من هركانوس وقتله[13].

استطاع هيرودس بشجاعته وصراحته ومهارته السياسية أن يجتذب أنظار أوكتافيوس ويكسب ودَّه وتأييده، فثبَّته على مملكة يهوذا ورجع منتصراً[14].

ونزل أوكتافيوس خلف أنطوني وكليوباترا، واقتحم الإسكندرية سنة 30 ق.م، وحينئذ انتحر مارك أنطوني حالما سمع بخبر انتحار كليوباترا، وكان هذا خداعاً منها لكي تتخلَّص من مارك أنطوني وتلتفت لأوكتافيوس لتضمَّه إليها. ولكن لم يقابلها أوكتافيوس إلاَّ كعدو مهزوم، وجعلها تسير خلف موكبه مما دعاها إلى الانتحار هي الأخرى[15].

---

(12) Josephus, *Antiq.* XV, VI, 5.

(13) Josephus, *Antiq.* XV, VI, 2-3.

(14) Josephus, *Antiq.* XV, VI, 7, *Bell. Jud.* I, XX, 2-3.

(15) E. R. Bevan, *The Ptolemaic Dynasty*, p. 380 f.

وعاد موت كليوباترا بالخير على هيرودس، فقد ضمَّ إليه كل أملاكها في فلسطين، فاستولى على كل مدن الساحل: غزة ويافا والقلاع المحيطة ومنطقة جدارا والسامرة(16). وقد ضمها أوكتافيوس لهيرودس عند مقابلته له في مصر بمناسبة تهنئته له بالنصرة على مصر.

وبلغت حدود مملكة يهوذا في عصر هيرودس في تلك الآونة نفس الاتساع الذي بلغته أيام اسكندر حنَّاؤس، وهو أقصى اتساعها.

وبرجوع هيرودس إلى أُورشليم وجد المؤامرات محاكة ضدَّه بواسطة مريمن وألكسندرا، فاضطر لمحاكمتهما بتهمة الخيانة وقتلهما(17) سنة 25 ق.م.

الصداقة بين هيرودس وأغسطس قيصر:

توطَّدت أواصر الصداقة بين أُغسطس قيصر (أوكتافيوس بعد أن صار إمبراطوراً سنة 29 ق.م) وبين هيرودس، وازدادت بالأكثر لما قدَّم هيرودس معونة عسكرية للجيش الروماني في حربه ضد النباطيين المستوطنين على ضفة البحر الأحمر الشرقية(18)، وكانت مكافأة أغسطس لهيرودس كبيرة في الواقع، إذ أضاف إلى مملكة اليهودية إقليم تراخونيتس وإقليم باتانيا، بالإضافة إلى بلاد أورانتس (المسمَّاه قديماً أرض باشان). ومن مظاهر الود الكثيرة أن سمح قيصر لولدي هيرودس أن يتعلَّما في روما ويقيما في قصر قيصر.

كل ذلك لم يعفِ هيرودس من بغضة اليهود والحقد عليه، وقد حاول بالقوة أن يأخذ من اليهود عهد الولاء لنفسه ولقيصر ولكنه فشل في ذلك،

---

(16) Josephus, *Antiq.* XV, VII, 3, *Bell. Jud.* I, XX, 3.

(17) Josephus, *Antiq.* XV, VII, 4-8.

(18) Josephus, *Antiq.* XV, IX, 2, Dio Cassius, L iii, 29.

خريطة توضِّح الولايات المختلفة في أرض فلسطين في أيام المسيح

ويذكر يوسيفوس أنه لم يحاول أن يجبر الأسينيين على هذا العهد لأنه كان يوقِّرهم جداً[19].

وكان أغسطس قيصر شديد الإعجاب بهيرودس، وقام فعلاً بزيارته في سوريا سنة 20 ق.م، وقد منح هيرودس في هذه الأثناء مدناً كثيرة وأقامه والياً على سوريا نفسها مع المسئولين الرومان فيها، وعيَّن أخا هيرودس فيروراس Pheroras رئيس ربع على إقليم بيريه باليهودية[20]. كما توطَّدت أواصر الودّ أيضاً بين هيرودس وأغريباس مساعد قيصر الأول في إدارة شئون الامبراطورية كلها، وقام بزيارة هيرودس في اليهودية سنة 15 ق.م، وقد استقبله هيرودس استقبالاً ملوكياً حافلاً، وقد رحَّب به الشعب عند ما أبدى احتراماً لعبادتهم وقدَّم لهم ذبائح للهيكل.

وقد أعطى هيرودس حفيده لقب "**أغريباس**" تيمناً وتكريماً للوالي الروماني أغريباس.

اهتمام هيرودس بفن العمارة:

وقد اهتم هيرودس بفن العمارة، وأول عنايته كانت في إقليم السامرة الذي دعاه سبسطية[21]. وكلمة سيباستوس Sebastos هي الترجمة اليونانية للكلمة اللاتينية أوغسطس Augustus وتعني ''العظيم'' وهو لقب أوكتافيوس، وبنى مدينة السامرة.

وبنى مرفأً ذا قلعة محصَّنة على البحر الأبيض وأسماه ''قيصرية'' على اسم

---

(19) Josephus, *Antiq.* XV, VIII, 3, & XIV, IX, 2.

(20) Josephus, *Antiq.* XV, X, 3.

(21) هذا الاسم غير إقليم سبسطية الذي يُنسب إليه الأربعون شهيداً، وهم جنود من فرقة الرعد في جيش ليسينيوس Licinius سنة 320م، والذين ماتوا غرقاً في بحيرة ماء مثلَّج. فالأخير موجود ببلاد أرمينيا الصغرى (*Oxf. Dict*).

أوكتـافيوس أيضـاً، وبـنى قلعـة ‘‘أنطونيـا’’ في الشـمال الغـربي للهيكـل لتطـل عليـه،

على اسم مارك أنطوني، وبنى لنفسه قصراً كبيراً على السور الغربي للهيكل.



نموذج لأُورشليم القديمة يظهر فيه هيكل هيرودس الكبير
الذي بناه في القرن الأول قبل الميلاد ودمَّره الرومان سنة 70م

وقد بدأ بعمارة الهيكل نفسه سنة 19 ق.م وأفرغ فيه كثيراً من اهتمامه وجهده.

وبنى أيضاً مدن أنتيباتريس شمال شرق يافا (وهي مذكورة في سفر الأعمال 31:23) وفازيليس في وادي الأُردن شمال أريحا تكريماً لاسم أبيه وأخيه، وأصلح بناء مدينة أنثيدون على الساحل شمال غزة ودعاها أغريبون تكريماً لصديقه أغريبا الروماني، وبنى حصون وقلاع هيرودس وألكسندريون وهيركانيا واختص قلعتي ماكيروس وماسادا بقصور ملكية فيهما[22].

والذي يهمنا من جهة النبوات أنه اهتم جداً ببناء سوق كبير للمدينة (أُورشليم) وأسوار ضخمة لها وشوارع خارجها وداخلها وحمَّامات، وهذا يذكره دانيال النبي في نبواته في الأصحاح التاسع بوضوح:

(22) Josephus, *Antiq.* XVI, V, 2, *Bell. Jud.* vii, VIII, 4.

+ «فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أُورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً، **ويعود** ويُبنى سوق وخليج في ضيق الأزمنة.» (دا 9:25)

ولعل أهم أعماله بالنسبة لليهود والتمهيد لمجيء الرب بغتة إلى هيكله هو إعادة بناء الهيكل ضعف حجمه الأول، وتزيينه بالرخام الكورنثي والحجارة الثمينة. وقد بدأه سنة 19 ق.م وتمت العمليات الكبرى سنة 9 ق.م، ولكن عمليات البناء الصغرى والتجميل ظلت مستمرة حتى أيام المسيح. لذلك نسمع اليهود يقولون للمسيح: «في ستٍّ وأربعين سنة بُنِيَ هذا الهيكل» (يو 2:20). لذلك نستطيع أن نقول إن هذا الحديث دار حوالي سنة 27م.

وهذا يلقي ضوءاً أمام تعيين ميلاد المسيح تقريباً بين سنة 4و6 ق.م، إذ لا يمكن أن يكون الميلاد قبل سنة 6 ق.م، وإلاَّ يكون عمر المسيح وقت هذا الحديث أكثر من 33 سنة، وكذلك لا يمكن أن يكون بعد 4 ق.م، لأن في هذه السنة مات هيرودس، ومعروف أن المسيح وُلِدَ في أثناء حياة هيرودس.

السنين الأخيرة لهيرودس:

بدأت المؤامرات بين أبناء هيرودس للنزاع على الميراث والسلطان مبكِّراً في حياة هيرودس، وقد كانت عائلة هيرودس منقسمة على ذاتها بين المكابيين (فرع زوجته مريمن) والأدوميين (فرع زوجته دوريس). وقد وشى الاثنان في حق بعضهما بتهمة القيام بمؤامرات عنيفة لقتل هيرودس نفسه، مما اضطر هيرودس لرفع شأنهم إلى قيصر بصفتهم جميعاً رعايا روما، فأمر بمحاكمتهم. فحوكم اسكندر وأرسطوبولس ولدا مريمن في بيروت سنة 7 ق.م وأُعدما في

سبسطية (إقليم السامرة)[23]. أمَّا أنتيباتر المتزعِّم حركة الوشاية ضد اسكندر وأرسطوبولس، فلم يكف هو الآخر مدَّة ثلاث سنين عن مؤامراته ضد أبيه، الذي اكتشف محاولة وضع السم له في الطعام، فأمر والي سوريا كينتيلوس فاروس Quintillius Varus بمحاكمته، فحوكم في سوريا وأُعدم هناك.

وقد بدأ الإعياء والمرض العصبي يهد كيان هيرودس، وكان يشكو في أيامه الأخيرة من الفزع والرعب وظهور مناظر وحوش مفترسة تفزعه في الأحلام، وكان قد بلغ حوالي السبعين من عمره، وأخيراً مات سنة 4 ق.م.

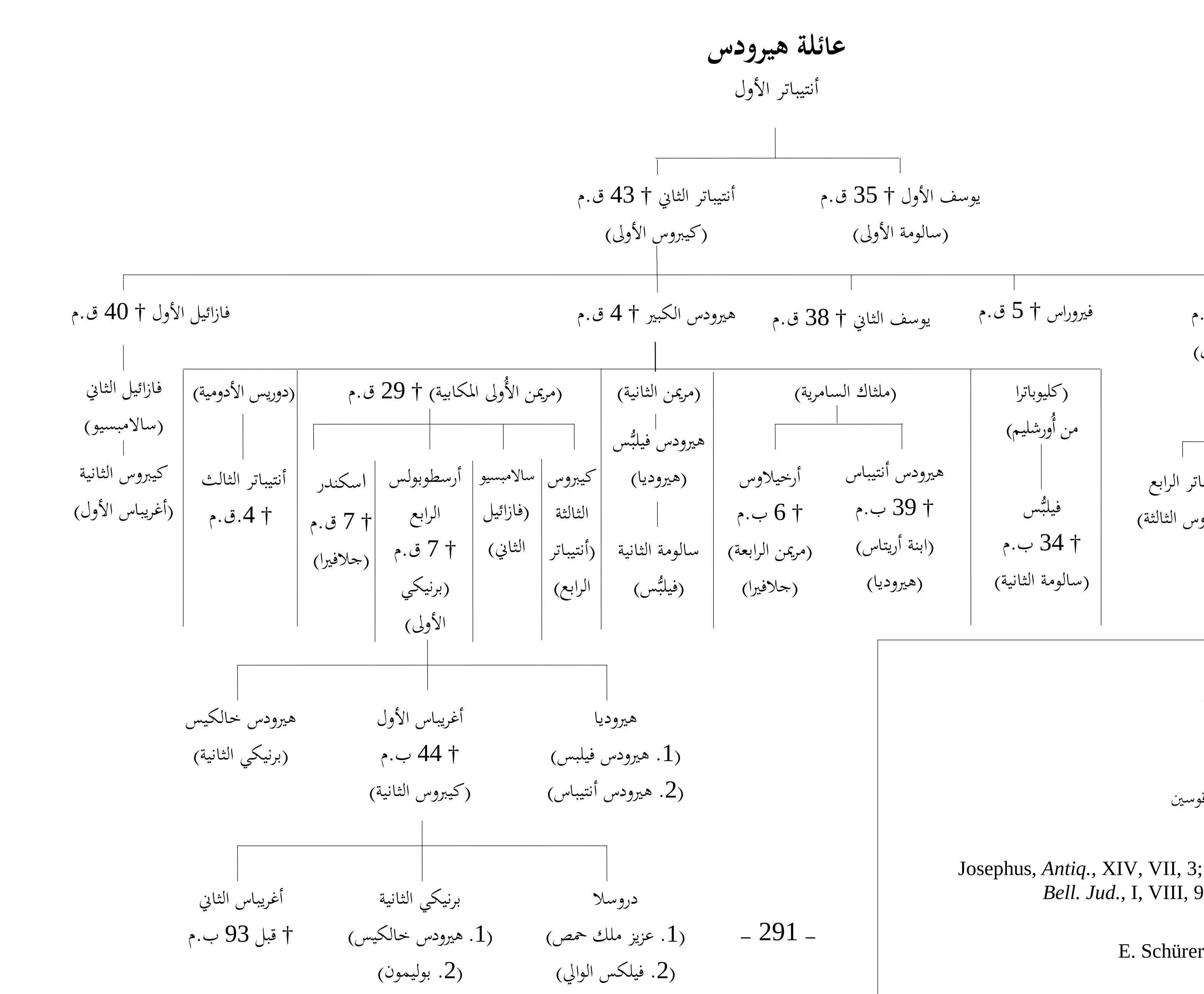
وفي هذه الأثناء قامت جماعة دُعيت بجماعة الغيورين، وموطنهم الجليل، بزعامة يهوذا الجليلي ابن حزقياس[24]، وقد اتفقوا في اتجاههم الديني ناحية عدم الاعتراف بقيصر كملك لهم، إذ اعتبروا ذلك خيانة لله وخطية، منادين بأن الله هو وحده ملك لإسرائيل. وقد اتفقوا في ذلك تقريباً مع شيعة الفريسيين في البدء، ولكن انشقوا نهائياً عن الفريسيين لما عدَّل الفريسيون مذهبهم معتبرين أن سيادة روما أمرٌ واقع بسبب خطاياهم كتأديب من الله عليهم أن يحتملوه، إلى أن يرفعه الله نفسه. أمَّا الغيورون فقد اعتبروا أنفسهم يمثلون إرادة الله الخيرة، وعليهم أن يكونوا أصحاب المبادرة لتنفيذ مشيئة الله التي يؤمنون بها عندما يقتنعون بصحتها. وظهر هذا الخلاف في البدء واضحاً عند التطبيق، إذ رفض الغيورون دفع الجزية لقيصر، في حين أن الفريسيين أذعنوا وخضعوا وبادروا بدفع الجزية.

---

(23) Josephus, *Antiq.* XVI, XI, 2-7, *Bell. Jud.* I, XXVII, 2-6.

(24) Josephus, *Antiq.* XV, VIII, 2, & XIV, IX, 2, & XIV, 9,2, *Bell. Jud.* II, IV, 1, & I, X, 5.

وقد تفاقمت الأمور جداً فيما بعد عندما انحاز جزء كبير من الشعب للغيورين، وانتهت بالقبض عليهم ومحاكمتهم وتشتيتهم. ولكن بقي يهوذا الجليلي ينفث روح المقاومة في الشعب ويستعد لفرصة أخرى ليقوم بثورة مسلَّحة علنية.



عائلة هيرودس
أنتيباتر الأول
أنتيباتر الثاني † 43 ق.م
(كيبروس الأولى)
يوسف الأول † 35 ق.م
(سالومة الأولى)
فازائيل الأول † 40 ق.م
هيرودس الكبير † 4 ق.م
يوسف الثاني † 38 ق.م
فيروراس † 5 ق.م
فازائيل الثاني
(سالامبسيو)
كيبروس الثانية
(أغريباس الأول)
(دوريس الأدومية)
أنتيباتر الثالث
† 4.ق.م
(مريمن الأُولى المكابية) † 29 ق.م
اسكندر
† 7 ق.م
(جلافيرا)
أرسطوبولس
الرابع
† 7 ق.م
(برنيكي
الأولى)
سالامبسيو
(فازائيل
الثاني)
كيبروس
الثالثة
(أنتيباتر
الرابع)
(مريمن الثانية)
هيرودس فيلبُّس
(هيروديا)
سالومة الثانية
(فيلبُّس)
(ملثاك السامرية)
أرخيلاوس
† 6 ب.م
(مريمن الرابعة)
(جلافيرا)
هيرودس أنتيباس
† 39 ب.م
(ابنة أريتاس)
(هيروديا)
(كليوباترا
من أُورشليم)
فيلبُّس
† 34 ب.م
(سالومة الثانية)
هيرودس خالكيس
(برنيكي الثانية)
أغريباس الأول
† 44 ب.م
(كيبروس الثانية)
هيروديا
(1. هيرودس فيلبس
(2. هيرودس أنتيباس
أغريباس الثاني
† قبل 93 ب.م
برنيكي الثانية
(1. هيرودس خالكيس
(2. بوليمون
دروسلا
(1. عزيز ملك حمص
(2. فيلكس الوالي
Josephus, Antiq., XIV, VII, 3;
Bell. Jud., I, VIII,
E. Schürer

ثالثاً: خلفاء هيرودس حتى الحرب اليهودية
(4 ق.م –66 ب.م)

عائلة هيرودس:

لكي نستطيع أن نتتبع ظروف الحكم في اليهودية وما حواليها بعد موت هيرودس، يلزمنا أن نتعرَّف بصفة إجمالية وسريعة على عائلة هيرودس وتسلسل أبنائه وأنسابهم:

الرأس: رأس العائلة الأول هو أنتيباس جد هيرودس الكبير، الذي كان والياً على أدومية بواسطة اسكندر حناؤس[1].

الجيل الأول: كان لأنتيباس ولدان، أنتيباتر والد هيرودس الكبير ويوسف عم هيرودس الذي حاكمه هيرودس الكبير لخيانته في الأمانة السياسية والزوجية.

هيرودس الكبير

وقد حكم أنتيباتر أدومية بعد أبيه وتزوج كيبروس وهي من عائلة عربية شريفة من النباطيين ذات أصل عرقي يهودي[2]، وإنما كانت محسوبة أدومية من بيت الملوك. وقد خلَّف منها أنتيباتر أربعة أبناء ذكور وابنة واحدة، وهم كالآتي: فازائيل، هيرودس الكبير، يوسف، فيروراس وسالومة (التي تزوجت عمها يوسف).

---

(1) Josephus, *Antiq.* XIV, I, 3, *Bell. Jud.* I, VI, 2.
(2) Schlatter, *op. cit.*, p. 222.

الجيل الثاني: وتزوج هيرودس الكبير عشر زوجات، منهن ثمانٍ فقط خلَّفن له أولاداً وهن: دوريس، مريمن الأُولى، مريمن الثانية، مالثاك، كليوباترا، بالاس، فيدرا، هلبيس. وكانت خلفتهن كالآتي[3]:

1 ـ من دوريس وكانت أدومية من عائلة هيرودس نفسه، خلَّف **أنتيباتر** ابنه البكر وقد أُعدم سنة 4 ق.م.

2 ـ من مريمن الأُولى وكانت يهودية مكابية (حشمونية) بنت ألكسندرا الابنة الوحيدة لهركانوس الثاني، وخلَّف منها **اسكندر وأرسطوبولس**، وقد أُعدما سنة 7 ق.م، وابنتين سالامبسيو وكيبروس.

3 ـ من مريمن الثانية ابنة سمعان رئيس الكهنة خلَّف منها ابناً واحداً **هيرودس** وكان لقبه فيلبُّس.

4 ـ من مالثاك وكانت سامرية خلَّف منها **أرشيلاوس وأنتيباس**، وابنة واحدة أولمبياس

5 ـ كليوباترا من أُورشليم وخلَّف منها **هيرودس الآخر وفيلبُّس**.

6 ـ من بالاس خلَّف **فازائيل**.

7 ـ من فيدرا خلَّف روكسانا.

8 ـ من هلبيس خلَّف سالومة.

الجيل الثالث: وسنذكر منهم الذين لعبوا أدواراً هامة في تاريخ اليهودية:

أولاد أرسطوبولس: الذي كان قد أُعدم بتهمة خيانته لأبيه هيرودس وكان ابناً لمريمن المكابية. أرسطوبولس هذا تزوَّج برنيكي ابنة سالومة (أخت هيرودس الكبير) أي تزوج ابنة عمته. وأهم أولادهما هم:

---

(3) Josephus, *Antiq.* XVIII, V, 4, XVII, I, 3.

هيـرودس خـالكيس، **أغريبـاس الأول** (المـذكور في أع 1:12)، **وهيروديـا** المعروفة (التي تسببت في قتل يوحنا المعمدان).

وهيروديا تزوجت أولاً هيرودس الملقَّب فيلبُّس عمها (ابن مريمن الثانية) وخلَّفا سـالومة الـتي تزوَّجـت فيلـبُّس (ابـن هـيرودس وكليوبـاترا). ولكـي نتتبـع نسـب أرسـطوبولس وتسلسـله: **أغريبـاس الأول** تـزوج كيـبروس الـتي جـدها فازائيـل أخ هيرودس الكبير وخلَّفا أربعة أولاد: **أغريبـاس الثاني وبرنيكي** (المذكورين في أع 23:25) **ومريمن ودوروسلاّ** (المذكورة في أع 24:24).

وبعد ذلك تتعقد الأسرة جداً وتتكرر الأسماء مما صعَّب على المؤرِّخين حصر التسلسل، وسنكتفي بذكر سلسلة نسب كل رئيس في مكانه.

1 – أرشيلاؤس والي على اليهودية والسامرة وأدومية (4ق.م –6م):

أوصى هيرودس قبل وفاته أن يخلِفه ابنه **أرشيلاؤس** الذي من مالثاك الزوجة السامرية وذلك في حكم اليهودية على أن يكون لقبه رئيس ربع.

كما أوصى أن يُعطى **أنتيباس،** أخو أرشيلاؤس من نفس الزوجة الحكم على الجليل وبيريه وأورانتيس وبانياس، على أن يكون لقبه أيضاً رئيس ربع.

كما أوصى أن تُمنح أخته **سـالومة** (زوجة يوسف عمها) الحكم على المدن الآتية: يمنيا وأشدود وفازائيلس، وذلك بعد موافقة وتصريح قيصر، لأن المعروف في القانون الروماني أن الملوك والرؤساء التابعين لقيصر ليس لهم الحق في توريث ألقابهم وحكوماتهم لأبنائهم. لذلك كان على أرشيلاؤس أن يقوم برحلة إلى روما لتسلُّم مهام وظيفته وألقابه.

ولكن ما أن مات هيرودس حتى انفجر بركان غضب اليهود وحقدهم على هـيرودس وعلـى رومـا، وصـبُّوا هـذا الحقـد علـى أرشـيلاؤس، وقـد تـزعَّم

الحركة جماعة من الفريسيين وأخرى من الغيورين المتطرفين غير المتعقلين ضد قيصر وضد الحكم الروماني كله وضد ورثة هيرودس الأدوميين، وهدَّدوا أرشيلاؤس وأثاروا الشعب كله، الذي بدأ ثورته فقامت مذبحة مات فيها ثلاثة آلاف من اليهود في أُورشليم قرب عيد الفصح. وبعد أن هدأت الحالة ظاهرياً، رحل أرشيلاؤس إلى روما بعد أن أوصى فيلبُّس (ابن هيرودس من كليوباترا) للإشراف على شئون البلاد، ولحقه في روما أنتيباس ثم فيلبُّس نفسه.

وبينما هؤلاء يرتبون توزيع البلاد أمام أغسطس قيصر، قدم من اليهودية وفد يطالب قيصر بإلغاء الملكية عن اليهودية ويجعلها تحت حكم روما المباشر.

وبعد الفحص قرَّر قيصر الآتي:

1 ـ تعيين أرشيلاؤس على اليهودية والسامرة وأدومية بلقب ‘‘والي’’[4].

2 ـ تعيين أنتيباس رئيس ربع على الجليل وبيريه وعلى مناطق شرق الأُردن التي يسكنها يهود.

3 ـ تعيين فيلبُّس رئيس ربع على المناطق الشمالية وتشمل باتانيا وتراخونيتس وأورانتيس[5].

وقد اهتموا جميعاً بحكم البلاد وبفن العمارة حاذين حذو أبيهم، وبالأخص أرشيلاؤس الذي اهتم بتكميل بناء الهيكل وتزيينه[6]، وعمارة قصور أريحا ومدها بمجرى من الماء لري نخيلها وأشجارها في وادي أريحا الشمالي، وبنى

---

(4) كان يلقَّب بالملك تجاوزاً (مت 22:2) (Josephus, *Antiq.* XVIII, IV, 3).

(5) Josephus, *Antiq.* XVII, XI, 4, *Bell. Jud.* II, VI, 3.

(6) Schlatter, *op. cit.*, 268.

مدينة أرشيلائيس واهتم أيضاً بحدائقها.

ولكن للأسف كان أرشيلاؤس أقل أبناء هيرودس حكمة وسياسة، وقد استمر في الحكم عشر سنوات، ولكن دون أن يفوز بأي ثقة من شعبه لأنه كان قصير النظر غير متجاوب مع اليهود في أي شيء، وقد أثار شعور اليهود:

أولاً: بأن طلَّق امرأته مريمن وتزوَّج جلافيرا أرملة أخيه اسكندر التي كانت قد خلَّفت من اسكندر ثلاث بنين، وبهذا يكون زواجه منها ضد شريعة الآباء[7].

ثانياً: تصدَّى مرتين لرئيس الكهنة وعزل اثنين منهم من رئاسة الكهنوت.

ثالثاً: اضطهد وأساء معاملة اليهود بدون أسباب واضحة، وذلك ضد توجيهات قيصر نفسه. وهذا كله اضطر اليهود أن يقدِّموا شكوى شديدة لقيصر يطلبون فيها عزل أرشيلاؤس، وفعلاً استجاب لهم قيصر ونفاه في فيينا بإقليم الغال بعد أن جرَّده من جميع أمواله، وكانت مدة حكمه عشر سنوات (4 ق.م-6م)، ودخلت اليهودية تحت إدارة حكَّام رومانيين مباشرة[8].

2 - فيلبُّس رئيس ربع على باتانيا وتراخونيتس وأورانتيس مناطق الشمال (4ق.م -34م):

(وهو غير هيرودس فيلبُّس الذي كان قد تزوَّج هيروديا أولاً).

حكم هذه المناطق مدة 37 سنة، ولكن حكمه لم يكن له أي صدى خارج

---

(7) يُلاحَظ أن اهتمام اليهود كان متزايداً جداً بهذا الأمر، إذ كان يُحذر على اليهود زواج أرملة الأخ إذا كان منها أولاد (Josephus, *Antiq.* XVIII, XIII, 4).

(8) Dio Cassius LV, 27. Josephus, *Antiq.* XVII, XIII, 2,5.

البلاد إلاَّ أنه كان صديقاً لروما مخلصاً وأميناً في حمل المسئولية في إدارة شئون حكمه، **وقد بنى مدينة بانياس على منابع الأُردن وأطلق عليها قيصرية**، ورفع من شأن مدينة بيت صيدا بالعمائر والإصلاحات حتى صارت مدينة كبرى.

ويذكر عنه التاريخ أنه لم يغادر قط دائرة بلاده، وكان يتجوَّل فيها دائماً مع نخبة من أصدقائه الأمناء، وكان يسير ومعه كرسي القضاء يتسمَّع شكاوي المظلومين، وأي شكوى تُقدَّم له كان يأمر بأن يُقام كرسي القضاء في الحال ويجلس يحكم بلا إبطاء، ليرد حق المظلوم ويقتص من الظالم(9). ومات سنة 34م ولم يخلف له ولداً، فانضمَّت مؤقتاً الأراضي التي كان يحكمها إلى ولاية سوريا، على أن تُصرف الضرائب المدفوعة من هذه البلاد لصالح هذه البلاد نفسها(10)، إلى أن تسلَّمها أغريباس الأول بن أرسطوبولس بن هيرودس الكبير.

3 ـ هيرودس أنتيباس رئيس ربع على الجليل وبيريه ومناطق شرق الأُردن (4ق.م ـ39م):

أكفأ الحكَّام الثلاثة الذين خلفوا هيرودس وأكثرهم ذكاءً ومكراً. لم يذكر التاريخ عن حكمه كثيراً إلاَّ أنه **بنى مدينة طبرية لتكون عاصمة الجليل** وذلك سنة 26م(11). واختار لها أجمل وأخصب بقعة في الجليل على بحيرة جنيسارت "طبرية" في الضفة الغربية قريباً من قرية عمواس المشهورة بحمَّاماتها الدافئة، وذلك تكريماً لطيباريوس قيصر الذي كانت تربطه به أواصر المودة والتقدير، التي كان يعتز بها أنتيباس جداً فوق كل شيء. وقد بنى في طبرية قصوراً عظيمة وعديدة ومنازل كثيرة، وشجَّع السكنى في المدن سواء من علية القوم

(9) Josephus, *Antiq.* XVIII, IV, 6.
(10) Josephus, *Antiq.* Ibid.
(11) Josephus, *Antiq.* XVIII, II, 3.

أو من الفقراء المعدمين، الذين سهّل لهم السكنى مجاناً وأعالهم من أمواله كعمل من أعمال الخير الكثيرة التي اضطلع بها(12).


سالومة ابنة هيروديا وفي يديها رأس يوحنا المعمدان على طبق

وقد أساء إلى شعور اليهود الوطني بزواجه ابنة ملك العرب أريتاس، مما تسبب في قيام حرب شديدة بين هيرودس أنتيباس وأريتاس، وهُزم فيها أنتيباس. وزاد إساءة لشعورهم الديني بتطليقه لهذه الزوجة رغبة في الزواج بامرأة أخيه وهو حي، مما حدا بيوحنا المعمدان أن يواجهه بهذا الخطأ موبِّخاً لتعديه شرائع الناموس.

ويُلاحَظ هنا أن الكتاب المقدَّس يذكر أنه تزوَّج هيروديا امرأة أخيه. كما يذكر الكتاب أن اسمه هيرودس.

ولتوضيح هذه الوقائع التاريخية نقول إن اسمه الرسمي كان أنتيباس، ولكنه كان يُدعى بلقبه العام وهو هيرودس، أي أن اسمه كان ''هيرودس أنتيباس''، وهو ابن هيرودس الكبير من زوجته مالثاك السامرية، وهو غير أخيه هيرودس الذي ولده هيرودس الكبير من زوجته مريمن الثانية الملقَّب فيلبُّس. والمعروف أن هيرودس فيلبُّس بن هيرودس الكبير هو الذي كانت هيروديا في ذمته كزوجة(13) وقد اغتصبها ''هيرودس أنتيباس'' لنفسه بينما كان زوجها ''هيرودس فيلبُّس'' حيًّا.

(12) Ibid.

(13) Josephus, *Antiq.* XVIII, V, 1.

ومنعاً للالتباس يلزمنا أن نقول إنه كان يوجد فيلبُّس آخر اسمه الرسمي ''فيلبُّس'' وهو الذي ولده هيرودس الكبير من زوجته المدعوة ''كليوباترا الأُورشليمية''، وهو الذي تولَّى رئاسة ربع على الأقاليم الشمالية، وهذا لم يكن له علاقة بهيروديا نفسها وإنما تزوج فيما بعد ابنتها سالومة التي كانت قد خلفتها من هيرودس فيلبُّس أخيه، وهي البنت التي رقصت رقصتها المعروفة المذكورة في الإنجيل والتي كان ثمنها رأس يوحنا المعمدان(14).

والمعروف من الأناجيل ومن ملابسات الحقائق التاريخية أن يوحنا المعمدان كان يمثل رأي غالبية الشعب اليهودي في إبداء سخطه على هيرودس أنتيباس بسبب تحدِّيه للناموس ومشاعر الأُمة كلها. وقد سارع هيرودس أنتيباس بقتل يوحنا المعمدان خوفاً من حدوث أي شغب أو ثورة ضدَّه، الأمر الذي كان يحرص عليه كل الحرص إرضاءً لأسياده الرومان. وقد ضحَّى هيرودس أنتيباس بتقديره وإعزازه الشديد ليوحنا المعمدان للحفاظ على تقدير القيصر وإعزازه له(15)، وقد ذكر يوسيفوس مقدار احترام هيرودس ليوحنا المعمدان. كما ذكر يوسيفوس أن انهزام هيرودس أنتيباس في حربه مع أريتاس ملك العرب وتحطيم جيشه جاء نتيجة مباشرة لقتله يوحنا المعمدان(16).

وكذلك أيضاً انتهى نصيب هيرودس أنتيباس قاتل يوحنا المعمدان نهاية محزنة سوداء، فقد أشارت عليه هيروديا أن يذهب إلى روما طمعاً في ازدياد أراضيه وطموحاً في الحصول على لقب الملوكية، وكل ذلك غيرة من أغريباس

---

(14) انظر: (مت 14:1ـ12)، (مر6:14ـ29)، (لو 19:3).

(15) Josephus, *Antiq.* XVIII, V, 2.

(16) Josephus, *Antiq.* Ibid, XVIII, VIII, 2, E. Schürer, *op. cit.*, I, p. 350.

الأول أخي هيروديا نفسها، الذي تعيَّن والياً على اليهودية وأخذ كل مظاهر الملوكية وكرامتها بسبب صداقته وزمالة شبابه مع غايس كاليجولا الإمبراطور. ولكن لسوء حظ هيرودس أنتيباس أنه بمجرَّد أن وصل إلى روما سبقته وشاية في حقه من أغريباس الأول نفسه، أخذ بها الإمبراطور كاليجولا وحكم على هيرودس بالنفي المؤبَّد إلى مدينة ليون بإقليم الغال (فرنسا). وجرَّده من جميع أمواله وأراضيه، وأُضيفت إلى نصيب أغريباس الأول. ولما علم الإمبراطور أن هيروديا هي أخت أغريباس صديقه أراد أن يحتفظ لها بأموالها الخاصة ولكنها رفضت، فأغضبت الإمبراطور وأمر بتجريدها من كل أموالها وأملاكها وضمَّها إلى أغريباس الأول، وزاد على ذلك بأن نفاها مؤبَّداً مع زوجها في ليون. وانتهى حكم هيرودس في بداية حكم كاليجولا وبالتحديد في سنة 39م، علماً بأنه هو هيرودس الذي استجوب المسيح حسب طلب بيلاطس، وأهان المسيح وأمر بجلده.

اليهودية تحت إدارة الولاة الرومان مباشرة (6-41م):

بنفي أرشيلاؤس (سنة 6م) وبناء على الشكوى التي قُدِّمت من الوفد اليهودي الذي كان عددهم خمسين، بالإضافة إلى الضغط الذي أبداه اليهود المستوطنين في روما وقتئذ وكان يبلغ عددهم في تلك المدة ما يقرب من ثمانية آلاف، تحررت اليهودية من الحكم الملكي المحلي ودخلت تحت الحكم المباشر لروما. ومع أنها كانت تتبع الإدارة المركزية في سوريا، إلاَّ أن ولاتها الرومان كان لهم شيء كثير من الاستقلال في الحكم وتصريف الأمور. أمَّا في الأمور العامة التي تخص شئون الامبراطورية وأوامر الإمبراطور العامة فكان الوالي في سوريا هو المتصرِّف العام، وهذا يظهر في عملية الإحصاء العام الثاني الضريبي الذي أمر به أغسطس قيصر، واضطلع بهذه المهمة في الشرق كيرينيوس والي

سوريا لثاني مرّة، لأن المرّة الأُولى قام بها أيام ولادة المسيح.

الاكتتاب الأول (لو 2:1ـ3) كان إحصاءً عاماً (4 ق.م).
الاكتتاب الثاني (أع 37:5) كان إحصاءً ضريبياً (7م).

ونجد أن الاكتتاب الثاني اضطلع به كيرينيوس والي سوريا مع أن اليهودية كانت تحت إدارة الوالي الروماني كوبونيوس (6 - 9م)

كذلك يذكر التاريخ أن كيرينيوس بعد أن جرَّد أرشيلاؤس من أمواله وعقاراته، خلع يوعازا رئيس الكهنة وأقام **حنَّان** رئيساً للكهنة، ولقبه حنَّان بن شيث.

حكم كوبونيوس الوالي الروماني (6ـ9م): كان أول والي روماني يحكم اليهودية مباشرة، وقد قام في بداية حكمه بمساعدة كيرينيوس في عملية الإحصاء العام لحصر الضريبة. وقد شعر اليهود بثقل هذا الإجراء وخصوصاً جماعة الغيورين واعتبروها إذلالاً رسمياً لحرية اليهودي، وجعلتهم يحسون جميعاً أنهم تحت الجزية وبالتالي جعلتهم يحسُّون بمرارة العبودية. ولولا حكمة رئيس الكهنة يوعازا لانتشرت الثورة في اليهودية التي قام بها إقليم شرق الأُردن المتحمِّس بقيادة يهوذا الجليلي الذي من مدينة جمالا، والذي سبق وأن قاد ثورة سابقاً (انظر صفحة 288 هامش 24). وقد انضم إليه في هذه المرَّة صادوق الفرِّيسي المتعصِّب أيضاً وأزاغا عدداً وفيراً وراءهما، وسبَّبا اضطراباً ورعباً كثيراً في البلاد[17].

+ «بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب (الثاني) وأزاغ وراءه شعباً غفيراً، فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتَّتوا.» (أع 37:5)

---

(17) Josephus, *Antiq.* XVIII, I, 1, *Bell. Jud.* vii, VIII, 1.

وقد انتهى كيرينيوس من الإحصاء الضريبي العام في سنة 7م[18].

ويُلاحَظ أن قيادة يهوذا الجليلي لثورتين متحمستين بدون سبب معقول وبدون ردع من المسئولين، بل وانضمام الفريسيين له في هذه المرَّة الأخيرة احتجاجاً على الإحصاء العام، وهو عمل مشروع، مهَّد هذا كله لروح التذمّر بين الشعب، الأمر الذي مهَّد لقيام الثورة الكبرى التي قام بها اليهود ضد الرومان سنة 70 م، والتي راح ضحيتها ألوف اليهود، حيث دُمِّرت أُورشليم وأُحرق الهيكل وسُبي الشعب وفقد تاريخه.

متابعة الولاة الرومانيين للحكم: وبعد رجوع كوبونيوس إلى روما خلفه في حكم اليهودية ماركوس أمبيبولس واستمر في الحكم من سنة 9-12م،[19]، ومن بعده أيضاً تولَّى **أنيوس روفوس** من سنة 12-15م، وهذان لم يكن لهما ذكر في تاريخ اليهود.

وفي مدَّة تولِّي هذا القائد مات أغسطس قيصر 14م بعد أن حكم العالَم سبعة وخمسين سنة وستَّة أشهر ويومين (44 ق.م - 14م)، أمَّا حياته فكانت 77 سنة وتولَّى من بعده ابن زوجته جوليا واسمه طيباريوس قيصر (ثالث إمبراطور على روما)، وهو الذي أرسل القائد **فاليريوس جراتس** سنة 15-26م[20] ليحكم اليهودية. ويذكر يوسيفوس هذا القائد أن يده كانت ثقيلة على اليهود وكان جائراً مستبداً في معاملته لليهود. وقد ظهر ذلك في تعرضه لوظيفة رئيس الكهنة، فقد خلع **حنَّان** وعيَّن بدلاً منه اسماعيل بن فابي، ولكن

---

(18) Josephus, *Antiq.* XVIII, I, 1.

(19) Josephus, *Antiq.* XVIII, II, 2.

(20) Josephus, *Antiq.* XVIII, II, 2, E. Schürer, *op. cit.*, I, 322.

بعد مدة يسيرة خلعه هو الآخر وعيَّن بدلاً منه أليعازر، وكان أليعازر بن حنَّان رئيس الكهنة السابق، ولم يتركه فيها سنة واحدة حتى خلعه وعيَّن بدلاً منه سمعان بن كاميثوس، وبعد سنة واحدة عزلة أيضاً وعيَّن بدلاً منه يوسف **قيافا**، كل ذلك في أقل من إحدى عشرة سنة (15ـ26م)، غادر بعدها اليهودية إلى روما، وتعيَّن بيلاطس البنطي (بونتيوس بيلاطس) بدلاً منه(21).

اليهودية تحت حكم بيلاطس البنطي (26ـ36م):

(وُجِدَت أثناء حفريات عُملت في سنة 1961م بمدينة قيصرية لوحة حجرية تحمل اسم "بونتيوس بيلاطس مع اسم طيباريوس قيصر")(22)، وبيلاطس هو خامس حاكم روماني على اليهودية، عيَّنه طيباريوس قيصر سنة 26م، وهذا يوافق بدء خدمة السيد المسيح تماماً. وطبعاً ليس هذا مصادفة.

وتولَّى بيلاطس البنطي الحكم في اليهودية من سنة 26ـ36م. وبناءً على تعديل في حكم مجلس الشيوخ الروماني الصادر في سنة 21م الذي بمقتضاه يصرِّح لحكام الأقاليم أن يصحبوا زوجاتهم معهم(23)، أخذ بيلاطس زوجته وأقامت في أُورشليم (مت 19:27). وقد بدأ بيلاطس حكمه بتحدِّي اليهود بأن نقل مركز قيادة الجيش من قيصرية إلى أُورشليم، وأحضر تمثال قيصر وشعار الامبراطورية النسر الذهبي ذا المنكبين العريضين ونَصَبهما ليلاً في مداخل أُورشليم، مما أثار حفيظة اليهود وجعلهم يتوجَّهون إليه في مقر قيادته في قيصرية وينازعونه علناً في هذا الأمر، وقد هدَّدهم بيلاطس بالموت. ولكن أمام إصرارهم وشجاعتهم ستة أيام وهم وقوف لدى البلاط الروماني في

(21) Josephus, *Antiq.* XVIII, II, 2.

(22) E. Schürer, *op. cit.*, p. 358. n. 22.

(23) Tacitus, *Annales*, iii, 33ـ34.

قيصرية مقدِّمين حياتهم للموت بدون خوف أو تردُّد، جعل بيلاطس يرفع التماثيل والشعارات من أُورشليم وينصبها في قيصرية مرَّة أخرى[24].

وقد ذكر هذه الحادثة يوسابيوس القيصري نقلاً عن فيلو اليهودي[25]. ولما حاول بيلاطس مد مجرى ماء جديد إلى مدينة أُورشليم من على بُعد 25 ميلاً لتحسين أحوال المدينة، تصدَّى له اليهود لأنه أراد أن يستخدم أموال الهيكل في ذلك، وكان موسم من مواسم الأعياد الكبرى حيث كان يتجمَّع اليهود ويقدِّمون ذبائحهم، وقد تزعَّم المقاومة جماعة من الجليليين لأنهم كانوا أكثر اليهود تعصُّباً وأشدهم استعداداً للثورة، مما جعل بيلاطس يأمر جنوده بأن يعمل فيهم السيوف فذبح منهم خلقاً عظيماً واختلطت دماؤهم بذبائحهم كما يصف الإنجيل (لو 13:1-4)[26]، وكما يصف يوسيفوس[27].

وقد حدث أن قُتل في هذه المذبحة كثيرٌ من أتباع هيرودس أنتيباس رئيس ربع الجليل مما جعل الحقد والضغينة والعداوة تزداد بين بيلاطس وهيرودس، والتي أراد بيلاطس أن يتلافاها في المرَّة الأخرى التي تعرَّض لها عندما قدَّموا إليه المسيح لمحاكمته وصلبه وعلم أنه من الجليل فأرسله إلى هيرودس (لو 23:6-12). [28]

في هذه الأثناء ظهر المسيح، وقد وصفه يوسيفوس هكذا:

[كان رجلاً حكيماً، إن جاز أن ندعوه مجرَّد رجل، لأنه كان يصنع المعجزات، وكان معلِّماً مقبولاً لدى الذين يُسرُّون بالحق. وقد اجتذب

---

(24) Josephus, *Antiq.* XVIII, III, 1.

(25) Philo, *Legatio ad Gaium*, ch. 38.

(26) يُعتقد أن برج سلوام سقط نتيجة لمرور القناة بجواره.

(27) Josephus, *Antiq.* XVIII, III, 2.

(28) Nodius, *De Vita et Gestis Herodium*, ccxlix

إليه كثيراً من اليهود ومن الأمميين. وقد كان ''مسيحاً'' وقد حكم عليه بيلاطس بالصلب بإيعاز من رؤسائنا، لكن الذين أحبوه لم ينسوه لأنه ظهر لهم حيًّا في اليوم الثالث بحسب ما تنبأ الأنبياء القديسون عنه بهذه الأمور وبعشرة آلاف أمور عجيبة أخرى تخصه. وجماعة المسيحيين الذين تسمُّوا باسمه لا يزالون إلى هذا اليوم.] [29]

أمَّا بخصوص حادثة صلب بيلاطس للمسيح فيذكرها المؤرِّخ تاسيتوس الوثني باختصار[30].

وفي هذه الأثناء قامت مشاغبات وأعمال غير شريفة من بعض اليهود القاطنين في روما، مما اضطر طيباريوس قيصر إلى نفي أربعة آلاف يهودي من روما إلى جزيرة سردينيا وشرَّد الباقين خارج البلاد[31].

وقد انتهت أيام حكم بيلاطس البنطي في اليهودية (36م) على أثر شكوى تقدَّم بها السامريون إلى ميثلوس والي سوريا العام ضد بيلاطس، لأنه استخدم ضدهم العنف وذبح الشعب الأعزل بينما كان متجمِّعاً في جبل جرزيم (المقدَّس بالنسبة للسامريين) وهم يبحثون عن تابوت العهد والأواني التي يُقال أن عُزّي رئيس الكهنة خبأها في هذا الجبل بأمر الرب (1أي 6:6).

وقد غادر بيلاطس البنطي اليهودية إلى روما لمقابلة طيباريوس قيصر ليعطي تقريراً عن السبب في هذه الشكوى، وقد أقيل من منصبه وذلك بعد أن حكم اليهودية عشر سنوات[32]. وبينما بيلاطس في طريقه إلى روما مات

(29) Josephus, *Antiq.* XVIII, III, 3.
(30) Tacitus, *Annales*, XV, 44.
(31) Josephus, *Antiq.* XVIII, III, 5.
(32) Josephus, *Antiq.* XVIII, IV, 2.

طيباريوس قيصر سنة 37م في شهر مارس.

وقد تعيَّن بدلاً منه لحكم اليهودية **مارسيللوس** سنة 36م ولم يبقَ في الحكم إلاَّ مدة قصيرة، لأنه في السنة التالية عيَّن الإمبراطور كاليجولا حاكماً آخر عوضاً عنه هو مارولوس[33] الذي صار والياً على اليهودية إلى أن تحوَّل الحكم فيها من ولاية رومانية إلى مملكة تابعة للحكم الروماني، وذلك بتولِّي الملك أغريباس الأول عليها من سنة 41م إلى سنة 44م. ومن بعده عادت اليهودية مرَّة أخرى تحت حكم الولاة الرومان.

4 ـ أغريباس الأول ويُدعى "هيرودس الملك" (41،40،37ـ44م):

أغريباس يخلف فيلبُّس كرئيس ربع على المناطق الشمالية باتانيا وتراخونيتس وأورانتيس (37م)

وتضاف إليه فيما بعد الأراضي التي كان يحكمها هيرودس أنتيباس في الجليل وبيريه ومناطق شرق الأُردن (40م).

هيرودس أغريباس الأول هو ابن أرسطوبولس ابن هيرودس الكبير، وأُمه هي برنيكي بنت سالومة أخت هيرودس الكبير، وقد تزوَّج بكيبرس بنت عمه فزائيل ابن فزائيل أخي هيرودس الكبير.

تربَّى أغريباس في روما تحت رعاية أُمه هناك، إذ أرسله جده هيرودس الكبير إلى هناك وهو ابن ست سنوات، فنشأ صديق الأمراء الذين اعتلوا فيما بعد عرش روما، ومن هنا انفتح أمامه الطريق إلى الحكم بالرغم من ظروفه السيئة.

وقد لعبت أُمه برنيكي دوراً كبيراً في حياته بسبب صداقتها لزوجات

---

(33) Josephus, *Antiq.* XVIII, XVIII, VI, 10.

الأباطرة في روما، وبالأخص أنطونيا أرملة ابن أغسطس قيصر، وأنقذته من الموت عدة مرّات. وقصة أغريباس في ذلك المضمار طويلة وكلها مغامرات[34]. وبموت أُمه وصلت به الحالة في بادئ الأمر إلى الاستدانة وحياة الفقر والتشرُّد، واشتغل في وظيفة حقيرة في بلدة طبرية عند هيرودس أنتيباس عمه، ولكنه اصطدم بهيرودس فترك عمله وكاد ينتحر بسبب كثرة الديون التي عليه. ونزل مع زوجته سرًّا إلى الإسكندرية واستدان من صديقه اسكندر ألابارك أخي فيلو اليهودي الفيلسوف مئتيْ ألف دراخمة، فاستطاع أن يسافر إلى روما[35].

وتودد إلى طيباريوس قيصر الذي ألقاه في السجن بسبب ديونه التي على خزانة الدولة، وقد توسطت أنطونيا أرملة ابن أغسطس قيصر لأنها كانت صديقة لأمه ودفعت له كل ديونه، فعفا عنه طيباريوس قيصر وأطلق سراحه. فتصادق في القصر مع غايس المدعو كاليجولا أحد أحفاد طيباريوس قيصر الذي صار إمبراطوراً فيما بعد[36]. وقد سمعه سائق عربة الامبراطور يتحدَّث مع كاليجولا عن تمنياته بموت طيباريوس حتى يصير كاليجولا إمبراطوراً. فبلَّغ الحديث إلى طيباروس قيصر، فنزل أغريباس ضيفاً على السجن مرَّة أخرى، وظل مسجوناً ستة أشهر حتى مات طيباريوس قيصر (37م). وقُدِّم غايس كاليجولا إمبراطوراً بصفته الابن الوحيد الوريث لعائلة يوليوس قيصر. وفي الحال فك قيود أغريباس وأهداه سلسلة من الذهب بوزن سلسلة الحديد التي كان مقيَّداً بها،

يوليوس قيصر

(34) Rostovtzelf, *Hist. of Ancient World*, ii, 213.

(35) Josephus, *Antiq.* XVIII, VI, 3.

(36) Josephus, *Antiq.* XVIII, VI, 5.

وأعطاه لقب ملك على الأراضي التي كان يحكمها فيلبُّس عمه وليسانيوس أيضاً (لو 1:3)، والتي بلغت إلى أقصى الشمال حتى حدود لبنان[37]. ولكن أغريباس تباطأ مدة سنة كاملة قضاها في روما مستمتعاً بصداقة كاليجولا، وفي ذهابه إلى اليهودية، عرَّج على الإسكندرية، وقد بالغ اليهود المقيمون هناك في الاحتفاء بقدومه واستقباله كملك بعد أن وافاهم سابقاً كشحَّات، مما أثار حفيظة اليونانيين والإسكندرانيين، فقامت اضطرابات خطيرة هناك، وعند وصوله إلى اليهودية لاستلام ملكه هناك اندهش اليهود من الأمر، حتى أن أخته هيروديا زوجة "فيلبُّس وهيرودس أنتيباس" كانت أول مَنْ لعب الحقد والحسد في قلبها، فسعت في الحال لطلب لقب ملك لزوجها أيضاً، إذ لم يكن سوى رئيس ربع، مما أدى كما سبق وشرحنا إلى تجريدهما ونفيهما معاً هي وزوجها هيرودس إلى ليون بفرنسا في أواخر سنة 39 م (انظر صفحة 298) وقد ضمَّ كاليجولا الأراضي التي كان هيرودس يحكمها إلى مُلك أغريباس (40م).

وفي أواخر عام 40م، توجَّه أغريباس الأول إلى روما، ومن هناك ظل يراقب الأحداث في اليهودية، لأن كاليجولا صمَّم أن يقام له مذبح للعبادة باسمه في "يمنيا" على سواحل فلسطين، فامتنع اليهود بطبيعة الحال، مما أثار غضب كاليجولا وأمر أن يقام له تمثال في هيكل أُورشليم، وأصدر أوامره إلى بترونيوس والي سوريا مما أحرج بترونيوس لعلمه باستحالة الأمر إلاَّ إذا رغب أن يكون هناك ثورة ومذبحة. وفعلاً إذ شعر اليهود بالأوامر حذَّروا بترونيوس علانية مما حدا به للكتابة إلى الإمبراطور كاليجولا، وهناك تدخَّل أغريباس إذ كان حاضراً في اللحظة التي وصل فيها مكتوب بترونيوس، ولم يتم مشتهى

---

(37) Josephus, *Antiq.* XVIII, VI, 10, XIX, V, 1.

كاليجولا لأنه في هذه الأثناء اغتيل سنة 41م[38].

هيرودس أغريباس الأول مَلِكٌ على اليهودية أيضاً (41 م):

بعد موت غايس كاليجولا اتجهت أنظار أغريباس نحو كلوديوس باحتمال تنصيبه إمبراطوراً، فتودد إليه وقدَّم له بعض المعونات والمشورات النافعة[39] التي أدَّت فعلاً إلى قبوله إمبراطوراً خلفاً لكاليجولا، ولم يتأخر كلوديوس قيصر من رد الجميل لأغريباس إذ ثبَّته على حدود مملكته التي منحها له كاليجولا، وأضاف إليه إقليم اليهود بأجمعه وإقليم السامرة أيضاً، وكانا فيما قبل تحت حكم الولاة الرومانيين مباشرة. وبهذا تكون حدود مملكة أغريباس قد بلغت في اتساعها إلى نَفْس حدود مملكة هيرودس الكبير بالإضافة إلى أراضي أقصى الشمال[40]. وبرجوع أغريباس إلى اليهودية بدأ في الحال في تحسين العلاقات بينه وبين شعبه بواسطة الفريسيين بصفتهم أصحاب النفوذ الديني الأول والمسئولين عن توجيه سياسة الشعب وعواطفه، فقدَّم للهيكل بصفة هدية اعترافاً بفضل رحمة الله عليه السلسلة الذهبية التي أهداها له كاليجولا عوض سلسلة الحديد التي كان مقيداً بها في السجن، وقد علَّقها فوق الخزانة العامة[41]. وابتدأ يدقِّق في اتباع الناموس والخضوع لكافة متطلباته العملية من تطهيرات وتقديم الذبائح اليومية التي لم يتأخر يوماً واحداً عن تقديمها في الهيكل في الميعاد[42]، حتى أن اليهود كرَّموه واعتـــــبروه ســـــليل المكـــــابيين

---

(38) Josephus, *Antiq.* XVIII, VIII, 8-9, Philo, *Legatio ad Gaium*, ch. 35-48).

(39) Josephus, *Antiq.* XIX, IV, 1-2.

(40) Josephus, *Antiq.* XIX, V, 1.

(41) Josephus, *Antiq.* XIX, VI, 1.

(42) Ibid.

(الحشمونيين) لأن جدَّته هي مريمن المكابية أم أرسطوبولس.

وقد بدأ بتقوية أسوار أُورشليم وتعليتها بدرجة فائقة جداً مما أثار شكوك والي سوريا وجعله يتصل بكلوديوس قيصر سرًّا، والذي أمر في الحال بمنع استمرار أغريباس في تقوية أسوار أورشليم(43). وقد أقام عمائر فخمة في مدينة بيروت وأنشأ فيها مسارح وقاعات وحمَّامات، وزيَّنها وكلَّفها تكاليف باهظة جداً وذلك شغفاً منه بفنون العمارة والتقدُّم(44). وكان ملوك كثيرون من البلاد القريبة والبعيدة يأتون عنده في اليهودية ويقضون معه أياماً برفقته وذلك لشهرته وحكمته واتزانه(45).

ومغالاة منه في استرضاء شعبه، بدأ في اضطهاد المسيحيين الأوائل الذين كانت خدمتهم متركزة في اليهودية نفسها، كما يقرر سفر الأعمال الأصحاح الثاني عشر:

+ «وفي ذلك الوقت مدَّ هيرودس الملك (أغريباس الأول) يديه ليسيئ إلى أناس في الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف، وإذ رأى أن ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً، وكانت أيام الفطير، ولما أمسكه وضعه في السجن مسلِّماً إياه إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه ناوياً أن يقدَّمه بعد الفصح إلى الشعب.» (أع 12: 1-4)

وواضح أن عداوة اليهود للمسيحيين بدأت تزداد بشدة من بعد حادثة كرنيليوس الروماني قائد المائة الذي كان في الكتيبة الإيطالية، التي كانت

---

(43) Josephus, *Antiq.* XIX, VII, 2.

(44) Josephus, *Antiq.* XIX, VII, 5.

(45) Josephus, *Antiq.* XIX, VII, VIII, 1.

ضمن القيادة العامة لوحدات الجيش الروماني المرابطة في قيصرية تحت إمرة أغريباس الملك. أمَّا ق. بطرس فدخل في بيت كرنيليوس في قيصرية وعمَّده هو وكل بيته، مما أثار حفيظة ليس اليهود فقط بل واليهود المتنصرين أيضاً: «ولما صعد بطرس إلى أُورشليم خاصمه الذين من أهل الختان قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم.» (أع 11: 2و3)

وقد حكم هيرودس أغريباس مدَّة قليلة لأنه مات سنة 44م، إذ حكم ثلاث سنين فقط على اليهودية، وقد صكَّ نقوداً باسمه على صنفين، صنف بدون صورة للتداول في أُورشليم، وصنف مصكوك عليه صورته وصورة كلوديوس للتداول في كافة الأنحاء كلها.

وكانت نهاية الملك هيرودس أغريباس الأول، كما يصفها المؤرِّخ يوسيفوس، طبق الأصل لما جاء في وصف سفر الأعمال (12: 21-23).

يقول يوسيفوس:

[إنه في نهاية ثلاث سنين من حكمه على اليهودية أقام أغريباس حفلاً عظيماً في قيصرية تكريماً لكلوديوس قيصر، وقد حضر إليه جمعٌ غفيرٌ من علية القوم من كافة البلاد والأنحاء. وفي اليوم الثاني من العيد لبس أغريباس حلته الملوكية التي من الفضة الخالصة والمرصَّعة بكافة الزينات الرائعة. وأتى في الصباح والشمس تسطع على الحلة وتعكس أضواءها على الجو، فأصاب الناس شيءٌ من الإعجاب مع الخوف والهلع، وهتفوا له: ''هذا إله'' واستعطفوه باحتسابه أنه يفوق طبيعة الناس المائتة! ولكن الملك لم يُبدِ أي اعتراض أو ندم على هذه الكلمات التي تحمل معنى التملُّق والكفر. وفي الحال أحسَّ بألم شديد في إمعائه، والتفت إلى أصحابه قائلاً: «أنتم تقولون إني إله وإني لا أموت، وها أنا الآن

أموت مغضوباً عليَّ من العناية الإلهية بسبب كلمات الكذب والنفاق التي وصفتموني بها، ولكن عليَّ أن أتحمَّل كل ما يضعه عليَّ الله بحسب ما يرضيه، لأني لم أشقَ في حياتي بل عشت في البذخ والترف» واشتد عليه الألم وحملوه إلى قصره وشاع بين الشعب أنه سيموت بعد قليل، فلبس الشعب رجالاً ونساء وأطفالاً المسوح وجلسوا على التراب يبكون ويتوسلون حسب الشريعة حتى ينجِّيه الله ويشفيه، وكان يُسمع البكاء والنحيب في كل مكان، ولكنه بعد خمسة أيام مات.][46]

وقد عاش هيرودس أغريباس 54 سنة، ومات سنة 44 م بعد أن حكم على البلاد سبع سنين، أربع سنين تحت حكم غايس كاليجولا، وثلاث سنين تحت حكم كلوديوس قيصر.

وكان دخله السنوي من كافة البلاد ما يساوي اثنين وأربعين ألف وخمسمائة جنيه استرليني، ويقدَّر بثلاثة أرباع الدخل السنوي لهيرودس الكبير جدِّه، علماً بأنه كان أكثر ترفقاً في الضرائب من هيرودس الكبير، بل وأكثر عطفاً وإصلاحاً[47].

وقد ترك ابناً واحداً دعاه أغريباس أيضاً وبنتين، الأُولى برنيكي التي وُلدت سنة 28م والمذكورة في (أع 12:25)، ودروسلا المولودة سنة 38م وهي الزوجة الثالثة للوالي فيلكس المذكور في (أع 24:24)[48].

(46) Josephus, *Antiq.* XIX, VIII, 2.

(47) Ibid.

(48) F. O. Busch, *The Five Herods.*

5 ـ أغريباس الثاني (48–93م) على المناطق الشمالية:

لما مات أغريباس الأول (سنة 44 م) كان ابنه الوحيد أغريباس الثاني ما يزال حدثاً ابن سبع عشرة سنة فقط. وكان في روما يتعلَّم تحت رعاية الإمبراطور كلوديوس قيصر(49) الذي أراد تعيينه ملكاً على اليهود عوض أبيه، ولكن حسب مشورة الحكماء عيَّن والياً رومانياً مؤقتاً وبقي أغريباس الثاني في روما حتى سنة 48م، وحينئذ أرسلوه ليتولَّى الحكم على ولاية "خالقي" التي هي لبنان، وكانت تحت حكم هيرودس المدعو "خالقي" أحد أبناء أرسطوبولس أي عم أغريباس الثاني، وكانت ولاية غير مرموقة! ... وأخيراً في سنة 50م عيَّنوه حاكماً على رئاسة ربع فيلبُّس وهي المناطق الشمالية وأضافوا إليه بتانيا وتراخونيتس وأبيليّه التي كانت ضمن رئاسة ربع ليسانيوس(50). هذا في أيام الإمبراطور كلوديوس، ولكن في أيام حكم الإمبراطور نيرون أضافوا إليه أجزاء أخرى من الجليل وبيريه وأربع عشرة قرية أخرى(51).

وزيادة في التقرُّب إلى مراضاة اليهود أعطوا لأغريباس الثاني السلطة لعزل وتعيين رئيس الكهنة وحرَّاس الهيكل، والإشراف على خزانة الهيكل، وضمناً الإشراف الكلي على الخدمة داخل الهيكل. وكانت الملابس الكهنوتية قد وقعت منذ مدة طويلة تحت يد الحامية الرومانية لما استولوا على قلعة أنطونيا ووجدوها مخبأة فيها، وظلت بعد ذلك تحت يد الحكَّام الرومانيين يسلمونها لرئيس الكهنة في كل مناسبة ثم يستردونها بكشف بعد الخدمة. وكان

---

(49) Josephus, *Antiq.* XIX, IX, 2.

(50) Josephus, *Antiq.* XX, VII, 1.

(51) Josephus, *Antiq.* XX, VIII, 4, *Bell. Jud.* II, XIII, 2.

فيتليوس حاكم سوريا قد سلَّمها للهيكل سنة 36م. وفي زمان أغريباس الثاني حكم كلوديوس قيصر أن تُسلَّم لليهود مرَّة واحدة بلاكشوف لتكون تحت إشرافهم الدائم[52]، وذلك حينما أراد الوالي الروماني كاسبيوس فادوس في أيام أغريباس الثاني الاستيلاء عليها من جديد. ولكن تولِّي أغريباس الثاني هذه السلطة والإشراف على هذه الأمور أنشأ مجالات مستمرة للاحتكاكات، وذلك بسبب عدم دراية أغريباس بدقائق الناموس التي لم يكن يدركها إلاَّ الفريسيون المتفرغون للنقد وإثارة أحقاد الشعب على أتفه حركة تبدو لهم غير منسجمة مع تقاليدهم، مما تسبب في ازدياد روح التحفز والحقد والتذمر المستمر بين اليهود والحكام الرومانيين والأمميين على وجه العموم.

وبالرغم من إشراف أغريباس على أُورشليم والهيكل إلاَّ أنه لم يكن له اتصال مباشر مع اليهود ورؤساء الفريسيين، لأن عاصمة أغريباس الثاني التي كان مقيماً فيها لم تكن أُورشليم بل **قيصرية فيلبُّس** الواقعة على منابع الأُردن الشمالية، وهي غير قيصرية التي على البحر مركز الجيش الروماني.

ولكن كان لأغريباس الثاني قصرٌ متاخمٌ لسور الهيكل يقيم فيه أثناء وجوده في أُورشليم، وبالأخص أيام الأعياد وخدمة المناسبات الدينية، وقد رفع البناء في القصر حتى أصبح قادراً أن يشرف على الحركة والخدمة داخل الهيكل، مما أثار عجرفة الكهنة الذين تضافروا وبنوا سوراً مرتفعاً داخلياً يفصل الهيكل عن قصر أغريباس، مما أثار حفيظة أغريباس، فاتصل بوالي اليهودية الروماني دوركيوس **فستوس** المذكور في سفر الأعمال (27:24) ليهدمه ويزيله. فلم يرضخ كهنة اليهود بل أوفدوا لجنة منهم للشكاية لدى الإمبراطور

---

(52) Josephus, *Antiq.* XX, I, 2.

نيرون (امبراطور ذلك الزمان الذي كان يقصده ق. بولس حينما قال لفستوس « إلى قيصر أنا رافع دعواي» . وتوسطت بوبيا زوجة نيرون اليهودية الأصل فأمر بترك السور وعدم هدمه. وهكذا ظلت العلاقات متوترة بين أغريباس واليهود[53].

والمعروف عن أغريباس الثاني أنه كان ذا أخلاق منحلة، فقد كانت له علاقة غير شريفة بامرأة عمه هيرودس خالقي التي كانت في نفس الوقت أخته (برنيكي) والتي كان يعيش معها كزوجة، ولكن سفر الأعمال في الأصحاحين (25و26) لم يشأ أبداً أن يذكر أنها كانت زوجة له لعلم الكاتب بأنها كانت علاقة آثمة.

ويذكر سفر الأعمال أن أغريباس وبرنيكي انحدرا من قيصرية فيلبُّس (عاصمة مقاطعته التي كان يترأَّس عليها) إلى قيصرية التي على الساحل مركز إقامة الحاكم الروماني فستوس ليسلما عليه، إذ كان استلم حديثاً رئاسته على اليهودية (أع 24: 27، 13:25)، وكان بولس الرسول في ذلك الوقت مقيَّداً ومسجوناً في قيصرية ومقاماً عليه دعاوي وشكاوي من اليهود.

ويُلاحَظ أن الاعتراض الوحيد الذي قدَّمه فستوس الروماني على ق. بولس أثناء احتجاجه كان لما ذكر المسيح أنه عتيد أن يكون نوراً للأمميين، فاعتبرها فستوس بذكاء ومبادرة أنها تمس الإمبراطور بصفته إلهاً، فاحتجّ**!** (أع 26: 23-24).

عودة اليهودية تحت حكم الولاة الرومان (44-66م):

بعد موت هيرودس أغريباس الأول سنة 44 عادت اليهودية مرَّة أخرى

(53) Josephus, *Antiq.* XX, VIII, 11.

تحت الولاية المباشرة للحكم الروماني. وبقيت هكذا حتى قيام الحرب اليهودية الكبرى (66ـ70م). وقد توالى في هذه الفترة سبعة ولاة:

1 ـ كاسبيوس فادوس (44ـ46م): وهو أول حاكم روماني تعيَّن على اليهودية بعد وفاة هيرودس أغريباس الأول وذلك في سنة 44م. وبعد وصوله مباشرة واجه جماعة اللصوص والمتشردين من اليهود الذين استشروا في البلاد متذرِّعين في أعمالهم التخريبية بدوافع الحقد الديني والتعصبي ضد الرومان والأمميين عامة، مما جعل كاسبيوس ـ رغبة منه في حفظ النظام والأمن ـ أن يضرب بشدة، غير مفرِّق بين الطيب والشرير أو بين الشريف والصعلوك. وبذلك بدت المشكلة لا تُحل من وجهة نظر اليهود ومن وجهة نظر الحكَّام الرومان، فالشغب والإضراب مستمر في أنحاء البلاد، وهو مدفوع بدوافع دينية غير واضحة، ويعتبره اليهود أمراً شرعياً، بينما كان في نفس الوقت يعتبره الحكام الرومان تحدياً للامبراطور وللحكم كله.

وفي نفس الوقت كانت تجتاح البلاد حركة تعصُّب ديني ضد الرومان والأمميين عموماً يغذيها ''الفريسيون'' من ناحيتهم بضيق خلقهم وتفكيرهم من جهة تعارض الناموس والوصايا مع كافة تحركات وسكنات الحكَّام الرومان ومَنْ يتبعهم. ويغذِّيها ''الغيورون'' من ناحيتهم بضيق تفكيرهم من جهة أن اليهودية ديانة لا يمكن أن تعيش إلاَّ في ظل الحرية السياسية، وطالما يوجد مستعمر أُممي في البلاد فالديانة اليهودية تصبح فاقدة لجوهرها وقيمتها. ولذلك كانت من أهم مبادئهم هو المناداة بالحرية السياسية وتطهير الأرض استعداداً للمسيَّا، لأن مجيء المسيَّا وحكمه وملكوته الأرضي يستلزم حتماً حرية سياسية كاملة!!

ومن هنا يتضح خطورة ومأزق أي حاكم روماني مهما كان لطيفاً أو حكيماً أو متزناً، بل واستحالة نجاح أي حاكم روماني تجاه هذه التعصبات

الضيقة المغلَّفة بالدين، والمتحصنة وراء اللاهوت، مع خضوع الشعب لها خضوعاً كاملاً أعمى.

وبوصول الحاكم كاسبيوس فادوس سنة 44م وجد اليهود في مناوشات واحتكاكات مستمرة مع الأُمميين، وخصوصاً في إقليم السامرة وفي مدينة فيلادلفيا شرق الأُردن. وفي نفس الوقت واجه حركة نهب وسلب يتزعمها رئيس للصوص يُسمَّى طولُمي وذلك في أدومية جنوب اليهودية(54).

وقد واجه كاسبيوس فادوس فوق كل هذه الظروف ما هو أشدّها صعوبة، وهو قيام مسيح كاذب يُدعى ''ثوداس'' مع أتباعه. ويوسيفوس يعطي وصفاً مقتضباً للحادث كالآتي:

لما كان ''فادوس'' والياً على اليهودية، قام رجل دجَّال يُدعى ثوداس أقنع جماعة كبيرة من الشعب أن يتأهبوا للنضال ويتبعوه إلى الأُردن، مدّعياً أنه نبي، وسوف يشق لهم الأُردن بكلمة ليعبروا؛ ولكن فادوس لم يمهلهم ليتمِّموا أفكارهم وحماقتهم، فأرسل لهم فرقة من الفرسان ووقعت عليهم فجأة وهم بلا أي سلاح أو معونة وذبحوهم، وأسروا الباقين أحياءً، وقبضوا على ثوداس وقطعوا رقبته وحملوا رأسه إلى أورشليم(55).

ولكن هذه الحوادث عامة كانت تفصح عن مدى قلق الشعب، واضطراب النفوس، وعدم استقرار الأُمة اليهودية كلها بسبب التعاليم الضيقة والإثارات المتوالية التي كان بضع مئات من الرؤساء يبثُّونها في الشعب الساذج الأمي البسيط.

---

(54) Josephus, *Antiq.* XX, I, 1.

(55) Josephus, *Antiq.* XX, V, 1.

2 – طيباريوس اسكندر (46–48م): عندئذ استُدعي كاسبيوس فادوس إلى روما وحلَّ بدلاً منه على اليهودية طيباريوس اسكندر، وهو يهودي اسكندري موالي لروما **وابن اسكندر ألابارك أخي فيلو الفيلسوف اليهودي** الإسكندري المشهور.

وفي أثناء حكم هذا الوالي حدثت المجاعة الكبيرة المشهورة والمذكور عنها في سفر الأعمال:

+ «وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أُورشليم إلى أنطاكية. وقام واحد منهم اسمه أغابوس، وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة، الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر.» (أع 11: 27و28)

وقد قامت أيضاً أثناء حكم طيباريوس اسكندر مشاغبات كثيرة أُخمدت بالعنف، وحوكم وأُعدم فيها ولدا يهوذا الثائر الجليلي زعيم حزب الغيورين هناك(56).

3 – كومانوس (48–52م): وبعد طيباريوس اسكندر حكم اليهودية الوالي الروماني كومانوس سنة 48م، الذي عانى من حدة البغضة والتحفُّز واحتكاك اليهود به، الذي انتهى بثورة مصطنعة قام بها اليهود في أثناء عيد الفصح احتجاجاً على أعمال بعض الجند، مما اضطر الوالي كومانوس إلى استدعاء الجيش من قيصرية لتهديد اليهود الثائرين ضد الحكم، ونزل الجيش في قلعة أنطونيا فخاف اليهود وهربوا وداسوا بعضهم بعضاً عند أبواب المدينة

---

(56) Josephus, *Antiq.* XX, V, 2.

حتى مات منهم عشرون ألفاً حسب رواية يوسيفوس(57). ولم يكن كومانوس متعسِّفاً في سلوكه العام ضد اليهود، فيوسيفوس نفسه يشهد له أنه بمجرَّد أن علم أن أحد الجنود تعدَّى على مشاعر اليهود ومزق أحد الأسفار التي كانت في أيديهم، في الحال قام بمحاكمته وأمر بإعدامه.

وفي أيام كومانوس حدث أن السامريين تعدُّوا على بعض اليهود الجليليين أثناء عبورهم على السامرة في طريقهم إلى أُورشليم، كما حدث للمسيح نفسه أيضاً كما هو مذكور في (لو 9: 52ـ54). وزاد السامريون بأن قتلوا بعضاً من اليهود، فذهب اليهود إلى الوالي الروماني وقدَّموا شكوى رسمية، إلاَّ أن كومانوس كان قد تلقَّى رشوة من السامريين فغض النظر عن شكاية اليهود وحفظها، فما كان من اليهود إلاَّ أن هجموا على السامرة وأحرقوا بعض القرى وقتلوا كثيراً من الأهالي. فتحرَّك كومانوس بجيشه من قيصرية وحاصر اليهود وقتل كثيراً منهم وقبض على الباقين الذين لم يستطيعوا الفرار.

ولكن لم تنتهِ حوادث الشغب والاعتداءات، فاضطر السامريون للذهاب إلى الحاكم العام في سوريا، وكان يُدعى أوميديوس كوادراتس، وقدَّموا شكواهم، واليهود أيضاً أرسلوا مندوبين عنهم ليقدِّموا شكواهم ضد السامريين بصفتهم المعتدين وبصفتهم أيضاً مقدِّمي رشوة. كما قدَّموا شكوى ضد كومانوس كطاغٍ ومرتشٍ. فقدُم حاكم سوريا إلى السامرة وقام بالتحقيق الذي انتهى منه بأن أرسلَ المندوبين من كلا الجانبين السامري واليهودي وكذلك كومانوس نفسه إلى روما للتحقيق أمام محكمة قيصر نفسه. وكان أغريباس الثاني موجوداً في روما فوقف في صف اليهود الذين حُكم لصالحهم

(57) Josephus, *Antiq.* XX, V, 3.

بالبراءة، هذا بالإضافة إلى نفوذ زوجة الإمبراطور أغريبينا وهي يهودية الأصل.

أمَّا السامريون فأُعدموا، وأمَّا كومانوس فأُرسل إلى المنفى[58]، وكان ذلك سنة 52م. ولكن للأسف فإن هذا الإجراء قوّى روح الانتقام والتشفِّي من حكام الرومان المحليين وزاد من روح احتقار الضباط والشعور بالتعالي والثورة.

4 – فيلكس الوالي (52–60م): يخبرنا المؤرِّخ تاسيتوس أن فيلكس كان عبداً معتوقاً، وإنما كان من أخصاء كلوديوس المحبوبين[59]. وبينما يختلف المؤرِّخ تاسيتوس عن يوسيفوس في تقرير أخلاق فيلكس وسلوكه، نجد أن سفر الأعمال يقف شاهداً على صحة أقوال يوسيفوس بلا شك في وصفه فيلكس بأنه كان معتدلاً وكثير التعاطف مع اليهود.

وسفر الأعمال يصف موقف فيلكس من كلا الطرفين، اليهود الشاكين والمسيحيين المشكو في حقهم. فاليهود يقررون على فم ترتُلُّس الخطيب:

+ «إننا حاصلون بواسطتك على سلام جزيل وقد صارت لهذه الأُمة مصالح بتدبيرك، فتقبَّل ذلك أيها العزيز فيلكس بكل شكر في كل زمان وكل مكان.» (أع 2:24)

والمسيحيون يقررون بفم ق. بولس الرسول: «إني إذ قد علمت أنك منذ سنين كثيرة قاضٍ لهذه الأُمة أحتج عمَّا في أمري بأكثر سرور» (أع 10:24). ويُلاحَظ أن سرور ق. بولس كونه يُحاكم لدى فيلكس يعبِّر عن ثقة ق. بولس بفيلكس كقاضٍ عادل متزن. ولا يمكن أن يؤخذ كلام بولس الرسول على محمل الرياء أو المداهنة لحاكم، لأن ق. بولس بعد ذلك لما واتته الفرصة ليتكلَّم مع

---

(58) Josephus, *Antiq.* XX, VI, 1-3, *Bell. Jud.* II, XII, 3-7.

(59) Tacitus, *Hist.*, V, 9.

فيلكس لم يعجز عن وعظه وتوبيخه على سلوكه غير المتعفِّف مع زوجته دورسلاًّ، التي كانت زوجة للملك عزيزوس ملك حمص وهجرته لتتزوج بفيلكس فصارت زوجته الثالثة(60)، وهي يهودية وأخت أغريباس الثاني، لذلك فهي بحكم الناموس زانية، وكذلك فيلكس الذي لما سمع وعظ ق. بولس ارتعب: «ثم بعد أيام جاء فيلكس مع دورسلاًّ امرأته وهي يهودية فاستحضر بولس وسمع منه عن الإيمان بالمسيح، وبينما كان يتكلَّم عن البر والتعفُّف والدينونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيلكس.» (أع 24: 24و25)

وقد تميَّزت فترة حكم فيلكس بكثرة الاضطرابات وذلك بسبب قيام جماعات كثيرة يهودية مشاغبة للسلب والنهب واللصوصية حسب رواية يوسيفوس(61)، وكان معظمهم من الغيورين، وكان محور دعوتهم الدينية وإلهامهم الكاذب هو التحرر من روما بالقوة وبالسلاح. وقد ظل زعيمهم الأكبر أليعازر يقود هذه الحركة السرية ما يقرب من عشرين سنة، وقد تسبب في الإخلال بالأمن وإيقاع الرعب في البلاد كلها(62).

وقد قام بعض هؤلاء الغيورين المدعوين سيكاريين أو سكينيين أي ''حاملي السكاكين''(63) باغتيال رئيس الكهنة يوناثان، واتهموا فيلكس بتدبير المؤامرة(64) بسبب العداوة الكامنة بين الاثنين، ولم يكن لفيلكس يدٌ في ذلك. ولكن يوسيفوس يكشف هذه المؤامرة من جانب الغيورين حاملي السكاكين

(60) Josephus, *Antiq.* XX, VIII, 1-2.
(61) Josephus, *Antiq.* XX, XX, VIII, 5.
(62) *Bell. Jud.* II, XIII, 2,4,5.
(63) *Bell. Jud.* II, XIII, 3.
(64) Josephus, *Antiq.* XX, VIII, 5.

بقصد قلب نظام الحكم الداخلي استعداداً للقيام بثورة مسلَّحة.

وقد تزعم إحدى الحركات الطائشة في أُورشليم يهودي مصري مدَّع للنبوة، كأنه مسيح، وهذا أضل جمعاً غفيراً وأخذهم إلى جبل الزيتون مدَّعياً أنه سيُسقط أسوار أُورشليم بكلمة، ولكن فيلكس تعقبه وشتت شمل جماعته وذبح معظمهم[65] ، وقد ذكر سفر الأعمال هذه الحادثة (أع 38:21).

ومنذ ذلك الوقت والبلاد تجتاحها الثورات المحلية في كل ركن، وقد ساعد على ازدياد هذه الفوضى ضعف الجيش الروماني المرابض في سوريا، والذي لم يكن يزيد عن كتيبتين من اثني عشر ألف جندي مع حامية صغيرة في قيصرية وثلة جند في أُورشليم.

وبدأت المنازعات بين اليهود والأمميين وخصوصاً في قيصرية، وقد حسم فيلكس النزاع بعنف إذ قتل كل الثائرين اليهود مما أدَّى إلى دعوة فيلكس إلى روما وإنهاء حكمه، وحلَّ محله فستوس.

5 ـ فستوس (60–62م): هو بوركيوس فستوس، وقد واجه نفس الصعوبات التي خلَّفها له فيلكس من اضطراب في الأمن إلى انزعاج عام في الشعور الديني إلى حساسية مرهفة ضد أي تصرُّف من جهة الحكم الروماني. كما قام في زمانه مسيح دجَّال كبير، وقد قاد جماعة الغيورين السيكاريين وأحدث حركة شديدة في البلاد ضد الحكم الروماني[66]، ولكن فستوس تصدَّى لها ومزَّق شملها بقوة ونجاح كبير.

ويذكر سفر الأعمال شخصية فستوس بكثير من التزكية وبدمغها بدامغ

---

(65) Josephus, *Antiq.* XX, VIII, 6, *Bell. Jud.* II, XIII, 5.

(66) Josephus, *Antiq.* XX, VIII, 10.

اليقظة والهمة والعدل.

وقد جرت بين أغريباس الثاني وفستوس اتصالات بخصوص مقاومة رئيس الكهنة لأغريباس في موضوع قصره الذي يطل على الهيكل، وإقامة الكهنة لسور داخلي يحجز الهيكل عن القصر الذي أمر فستوس بهدمه بالقوة، ولكن الكهنة لجأوا إلى نيرون الذي حكم ببقاء السور وعدم هدمه. وقد تُوفِّي فستوس في السنة الثانية من تسلُّمه لمهام منصبه.

وفي الفترة بين موت فستوس وبين حضور خليفته (ألبينوس) شكَّل رئيس الكهنة حنَّان بن حنَّان (قاتل المسيح) مجمع السنهدريم لمحاكمة بعض الناس من مخالفي الناموس، ويقصد بذلك المسيحيين، وحكم المجمع بقتلهم رجماً «ومنهم يعقوب أخو يسوع المدعو المسيح» [67]. ويقول يوسيفوس إن اليهود الحكماء والأتقياء استنكروا هذا العمل الوحشي. ولكن يُلاحظ جداً أن عنف جماعة الصدوقيين وعلى رأسهم حنَّان رئيس الكهنة ضد المسيحيين واستصدارهم الحكم بالرجم والقتل في غياب الحاكم الروماني يُعتبر ضد القانون، كل ذلك كان يعتمد على وجود مَنْ يدافع عنهم عند نيرون وهي زوجته بوبيا اليهودية الأصل، والتي انتصرت لليهود ضد أغريباس الثاني أيام الخلاف على السور.

6 ـ ألبينوس (62ـ64م): كل ما كان يهمه وكل ما يعرفه أن يحصل على المال بكل وسيلة حتى ولو ضد القانون، لذلك تقوَّت في أيامه الجماعات التي تستخدم هذه الوسائل[68]، وفي مدة حكمه التي لم تزد عن سنتين إزدادت حالة البلاد اضطراباً وفوضى، وأسرعت إلى حافة مصيرها المحتوم.

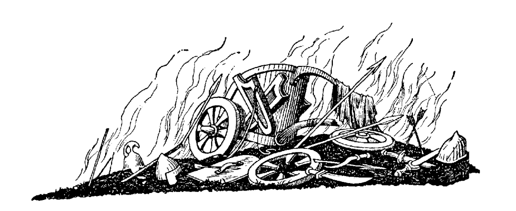
(67) Josephus, *Antiq.* XX, IX, 1.

(68) Josephus, *Antiq.* XX, IX, 5, *Bell. Jud.* II, XIV, 1.

7 – جسيوس فلوروس (64–66م): آخر حكام اليهودية، أرسله نيرون، وقد عيَّنته بوبيا التي كانت صديقة لزوجة فلوروس، وإذ يقارن يوسيفوس بينه وبين ألبينوس وسلوكه الرديء الشنيع، فإنه يفضِّل ألبينوس على فلوروس ويعتبره ممتازاً بالنسبة لسوء أخلاق وسلوك فلوروس، إذ كانت مساوئه علنية(69). وكان مستهتراً بأوامر الإمبراطور اعتماداً على بوبيا، وفي نفس الوقت مستهتراً باليهود اعتماداً على الرشوة أيًّا كان مصدرها، وقد شجَّع الأُمميين السوريين في قيصرية ضد اليهود، فأهاج حقدهم، وقد انحدرت البلاد إلى أسوأ ما يمكن أن تنحدر إليه في أيامه. وإن كان لا يمكن أن يُقال إن فلورس كان السبب المباشر لقيام حرب اليهود العلنية ضد الرومان، فهو على الأقل قد ساعد على سرعة ظهورها:

أولاً: بمناصرة السوريين في قيصرية وإعطائهم كل الحقوق المدنية التي تكفُل لهم السيادة على المدينة وأطاح بنفوذ اليهود خارج المدينة.

ثانياً: مطالبته الهيكل بسبع عشرة وزنة(70) التي وإن كانت مبلغاً زهيداً وفي نطاق حقوقه كحاكم، إلاَّ أن اختياره لزمن المطالبة بها بعد خذلانه ليهود قيصرية أهاج شعور يهود أُورشليم بدرجة لا تطاق. فاندلعت الشرارة الأُولى للحرب اليهودية.



(69) Josephus, *Antiq.* XX, XI, 1, *Bell. Jud.* II, XIV, 2.

(70) الوزنة كانت تساوي حوالي 20 كيلوجرام. أي أن المبلغ حوالي 340 كيلوجرام ذهب.

رابعاً: الحرب اليهودية
(66–70م)

عندما رفض رؤساء اليهود دفع مبلغ 17 وزنة، اعتبرها جسيوس فلوروس تحديًّا لسلطانه وبالتالي للحكومة الرومانية في فلسطين، فانطلق بجيشه من قيصرية صوب أُورشليم، ولكن الشعب سد الطريق في وجهه. فللحال سلك الجنود مسلكاً خشناً وذبحوا كثيرين، مما رفع درجة هياج الشعب إلى الدرجة القصوى. فلما رأى الصدوقيون والفريسيون أن الأمر ينذر بالخطر، حاولوا التدخُّل لتهدئة الشعب، وأخرجوا الكهنة بملابسهم الرسمية من الهيكل محاولة لتهدئة الشعب وإظهار الودّ نحو فلوروس، ففشلوا لأنهم هم أول مَنْ أشعل الفتيل.

وإذ رأى فلوروس أن جيشه لا يستطيع أن يواجه الشعب الذي بدأ الاعتداء بالحجارة والطوب من فوق أسطح المنازل، انسحب إلى قيصرية[1].

وعندما استلم قائد الجيش في سوريا سستيوس جالوس إشارة أن أُورشليم في ثورة، أرسل ضابطاً لاستطلاع الأمر، كما أرسل رسالة إلى أغريباس الثاني الذي كان في الإسكندرية فحضر في الحال. وقد حاول الفريسيون جهدهم تهدئة الموقف، ولكن تغلَّب عليهم الغيورون الذين ملكوا زمام الموقف معتمدين على أنهم بثورتهم واعتدائهم على الرومان سينالون تأييداً من الله، وأن هدفهم لطرد الرومان هو جوهر الإيمان نفسه، فبالضرورة يكون وفق إرادة الله، وبالتالي يكون توطئة لمجيء المسيَّا وإقامة مملكة إسرائيل الإلهية.

---

(1) *Bell. Jud.* II, XV, 6.

وقد زاد من لهب الثورة حماسة الأنبياء الكذبة والمسحاء الكذبة، الذين كانوا يتمسَّكون ببعض أقوال الأنبياء الخاصة بانكسار الأعداء وانهزامهم، لإقناع الشعب واتخاذ موقف العنف والمبادرة.

كما زاد من خطورة وجموح الأعمال التخريبية والانتقامية اندساس جماعة اللصوص والمتشردين والمنتهزين للنهب والسلب.

ولما حاول أغريباس الثاني مع رؤساء الفريسيين إقناع زعماء الغيورين بأنه من العبث الوقوف في وجه روما، كانت الإجابة الوحيدة المتكررة أنهم يعتمدون على القوة الإلهية.

وأخيراً هدَّدوا أغريباس الثاني فاضطر للانسحاب[2] .

وكانت هناك تقدمة باسم قيصر والشعب الروماني يومياً في الهيكل عبارة عن عجل وحَمَلَيْن، وكانت هدية دائمة موقوفة على الهيكل من قيصر، هذه أُوقفت تحدياً لروما ولقيصر[3].

وابتدأت عمليات الغدر الداخلي، فقتل اليهود بعضاً من زعمائهم غير الراغبين في الحرب، فقتلوا رئيس الكهنة وأخاه وغيرهم[4].

وبانتشار خبر الثورة قام السوريون على اليهود في المدن التي لهم فيها أغلبية وذبحوا عدداً كبيراً منهم[5].

---

(2) *Bell. Jud.* II, XVIII, 1.

(3) *Bell. Jud.* II, X, 4; XVII, 2,3; Philo, *Legatio ad Gaium*, ch. 40; Shlatter, *op. cit.*, p. 444.

(4) *Bell. Jud.* II, XVII, 9.

(5) *Bell. Jud.* II, XVIII, 1.

وبمجيء خريف سنة 66م، تجهز القائد سستيوس جالوس بجيش كبير وتقدَّم من جهة أنطاكية، وأخضع كافة البلاد التي اعترضته في الجليل، وأراد أن يهاجم أُورشليم، ولكنه عجز وتقهقر. وانقضَّ عليه اليهود فاضطر إلى انسحاب مهين إذ قُتل من جيشه 5300 جندي و380 فارس، مع أن خسارة اليهود كانت طفيفة حسب رواية يوسيفوس. وكان ذلك في نوفمبر سنة 66م.[6] وقد فسَّر ذلك اليهود الغيورون أنها قوة يهوه قد واتتهم!!

ولكنهم أدركوا أن إزاء الخسارة التي مُني بها الرومان سوف تكون الحرب القادمة ضارية، فابتدأوا يستعدون لها. وقد تعيَّن يوسيفوس المؤرِّخ نفسه مشرفاً حربياً على إقليم الجليل[7] وقد نافسه في ذلك يوحنا الذي من جسشالا. أمَّا الذين في أُورشليم فرمموا أسوارها وعبأوا كافة الشباب[8].

غزو الجليل:

وفي شتاء سنة 66-67م أرسل نيرون القائد الكبير فسبسيان الذي أعاد تقوية الجيش في أنطاكية، وفي الربيع من سنة 67م زحف إلى مدينة بطولمايس (عكا) وانضم إليه ابنه تيطس على رأس جيشه من قيصرية، فبلغ جيش الرومان ستين ألف جندي[9].

وقد أدرك اليهود أنه من العبث ملاقاة جيش الرومان، فتحصَّنوا وكمنوا في كافة المواقع واستعدوا للانقضاض في حرب العصابات معتمدين على القوة الإلهية.

---

(6) *Bell. Jud.* II, XIX, 9.
(7) *Bell. Jud.* II, XX, 4; *Vita*, 30.
(8) *Bell. Jud.* II, XXII, 1.
(9) *Bell. Jud.* III, IV, 2.

ولكن في كافة المواقع لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام هجمات الرومان، وحامية يوسيفوس نفسها سلَّمت بعد حصار قليل، وقُبض على يوسيفوس وقُدِّم إلى فسبسيان. وقد أظهر يوسيفوس كثيراً من الاحترام للقائد وأنبأه أنه سيكون الإمبراطور القادم بعد نيرون، فعامله فسبسيان بلطف واستبقاه عنده كأسير(10).

ثم سقطت حامية طبرية وسلَّمت، وانهزمت حامية ماجدالا، ثم توالت انهزامات اليهود حتى سلَّمت الضفة الغربية للأُردن باستثناء حامية جسشالا التي استبسل فيها القائد يوحنا استبسالاً رائعاً، وكذلك حامية جبل تابور(11). وبعد أن طهَّر فسبسيان الأجزاء القريبة من شرق بحر الجليل عاد وأرسل ابنه تيطس إلى جسشالا وضيَّق عليها الخناق حتى جاء يوم السبت، فطلب يوحنا مهلة حربية إكراماً ليوم السبت، فاستجاب تيطس، ولكن يوحنا ترك الحامية وهرب ليلاً وتحصَّن في أُورشليم(12) فسقطت الحامية.

وحاصر الرومان قلعة جبل تابور وبحيلة استطاعوا أن يقتحموها ويذبحوا كافة اليهود الذين كانوا فيها(13). وقبل انتهاء سنة 67م كانت كل الجليل قد سلَّمت وذهب فسبسيان إلى قيصرية وأمضى الشتاء هناك.

اخضاع اليهودية:

وفي أوائل ربيع سنة 68م تحرَّك فسبسيان ليكمِّل عمله، وكان رأي الضبَّاط الاستشاري أن يهجموا على أُورشليم مباشرة منتفعين بالنزاع الداخلي

---

(10) *Bell. Jud.* III, VIII, 9.

(11) *Bell. Jud.* IV, I, 1.

(12) *Bell. Jud.* IV, II, 4,5.

(13) *Bell. Jud.* IV, I, 8.

القائم بين أحزابها، ولكن رأى فسبسيان أن يترك أُورشليم حتى تضعف، ويلتفت أولاً لليهودية(14).

وكانت وجهته الأُولى نحو جادارا عاصمة إقليم بيريه، فسقطت في الحال في أيدي الرومان بالرغم من بأس المدينة وشدَّة تحصينها، وقد قابل أهلها فسبسيان بسرور وودّ وإعجاب، وكان ذلك في مارس سنة 68م.

وبعد أن أخضع شرق الأُردن ما عدا قلعة ''ماخيروس'' عاد إلى قيصرية بعد أن ترك في بيريه قائده ''بلاسيد'' مع حامية صغيرة. وبعد قليل بدأ فسبسيان الزحف جنوباً، وبمجيء شهر يونيو كان كل إقليم اليهودية الجنوبي قد أُخضع ما عدا بعض الحاميات القوية وأُورشليم.

وقد وصف يوسيفوس سقوط أنتباتريس إذ لم تأخذ أكثر من يومين، وكذلك مدينة تمنا ومدينة يمنيا التي صارت مقراً لليهود الذين لجأوا إلى فسبسيان هرباً من المقاومة. ثم سقطت مدينة عمواس ومن بعدها كل إقليم الأدومية. ثم ارتحل شمالاً فأخضع إقليم السامرة وأريحا وأديدا، اللتين صارتا مقراً للجيش للراحة(15).

وبذلك تطهَّرت البلاد تقريباً واستعدَّ فسبسيان للضربة الأخيرة التي يوجهها نحو أُورشليم، وأثناء راحته في قيصرية وصله خبر موت نيرون، فاضطر أن يكون على حذر. وبذلك أوقف الحرب كلها سنة 68م.

---

(14) *Bell. Jud.* IV, VI, 2.
(15) *Bell. Jud.* IV, IX, 1.

الموقف في أُورشليم[16]:

وكان فسبسيان حكيماً في تقديره لظروف أُورشليم، وتركها لمهاترات اليهود ونزاعهم الداخلي حتى تضعف، واهتمامه بإخضاع اليهودية أولاً.

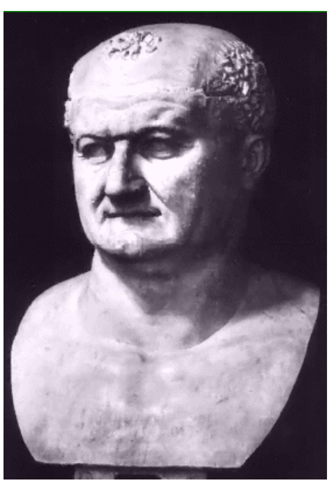
وكان داخل أُورشليم قائد الغيورين يوحنا جسشالا الذي هرب من يد تيطس، ولكن لأن الغيورين على وجه العموم كانوا أقلية، فقد واجهوا معارضة من الأحزاب المعتدلة لوقف القتال، مما اضطر الغيورين إلى الاستعانة بالأدوميين الذين تسلَّلوا إلى أُورشليم ليلاً ووقعوا على الحزب المعتدل بقيادة حنَّان وذبحوهم وقتلوا حنَّان رئيس الكهنة نفسه، وتسلَّلوا في الفجر وهربوا.

ولكن قام ضد يوحنا جسشالا غريم آخر غيوري هو ألعازار يقاوم آراءه وخططه. ولكي ينتقم الحزب المعتدل من الغيورين استدعوا غيوراً آخر اسمه سمعان بارجيورا وهو عدو ليوحنا جسشالا. وهكذا كان داخل أُورشليم ثلاثة أحزاب من الغيورين المتطرفين يناطحون بعضهم بعضاً والعدو محيط بالمدينة: ألعازار متحصِّن داخل الهيكل، ويوحنا جسشالا في المناطق المتاخمة للهيكل، وبارجيورا في المدينة نفسها. وقد تطوَّرت المنازعات بين الأحزاب الثلاثة إلى حرب داخلية، وأخيراً استطاع يوحنا جسشالا أن يستولي على الهيكل وانضم إليه فريق ألعازار[17]، وأخيراً وقع الحزب المعتدل في مأزق إذ وجد أمامه إمَّا أن ينضم للحزب الغيوري الذي تقوَّى، وإما أن يُعرضوا أنفسهم للقتل، فاضطر أن ينضم إلى حزب الغيورين.

(16) Dio Cassius, LXVI, 4.

(17) *Bell. Jud.* V, III, 1.

حصار أُورشليم وسقوطها:



تمثال للإمبراطور فسبسيان

وفي مستهل سنة 69م أرسل فسبسيان ابنه تيطس إلى روما لتهنئة الإمبراطور جلبا، أمّا هو فتقدَّم نحو أُورشليم للحصار الأخير[18]، ولكن كان فكره مشغولاً بالحوادث الجارية في روما، والأمل الذي يلح عليه بأنه سيعتلي عرش الإمبراطورية حتماً.

فبالكاد استطاع أن يثبِّت عساكره حول المدينة لبداية الحصار حتى استدعى إلى القيصرة على عجل بسبب أن كافة القوات الموالية له انتخبته امبراطوراً[19].

وعلى هذا المنوال تكون قد بقيت أُورشليم محاصرة من بعيد بقوات رومانية، وفي نفس الوقت بدون قائد وبدون حرب، مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، وفي كل مرَّة يقترب منها فسبسيان للحصار وإذ بالظروف الجارية تضطره للتوقف والعودة. كل هذا أدخل في روح اليهود أن أُورشليم أعظم من أن يقترب إليها هؤلاء الأُمم الغلف الأنجاس. وأن يد الله هي فوق أُورشليم تحميها وتدافع عنها وتكسر أعداءها[20]. وبهذا استطاع الغيورون أن يقنعوا كافة اليهود بمبادئهم التعصبية الضيقة، وأن يستغلوا الظروف للسيطرة على عقول الشعب لقيادته لحتفه في معارك ضارية لا يمكن أن توصف إلاَّ بالجنون الخارق.

---

(18) Tacitus, *Hist., ii. 1.*

(19) *Bell. Jud.* IV, X, 4; Tacitus, *op. cit.*, ii, 22.

(20) Shlatter, *op. cit.*, 332.

ولم يتخذ تيطس موقفه الحاسم ويقترب من أسوار أُورشليم إلاَّ في ربيع سنة 70م، وقد عانى مخاطر هدَّدته هو وجيشه بالسقوط في أيدي اليهود لولا شجاعته النادرة[21].

ولم تكفّ المنازعات بين أحزاب اليهود، والرومان يتقدَّمون صوب أبواب المدينة، ولكن باتحاد جيش جسشالا مع جيش بارجيورا شكلوا قوة شديدة بدأت الهجوم على الرومان[22]، واستمرت الموقعة خمسة عشر يوماً، انتهت بأن اقتحم الرومان أول الأسوار الثلاثة[23] واندفع الجيش الروماني بأكمله داخل المدينة، وابتدأ الغزو من الداخل. ودخلت المجاعة في صورتها الرهيبة.

وابتدأت معركة هائلة استمرت تسعة أيام تبادلت فيها قوات الرومان مع قوات اليهود السور الثاني ما بين باب يافا وقلعة أنطونيا ثلاث مرَّات. وأخيرا اقتحمه الرومان وهدموه[24]، ووصلت المجاعة حالتها القصوى.

وقد حاول يوسيفوس المرافق لتيطس كأسير ومترجم أن يتوسط لدى شعبه وأمته أن يكفُّوا عن المقاومة ويستحيوا أنفسهم، ولكن عبثاً ضاعت كل جهوده واتهموه بالخيانة، وكادوا يقتلونه بحجر ألقوه عليه من فوق سور الهيكل[25].

---

(21) *Bell. Jud.* V, II, 2.

(22) *Bell. Jud.* V, II, 5, V, VI, 4.

(23) *Bell. Jud.*, V, VII, 2.

السور المحيط بمدينة أُورشليم يطل من الناحية البحرية على سهل بينما يطل في الثلاث نواحي الأخرى على جرف من الصعب عبوره. ولذلك ففي الناحية البحرية بالذات بنى اليهود لحماية المدينة ثلاثة أسوار الواحد وراء الآخر.

(24) *Bell. Jud.* V, VII, 3,4; V, VIII, 1,2.

(25) *Bell. Jud.* V, IX, 3,4.

وبقي السور الثالث والأخير. فأمر تيطس بإقامة أربعة متاريس (وهي التي تنبأ عنها المسيح في لو 43:19) لاقتحامه، وأخيراً استطاع الرومان أن يصعدوا فوق السور الثالث وأن يقتحموا المدينة.

وتقدموا جنوب الهيكل الذي ظلت الذبائح اليومية تقدَّم فيه وكافة الصلوات بتضرعات وصراخ إلى أن كفَّت بسبب المجاعة المريعة وعدم وجود ما يُقدَّم ذبيحة فضلاً عن عدم وجود مَنْ يقدِّمها[26]!!!

واستمرَّت المعركة على أشدها حتى أشعل الرومان النار في الهيكل[27]. فانهارت كل مبانيه وأبوابه وغرفه وأساسه حتى مذبحه. ولكن هذا لم يقنع بارجيورا وجسشالا بالتسليم إذ اعتصما في الجزء الغربي المسمَّى بالمدينة العليا مع جماعة من الغيورين لمتابعة القتال حتى سقطوا قتلى وبعضهم هربوا. ولأن الرومان كانوا قد عانوا الأمرّين خمسة أشهر كاملة من اليهود، فإنهم صبوا نقمتهم على الهيكل وعلى المدينة فأشعلوا النيران في كل شيء فيها، وقتلوا كل مَنْ صادفهم، وخرج تيطس يجر وراءه جيشاً ضخماً من الأسرى والزعماء الغيورين متجهاً شمالاً وقد ألقى نظرته الأخيرة على ما كان يسمَّى أُورشليم! ... إذ لم يبقَ منها سوى ثلاث قلاع مطلّة وسط خراب شامل، وجزء صغير من السور الغربي جعله اليهود مبكى لهم[28]. ويُسجِّل يوسيفوس منظر المدينة كما رآها بنفسه قائلاً إن مَنْ ينظر إليها لا يمكن أن يصدِّق أنها كانت آهلة

(26) انقطعت الذبائح في 17 تموز سنة 70م وصار هذا اليوم يوم حزن وصوم لليهود إلى يومنا هذا. (*Bell. Jud.* VI, II, 1; Schürer, *op. cit.*, I, p. 505n. cf. m Taan 4:6)

(27) *Bell. Jud.* VI, IV, 1-7.

(28) *Bell. Jud.* VII, I, 1.

بالسكان[29].

وحمل تيطس معه إلى روما المائدة الذهب ـ مائدة الوجوه ـ التي كان يُقدَّم عليها خبز الوجوه، مع المنارة الذهبية ذات السبع شُعب، وقد استودعها فسبسيان هيكل السلام. أمّا دَرْج الأسفار المقدَّسة وستر الهيكل القرمزي فاحتفظ بهما فسبسيان في قصره[30].



جزء من قوس بناه تيطس (39ـ81م) تخليداً لذكرى انتصاره على اليهود عام 70م.
لا يزال هذا القوس موجوداً في روما وهو يبيِّن ما سلبه الجنود الرومان من هيكل أُورشليم

وسقوط أُورشليم وخراب الهيكل سنة 70م على يد تيطس هو من جهة التاريخ الشعبي والأثر الديني والاجتماعي لليهود يساوي تماماً سقوط أُورشليم

(29) *Bell. Jud.* VII, I, 1.
(30) *Bell. Jud.* VII, V, 5,7.

وخراب الهيكل على يد نبوخذنصر سنة 586 ق.م. أمَّا عدد مَنْ ذُبح من اليهود ومَنْ سُبي ومَنْ مات جوعاً خلال هذه السنوات الأربع والتي سبق وأنبأ عنها المسيح بقوله: «ويقعون بفم السيف ويُسبون إلى جميع الأُمم وتكون أُورشليم مدوسة من الأُمم» (لو 24:21)، فهو فوق أن يصدِّقه العقل ...



عملة برونزية
سُكَّت عام 70م تذكاراً للانتصار على اليهود،
بينما كانت الحرب لازالت دائرة

خامساً: فلسطين بعد الحرب اليهودية
(70–135م)

ظلَّ يداعب عقول المتعصبين من الغيورين الذين بقوا على قيد الحياة أملٌ أنه ربما يصنع يهوه شيئاً في أحلك الساعات، فاستمروا في المقاومة في أركان متعددة من فلسطين. فقام جماعة من الغيورين في قلعة هيروديون شمال أُورشليم بحركة مقاومة، وكذلك جماعة أخرى من الغيورين تحصَّنوا في قلعة ماخيروس بمقاطعة بيريه شرق الأُردن(1). ولكنهم لم يقووا وسلَّموا ... أمَّا قلعة ماسادا على الطرف الشمالي الغربي للبحر الميت فقد تحصَّن فيها جماعة السيكاريين، وهم أعنف الغيورين تطرفاً وميلاً للحرب، وظلوا يقاومون بشدة هم وعائلاتهم من الداخل. وفي اللحظة الأخيرة التي شعروا فيها أن الرومان قد تغلَّبوا عليهم، قتلوا زوجاتهم وذبحوا أطفالهم وقتلوا أنفسهم، فدخل الرومان ولم يجدوا أحداً منهم حيًّا(2). وبسقوط قلعة ماسادا (أبريل 74م) انتهت حرب اليهود وأوقفت جميع العمليات الحربية داخل فلسطين.

وإزاء هذا العنف والمقاومة العنيدة التي أبداها اليهود في تمرُّدهم على الرومان، ابتدأت تنتبه الحكومة الرومانية إلى ضرورة القضاء على اليهود. فوضعت فلسطين بالذات تحت إشراف وإدارة مجلس السيناتو نفسه، وجُعل الوالي الروماني منفصلاً في مسئولياته عن إقليم سوريا لأول مرَّة.

---

(1) مقاطعة بيريه تشمل الجزء الشرقي من الأُردن من قلعة ماخيروس شمال شرق البحر الميت إلى بللا جنوب بحر طبرية.

(2) *Bell. Jud.* VII, VIII, 1-7; VII, IX, 1,2.

وتعينت حامية كبيرة مستقلة ترابض في أُورشليم بالإضافة إلى الجيش الرئيسي المرابض في قيصرية على الساحل. كما جُعلت حامية فرعية أخرى في مدينة عمواس.

وانتهت الصداقة التقليدية التي كانت تكنّها روما لليهود، وتحوَّلت مشاعر الود والعطف والتكريم التي ظلَّت تربط روما باليهود منذ أيام أن وطأت أقدام بومبي أرض فلسطين حتى أيام تيطس. وانتهى بالضرورة تبعاً لذلك كل تقدير لعبادتهم وكل تسامح وكل حرية تمتعوا بها دون كافة شعوب وديانات الأرض، بل وانقلبت هذه الاحترامات والمجاملات إلى احتقار وازدراء ومقاومة من جانب روما.



عملة فضية سُكَّت في قيصرية عام **70**م تكريماً للإمبراطور فسبسيان

وتبعاً لذلك أمر فسبسيان أن كافة الضرائب التي كان مفروضة على اليهود الذين في كافة أنحاء العالم (الشتات) التي كانت تجمع لحساب الهيكل للصرف على خدماته، تجُمع وتُحوَّل للصرف على هيكل جوبيتر كابيتولينا في روما[3].

وكان وقع هذا عند اليهود فوق التصوُّر وفوق الاحتمال، أن يقدِّموا الضريبة المفروضة لذبائح هيكل يهوه العظيم لذبائح هيكل وثني نجس!

هذا بالإضافة إلى أن كافة الضرائب اليهودية المفروضة عليهم من الدولة الرومانية زادها الإمبراطور دوميتيان وألزم بها كل دخيل على اليهودية أيضاً، حتى ولو كان مواطناً لبلد آخر غير يهودي. أمَّا الرومان الذين تهوَّدوا حتى

(3) Suetonius, *Dom.*, XII, 2; Dio Cas., LXVII, 15.

ولو بتاريخ سابق وقديم فأُلقي القبض عليهم وحُوكِمُوا وعُوقبوا(4). وازداد التضييق على اليهود جداً وحلَّ بهم اضطهاد مقصود في أيام حكم فسبسيان ودوميتيان وتراجان، وبالأخص بسبب ذيوع خبر آمالهم وانتظارهم لملك لهم خاص أي المسيَّا(5).

تصفية الأحزاب اليهودية:

بتصفية مملكة إسرائيل وضياعها كدولة تأثرت بالضرورة الأحزاب التي كانت تتهافت على الحكم والرئاسة والاتصالات الخارجية بروما مثل الصدوقيين المنتمين لحزب رؤساء الكهنة. فبانتهاء الحكم وخراب الهيكل وتوقف العبادة الرئيسية توقفاً مؤبَّداً ذاب حزب الصدوقيين، إذ أصبح لا مجال لوجوده أو نشاطه، ولم يعد يُسمع عنهم حسٌّ ولا خبرٌ.

أمَّا حزب الغيورين وبقية الأحزاب الوطنية المتطرفة التي كانت تعيش على المناداة بمقاومة روما وتترجَّى طرد الأُمم وسحقهم وقيام مملكة عظمى لإسرائيل وتحرر اليهود السياسي، فإزاء هذه الهزيمة القاضية وتخريب الهيكل وقتل الزعماء ونهب كل خيرات البلاد وثرواتها وهدم أُورشليم وحرق الهيكل وسبي كافة الأقوياء من اليهود، ذهبت كل آمالهم أدراج الرياح، وتحطَّمت كل قواهم، وتلاشت نظرياتهم التي كانت تقوم على تفسير النبوات والرؤى والمواعيد بصورة مادية حرفية خاطئة.

وهنا تتم نبوَّة زكريا (13: 2-5) التي يصف فيها كيف أصبح الشعب اليهودي باغضاً لهؤلاء الأنبياء والرائين، الذين أغروا الشعب وأضلوه وانتهوا به إلى

---

(4) Eusebius after Hegesippus, *Hist. Ecc.* iii, 12,19,20,32.

(5) Eusebius after Hegesippus, *Hist. Ecc.* iii, 12,19,20,32.

خراب شامل ساحق ماحق، حتى أصبح اسم النبي أو الرجل الغيور مخوفاً ومرعباً، بل وأصبح كل مَنْ يمت بصلة لهؤلاء الأنبياء والغيورين يحاول أن ينفي احترافه بحرفتهم ويتخلَّص من اسمهم وشكلهم ومبادئهم.

ولم يتبقَّ من كافة الأحزاب اليهودية سوى الفريسيين المعتدلين الذين كانوا دائماً أعداءً للصدوقيين بسبب تطرفهم السياسي واحترافهم للشئون المالية والدنيوية بصورة متهافتة، كما كانوا يقاومونهم باستمرار بسبب عدم أمانتهم للناموس والشريعة وميلهم للثقافات اليونانية حتى صاروا في نظرهم كأنهم غير يهود. كذلك فإن الفريسيين كانوا مبغضين للغيورين أشد البغضة بسبب ادعائهم تمسكهم بالشريعة والناموس، وهم جهلة متعصبون ضيقو التفكير من جهة، ومن جهة أخرى بسبب رؤاهم الكاذبة المضلِّلة بخصوص مجيء المسيَّا وبسبب حبهم للقتال وسفك الدماء وحمل السلاح بدون تعقُّل.

وقد أثبت الفريسيون أنهم الحزب الوحيد ليس فقط الذي يستحق الحياة، بل والوحيد الذي يستطيع الحياة، وذلك بسبب مبادئهم المتوسطة، وحبهم للسلام، وإمكانية تقبُّلهم الطاعة والخضوع للرومان كحكام، والتفاهم معهم على أساس احترام القوانين الرومانية وفهمها بدون حقد أو رياء أو سياسة ملتوية. كما أنهم الحزب الوحيد الذي كان يحمل أفضل ما في الديانة اليهودية وأحقها بالفهم والعمل كما شهد لهم المسيح: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا.» (مت 23: 2و3)

ولذلك اعتبرتهم الحكومة الرومانية حزباً مسالماً يمكن التعاون معه.

والفريسيون لم ينظروا قط للمستقبل بعين طامحة للسيطرة على الأُمم، أو

استرداد الملك لإسرائيل كما كان يفعل الغيورون. ولا كانوا ينظرون إلى الحاضر كأنه فرصة ينبغي انتهازها للربح والتوسُّع والاستعمار والمتاجرة، بل كانت نظرتهم دائماً مربوطة بالماضي كمصدر للإلهام، معتبرين أن شريعة جبل سيناء هي الأساس الوحيد الذي ينبغي التمسُّك به والحياة بمقتضاه بالتأمُّل المستمر في أحكامه والتنفيذ الدقيق حسب شرائعه.

لذلك بدأ حزب الفريسيين يتقوَّى ويسود بعد خراب أُورشليم والهيكل وانهزام كل قوة الغيورين، وأصبح تأثيرهم الديني شاملاً لكل الشعب الذي بدأ يعيش في الواقع بعد أن تحطَّمت كل آماله الكاذبة التي كانت تعتمد على القوة والمناضلة والمقاومة والثورة والحرب. وبدأ الرجاء بالمسيَّا وخلاص إسرائيل ونصرة الله والقيامة من الأموات تأخذ حسب الصبغة الفريسية صورتها الروحية الأكثر تعقُّلاً. على أساس أن الله هو الذي يؤتيها لشعبه إسرائيل وليست بذراع الأقوياء أو بقوس الفرسان، وذلك عندما يشاء الله وليس كما يحدِّد الإنسان. وليس على الشعب إلاَّ انتظار هذه المواعيد برجاء إذا كانوا أُمناءَ في تنفيذ وصايا وشرائع ونواميس الله.

ومن أئمة الفريسيين المعتدلين بعد خراب أُورشليم الذين قاموا وعلَّموا الشعب وبثُّوا الرجاء والإيمان والشجاعة الروحية ''يوحنا بن زكاي''، الذي يقول عنه كتاب المدراش إنه بسبب يأسه من الأحزاب المتصارعة أثناء حصار أُورشليم لفَّ نفسه في كفن وجعل أتباعه يحملونه إلى خارج الأسوار، وذهب للرومان ليتفاوض معهم بنفسه(6).

وقد جمع يوحنا بن زكاي جماعة من تلاميذه واستقر في مدينة يامنه أو يمنيا

(6) *Midrash Ekhah*, 3. i 5.

وكوَّن مركزاً هاماً لدراسة الأسفار والشريعة. وقد صارت هذه المدرسة قوة روحية معترفاً بها في البلاد كلِّها على مستوى السنهدريم قبل خراب أُورشليم.

ثورة باركوكبا والقضاء على بقية آمال اليهود في معونة الله (132ـ135م):

كانت النكبة التي مُني بها الوطنيون المتطلعون لتحرير بلادهم سنة 70م كفيلة أن تجعلهم بلا قوة وبلا حراك؛ بل وبلا أي تفكير أو أمل في القيام بمحاولة من نفس النوع مدة لا تقل عن خمسين سنة. وبالرغم من أن يهود الشتات قد قاموا بنصيبهم الكافي بالثورات والمذابح تنفيساً عن طبيعتهم الثورية، وتعبيراً عن بغضهم الجنسي والديني والإنساني لكافة الأُمم، إلاَّ أن يهود فلسطين ظلوا غير قادرين على التشبه بهم.

ولكن لم يستطع الشعب اليهودي أن يعيش في هذه السكينة إزاء بعض تصرفات أباطرة الرومان، مثل هادريان، الذي أصدر منشوراً عاماً في المسكونة كلها يحرِّم الإخصاء والختان(7) تحريماً قاطعاً، ومَنْ يخالف يُعاقب بالموت. فأصاب هذا المنشور كوامن اليهود مرَّة أخرى ورفع غضبهم إلى درجة الاشتعال، باعتبار أن الختان هو الإجراء الديني الوحيد الذي يجعل اليهودي يهودياً، ولا بديل له على الإطلاق. فاعتبروا أن هذا المنشور يعني إبادة اليهودية نفسها.

هذا بالإضافة إلى محاولة هادريان مسخ يهودية مدينة أُورشليم بأن أسماها ''آيلا كابيتولينا'' وقام بمشروع بناء هيكلٍ كبير فيها لزيوس ولتعمير المدينة المخرَّبة(8).

وقد كان قيام اليهود بثورتهم الجديدة والأخيرة أمراً مفاجئاً ومدهشاً، إذ في

---

(7) E. Schürer, *op. cit.*, I, 536-540.

(8) Dio Cassius., LXIX, 12, 1,2.

لحظات قليلة كانت اليهودية كلها تحمل السلاح بطريقة غير مترقَّبة. لأن نداء الواجب العنصري والديني عند اليهود كان في الواقع شديداً وقوياً وكفيلاً أن يؤدِّي إلى أي ثورة في أي وقت. وكان اعتمادهم دائماً أبداً ليس على كمية السلاح ولا عدد المحاربين، بل على رجاء معونة يهوه وإيماناً بمجيء المسيَّا في لحظة الحرب الحاسمة ليقود ويعطي النصرة.

وفي هذه الثورة بالذات برز عنصر الاعتقاد بمجيء المسيَّا وظهوره في شخص كان يدعى سمعان باركوزيبا أي ابن الكذب، ودُعِي من اليهود المسيَّا رئيس اليهود، فكان سبباً في تحمُّس كافة اليهود بجميع طبقاتهم وأحزابهم. ومما زاد في تضليل الشعب ورفع حماستهم إلى درجة الجنون أن رابِّي عُقيبة أكبر المعلمين الدينيين في اليهودية تولى إعلان وتقديم باركوزيبا للشعب بصفته هو المسيَّا المنتظر رجاء إسرائيل، ودعاه باركوكبا تطبيقاً لنبوَّة بلعام بن بعور «ويبرز كوكب من يعقوب» (عد 17:24). وزاد على ذلك أن أعلنوا بدء ملكوت المسيَّا وصكوا نقوداً عليها: "سمعان رئيس اليهود، لأجل تحرير إسرائيل، لأجل تحرير أُورشليم".

أمَّا حاكم اليهودية وكان يُدعى تينينوس روفوس فقد وجد نفسه في لحظة في موقف حرج، لأن قواته المرابطة في مواقعها كانت أضعف من أن تواجه هذه الثورة العارمة المنتشرة في البلاد كلها. فاستغاث بالإمبراطور هدريان وجاءت النجدة تلو النجدة، ولكن لم يستطع أن يحكم الموقف أو يتصدَّى للثائرين(9)، لأن اليهود طبَّقوا نظام حرب المكابيين، حرب العصابات في الجبال والأماكن المختارة والتحصينات في كل ركن من كل مدينة(10)، بحيث أن كل يهودي كان مجنَّداً

(9) E. Schürer, *op. cit.*, I, 547-557.

(10) Dio Cassius., LXIX, 13, Euseb., *Hist. Eccl.* IV, 6.

للهجوم والدفاع، ومَنْ يتخلَّى كان يُقتل(11).

وقد اضطُرَّ هدريان إلى إرسال أكفأ قواده المشهورين يوليوس ساويرس الذي ظلَّ يطوِّق العصابات المنتشرة عصابة عصابة، ويطهِّر المدن مدينة مدينة. فاستغرقت منه هذه العمليات الحربية الشاقة والخطرة ثلاث سنوات ونصف حتى سلَّم اليهود نهائياً، وذلك في السنة الثامنة عشر لهدريان (134-135م). وقد وقع من كلا الطرفين قتلى وخسائر فادحة فوق الوصف. فقد قُتل أكثر من نصف مليون يهودي، هذا بخلاف من مات بالجوع والوبأ، حتى صارت اليهودية كلها خَرِبَة كبريَّة قاحلة.

أمَّا الجيش الروماني فقد أضناه التعب والخسائر، حتى أن هدريان عندما وقف ليعلن خبر انتصار جيشه أمام السناتو لم يستطع أن يذكر الجملة التقليدية التي كان يبدأ بها الإمبراطور عادة الخبر، وهي "إن الأمور كانت مواتية له ولجيشه" لأن الخسائر كانت فوق العادة(12).

وقام هدريان بمسح أُورشليم وإعادة بنائها باسم أيلا كابيتولينا وأسكن فيها مواطنين من الأُمم، ولم يسمح لأي يهودي أن يعيش في أُورشليم أو حتى يدخل المدينة وإلاَّ كان الموت جزاءه.

---

(11) Dio Cassius., LXIX, 12. انظر مخطوطات وادي قمران: "قانون حرب المسيَّا"

(12) Dio Cassius., LXIX, 14.

الجزء الثاني

المدلول الروحي لتاريخ شعب إسرائيل

أولاً: العهد بين الله وشعبه إسرائيل

الوصايا العشر:

إن دخول بني إسرائيل في الصورة الكاملة ''لشعب الله'' أو ''مملكة الله'' قد أخذ عدة مراحل، ابتدأت بظهور الله لموسى وإرساله لإقناع بني إسرائيل للرحيل إلى أرض كنعان، ثم تدخُّل الله في الضغط على فرعون للسماح بخروج شعب إسرائيل من مصر، ثم نجاة شعب إسرائيل من غضب فرعون وعبور البحر الأحمر، وأخيراً استعلان الله شخصياً على جبل سيناء وتسليمهم العهد الأول الذي صار شعب إسرائيل بمقتضاه شعب الله، والله إلهاً وملكاً لإسرائيل! وذلك تمَّ تحت شروط، إذ سلَّمهم الله بإملائه وصايا عبادية وأخلاقية معينة، هي الوصايا العشر، قدَّمها الله بنفسه لشعب إسرائيل لتكون القواعد الأساسية التي تضمن قيام كل من الطرفين بحقوقه وواجباته، وحُسبت كبنود للعهد، وهي كما جاءت في سفر الخروج:

+ «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ممَّا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهنَّ. لأني أنا الرب إلهك إله غيورٌ أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيَّ. وأصنع إحساناً إلى أُلوف من محبيَّ وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهِكَ باطلاً، لأن الرب لا يُبرّيءُ مَنْ نطق باسمه

باطلاً. اذكر يوم السبت لتقدِّسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأمَّا اليوم السابع ففيه سَبْتٌ للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك. لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدَّسه. أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.» (خر 20: 3ـ17)

القصد الإلهي من إعطاء الوصايا العشر لشعب إسرائيل:

والوصايا العشر المعتبرة أساساً لقيام مملكة إسرائيل هي في الواقع ميثاق أو عهد أخلاقي روحي، منه نستطيع أن نقرِّر أن الله شاء أن يقيم لنفسه من بني إسرائيل مملكة روحية صرفاً تختلف جوهرياً عن كافة الممالك الأخرى التي قامت في العالم على أساس مادي وزماني. والقصد الأساسي من قيام هذه المملكة الروحية هو التمهيد لاستعلان الله الواحد للبشرية كلها من خلال شعب إسرائيل المزمع أن ينشره الله على الأرض في وسط كل ممالكها.

لذلك نجد أن أول اهتمام الله بالنسبة لمملكة إسرائيل كان توحيد الأسباط بقوة العبادة والوصايا المشتركة. أي أن أول مفهوم لمملكة إسرائيل الروحية، الذي هو مزمع أن يكون نفسه هو مفهوم الكنيسة والملكوت السمائي، هو أنه شعب واحد متحد لإله واحد معبود!

ولكي يحفظ الله هذا الشعب باشر إعلان قوته بمعجزات بالغة وشديدة، وذلك في كل مراحل خروج بني إسرائيل من مصر، وفي طرد كافة الذين اعترضوهم من أمامهم، حتى تمَّ استقرارهم في بلاد فلسطين. وذلك كله كان بقصد أساسي هو ضمان قيام كيان قوي متحد لمملكة إسرائيل من الخارج إعداداً وتمهيداً لقيام كيان قوى ثابت لوحدة روحية داخلية لمملكة روحية على الأرض.

فالله اضطلع بقوته الفائقة للمحافظة على سلامة إسرائيل من الخارج، وذلك بأن أخذ على عاتقه قيادة الشعب في كافة حروبه، ضامناً لهم النصرة دائماً بأقل جهد وأقل عدد، مترجياً استغلال الشعب لهذه التأمينات الخارجية حتى يضطلع الشعب من الداخل بعبادة روحية صرف تربطه وتوحِّده فيه.

أي أن كل مظاهر القوة التي استخدمها الله في قيام وتأمين مملكة إسرائيل من الخارج كانت بقصد كفالة قيام وتأمين عبادة روحية من الداخل يمكن أن يُستعلن الله من خلالها لإسرائيل ثم للعالم أجمع. لذلك كان بين استخدام الله للقوة لنصرة مملكة إسرائيل ـ خصوصاً في مواقفها الحرجة ـ وبين الحياة الروحية الداخلية للشعب علاقة شديدة واضحة بصفة دائمة.

فبقدر ما كان الشعب يتمسَّك بالله وينفذ وصاياه ويمارس واجبات العبادة المفروضة عليه، كان يضطلع الله ـ من جهته ـ بكافة مستلزمات المحافظة على مملكة إسرائيل من الخارج بصورة مدهشة، معلناً رضاه عن شعبه بحلوله في وسطهم بمجد عظيم. الأمر الذي جعل شعب إسرائيل يفتخر فعلاً بالله وبقوته. والعكس أيضاً صحيح، لأنه عندما كان يجنح

الشعب إلى الاعتزاز بقوة ذراعهم أو يتجاهلون الله بانصبابهم وراء شهواتهم الأرضية أو عبادة آلهة غريبة، كان يعاقبهم بشدة وبلا رحمة ويترك أعداءهم يهاجمونهم ويضايقونهم ويسبونهم:

+ «أنتم الفرحون بالباطل القائلون أليس بقوتنا اتخذنا لأنفسنا قروناً، لأني هأنذا أقيم عليكم يا بيت إسرائيل، يقول الرب إله الجنود، أمةً فيضايقونكم من مدخل حماة إلى وادي العربة.» (عا 13:6)

+ «قد كره إسرائيل الصلاح فيتبعه العدو.» (هو 3:8)

فكان عندما يستهوي الشعب أو الملوك مظاهر القوة الشخصية فيلجأون إلى استخدامها لتأمين أنفسهم كأي مملكة أخرى، كان الله يتخلى عنهم ليواجهوا انكسارات شديدةً غير معقولة[1]. ومن هنا يتضح أن الله جعل القوة التي سند بها إسرائيل حتى وبمظاهرها العنيفة ذات مدلول روحي عميق، وارتباط نجاح إسرائيل ونصرته على الدوام لا بالعدد كما ظنَّ داود مرَّة[2] وعوقب على ذلك بشدة، ولا بالكمية كما ظن يشوع قبل ذلك[3]، ولكن برضاء الله الذي كان يتوقف على حالتهم الروحية.

إذن، بنظرة واحدة ندرك أن مملكة إسرائيل قامت بإرادة الله ومعونته الشخصية:

+ «اللهم بآذاننا قد سمعنا. آباؤنا أخبرونا بعملٍ عملتَه في أيامهم في أيام القدم. أنت بيدك استأصلتَ الأُمم وغرستهم. حطَّمت شعوباً ومددتهم.

---

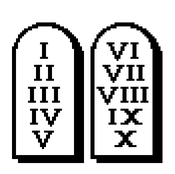
(1) استثناء: كان الله ينقذ الشعب عندما يبلغ خطر الفناء.

(2) سفر صموئيل الثاني الأصحاح الرابع والعشرين.

(3) سفر يشوع الأصحاح السابع.

لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلَّصهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك، لأنك رضيت عنهم.» (مز 44: 1-3)

فكان الله ملكهم بالحق في الخارج والداخل، الله كان يتقدَّمهم في الحروب بقوة، فينصرهم، ثم يحل في وسطهم بمجده فيقدِّسهم، ولكن لم يدرك الشعب أن الله كان ينصرهم وكان يقدِّسهم لنفسه ليكونوا سبب بركة لكافة شعوب الأرض، وليس سبب نزاع وخصام ونقمة.



ثانياً: "الله" كما ظهر لإسرائيل في العهد القديم

الله القدير:

العهد القديم كله يُبرز الله قادراً على كل شيء، قدرة لا نهائية ممتدة على طول المدى والزمن، لا يحدّها فكر الإنسان ولا تضبطها أو تقيسها أية قوة أخرى. فالله يأخذ صفة القادر أخذاً مطلقاً لتصير له هذه الصفة اسماً، فهو ''القدير'' «وقال له أنا الله القدير» (تك 1:17). ولكن العهد القديم يوضِّح في نفس الوقت كيف يمكن التنبُّؤ دائماً بما سيعمله الله، فقدرة الله بالرغم من أنها فائقة فهي معقولة ومنطقية، لا تتعارض أبداً مع أمانته أو تخالف محبته أو تتجاوز رحمته!

+ «الرب بطيء الغضب وعظيم القدرة ولكنه لا يبرِّئ البتة ... صالح هو الرب، حصن في يوم الضيق، وهو يعرف المتوكلين عليه. ولكن بطوفان عابر يصنع هلاكاً تاماً (لموضعها) وأعداؤه يتبعهم ظلامٌ.» (نا 1: 3و7و8)

فأعمال الله كلها فائقة على كل ما يتصوره الإنسان، ولكن بالرغم من ذلك يستطيع الإنسان أن يثق فيها ولا يخاف منها، بل ويمكن أن يعتمد عليها وينتظرها ويتعامل معها، فيتحقق من صدقها ودقتها، فتبدو مبدعة قدر ما هي مخيفة:

+ «الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجِدَ شديداً.» (مز 1:46)
+ «اذبح لله حمداً وأوفِ العلي نذورك. وادعني في يوم الضيق أنقذك

فتمجِّدني.» (مز 50: 14و15)

الله كقانون ثابت ومؤتمن:

كما أن الله لا يتغيَّر قط في كل ما يقول وفي كل ما يعمل وفي كل تصرفاته يبقى دائماً هو كما هو، فيستحيل أن يصبح عنده الشر خيراً أو الخير شرًّا:

+ «هي تبيد وأنت تبقى. وكلها كثوب تبلى كرداء تغيِّرهن فتتغيَّر. وأنت هو وسِنُوكَ لن تنتهي.» (مز 102: 26و27)

لـذلك فهـو ضـابط لقـانون النتـائج الـذي لا يمكـن أن يفلـت منـه إنسـان أو شعب أو دولة، فالذي يزرع الشر يحصد شرًّا، والذي يزرع الريح يحصد الزوبعة:

+ «إنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة.» (هو 8:7)
+ «حرثتم النفاق، حصدتم الإثم، أكلتم ثمر الكذب.» (هو 10:13)

على هذه الأسس كان يتنبأ الأنبياء ولا يخطئون قط، لأن الله في نظرهم قبل كل شيء ''قانون'' «ليس فيه ظل دوران» يستطيعون أن يقيسوا عليه الحوادث والنتائج، يتتبعونها ويفسرونها ويعلِّلونها دون أن تسقط كلمة واحدة:

+ «فأجـابني الـرب وقـال: اكتـب الرؤيـا وانقشـها علـى الألـواح لكـي يـركض قارئها، لأن الرؤيا بعدُ إلى الميعاد وفي النهاية تتكلَّم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخَّر.» (حب 2: 2و3)

وقد أثبتوا بنبواتهم التي تمَّت في حينها وتمَّت بكل حذافيرها أن الله قد استُعلن فعلاً كقانون ثابت أمين لا يخلّ ولا يحيد، وهذا ما عبَّر عنه المسيح: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون!!» (يو 14:29) فتحقَّق الإنسان من ذلك أنه استؤمن فعلاً على سر الله وصار عالماً بالله دارياً بكل أحكامه كاشفاً صفاته وأعماقه، قادراً أن يتنبأ عن أعماله بيقين وذلك

نتيجة لثبوت حقيقة معاملات الله وصفاته كقانون:

+ «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلاَّ وهو يعلن سرَّه لعبيده الأنبياء.»(عا 3:7)
+ «فإنه هوذا الذي صنع الجبال وخلق الريح وأخبر الإنسان ما هو فكره.»(عا 4:13)

الله يسخِّر قوانين الطبيعة لتهذيب الإنسان:

لقد استُعلن الله كخالق الكون بكافة مخلوقاته الذي يضبط كل قوانينه، يتحكَّم في الحر والبرد والرياح والمطر والزلازل والبراكين، ولكن ليس بقانون تحكمي مطلق منفرد. فالإنسان يدخل مشاركاً مع الله في مسئولية تطبيق هذه القوانين في العالم وعلى كل المخلوقات التي فيه، فإن شر الإنسان يجعل الأرض الخضراء المثمرة قفراً، وصلاح الإنسان ومخافته لله يحوِّلان القفار إلى جنة:

+ «يجعل الأنهار قفاراً، ومجاري المياه مَعْطَشة، والأرض المثمرة سبخة، من شر الساكنين فيها. يجعل القفر غدير مياه، وأرضاً يابسة ينابيع مياه ... ويعلي المسكين من الذل ويجعل القبائل مثل قطعان الغنم، يرى ذلك المستقيمون فيفرحون، وكل إثم يسد فاه. مَنْ كان حكيماً يحفظ هذا ويتعقَّل مراحم الرب.» (مز 107: 33-35، 41-43)

وطاعة الإنسان وخضوعه لوصايا الله تسخِّر له قوى الطبيعة لنضج الثمار وتكاثر الحيوان وتوفر المحصولات كأفضل ما يكون، دون أن يمسها مرض أو وباء أو الحشرات المفسدة:

+ «وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه، مباركاً تكون في المدينة ومباركاً تكون في الحقل، ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك ... مباركة تكون سلَّتك

ومعجنك، مباركاً تكون في دخولك ومباركاً تكون في خروجك ...» (تث 28: 1-14)

ولكن العقوبة مُشهَرَة في وجه الإنسان، إن هو حاد عن الطاعة لله، فالطبيعة تنقلب كلها عدوَّة له: يزرع ولا يحصد، وتقف الوحوش والحشرات والأمراض له بالمرصاد:

+ «ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم، تأتي عليك هذه اللعنات وتدركك. ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل ... يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك، إذ تركتني...» (تث 28: 15-68)

وقد استخلص الأنبياء بصورة قاطعة أن القانون الطبيعي مرتبط بالقانون الأخلاقي في حكم الله عامة، وفي مملكة إسرائيل بنوع خاص، ولا يقف أحدهما بمعزل كلي عن الآخر، والله يضبط العالم بمعيار مادي وروحي فائق يتناسب مع صلاح الله الشخصي، وفي نفس الوقت يتوافق مع تأديب الإنسان ونموه. وكان هذا التهذيب والتأديب الإلهي بواسطة تطبيق نواميس الطبيعة المادية على حياة الإنسان بمثابة الدرس الأول الذي تلقَّاه الإنسان الطفل الممثَّل في شعب إسرائيل، تمهيداً لتطبيق نواميس الروح على الإنسان الناضج الممثَّل للروحانية، مما يتمشَّى مع التطور المطلوب للإنسان من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح!!!

الله يصنع التاريخ:

الله يتحكَّم في علائق الشعوب ومصائرها دون أن يتأثَّر بشرِّها أو ينزل إلى

مستوى عراكها. فالأُمم تظن أنها حرة، وبقوتها تصنع نجاحاتها وتاريخها. ولكن الحقيقة هي أن الله جعل الأُمم عصا تأديب بعضها لبعض، وهو يستخدم حركتها ليظهر بها تأديبات مشيئته ويتمِّم بها مراحم عمله دون أن يكون مسئولاً عن شر أشرارها وقبائحهم:

+ «أشور قضيب غضبي والعصا في يدهم هي سخطي، على أُمة منافقة أرسله وعلى شعب سخطي (إسرائيل المغضوب عليها) أوصيه ليغتنم غنيمة وينهب نهباً ويجعلهم (بني إسرائيل) مدوسين كطين الأزقة!! فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأُورشليم، إني أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه، لأنه قال بقدرة يدي صنعت، وبحكمتي، لأني فهيم. ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم وحططت الملوك كبطل ـ (ولكن) هل تفتخر الفأس على القاطع بها؟ أو يتكبَّر المنشار على مردِّده؟ كأن القضيب يحرِّك رافعه؟» (إش 10: 5ـ13)

فبقدر ما تخضع الشعوب لله تستفيد من مراحم مشيئته، فإن هي اعتزت بنفسها انكسرت وانقلب عزُّها ومجدها إلى تمزُّق وهوان!

حتى تحركات الشعوب وهجرة الأجناس يضبطها الله لتسير وفق مقاصده العليا، فليست إسرائيل وحدها هي التي أخرجها الله من مصر، فهو أخرج الفلسطينيين أيضاً من مواطنهم الأُولى والسوريين من ”قير“:

+ «ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل، يقول الرب، ألم أُصعد إسرائيل من مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير.» (عا 9:7)

الله يحكم على الشعوب وحكمه مطلق، ولكنه يصدره مضبوطاً بمبادئ ثابتة وعلى قياس يمكن إدراكه على طول المدى. الله أطلق الحرية الكاملة

للملوك ورؤساء الشعوب ليتصرَّفوا كما يشاءون، ولكنه يحاكمهم على كل ما يقترفونه من ظلم أو شر، ثم يحوِّل ظلمهم إلى تأديب وشرهم إلى تهذيب. ولقد يبدو أن كل أُمة حرَّة في ذاتها تتحرك لتصنع تاريخها الخاص، ولكن الحقيقة أنه لا تستطيع أُمة أن تتحرك دون أن يكون تحركها ذا تأثير على غيرها وعلى حركة التاريخ كله، والله يوجِّه جميع تحركات الأُمم نحو غاية يتجه لها التاريخ صاغراً وبإحكام.

قد يبدو أن بعض الدول الكبرى تتسلَّط على مصائر الدول الصغرى، وكأنما أطماع البشرية تحرِّك التاريخ العام وتصنعه. ولكن الحقيقة أن تاريخ العالم لا يمكن أن يتحكَّم فيه إنسان أو شعب، فالتاريخ ينبثق من إرادة الله من مصدر واحد ويتجه نحو غاية واحدة. وهو وإن كان في مسيره يتأثَّر بكافة التحركات الطيبة والشريرة، إلاَّ أنه على المدى الطويل تظهر فيه إرادة الله كيد جبَّارة تستخدم الطيب والشرير من الحوادث والأشخاص والحكومات لتصنع من الجميع مصيراً موحَّداً لشعوب الأرض طرًّا، ينسجم مع إرادة الله وينطق في النهاية بأن الله، والله وحده، هو صانع التاريخ، لأنه هو صانع الإنسان!!

+ «أنا نبوخذنصَّر، رفعت عينيَّ إلى السماء فرجع إليَّ عقلي، وباركت العلي وسبَّحت وحمدت الحي إلى الأبد، الذي سلطانه سلطان أبدي وملكوته إلى دور فدور. وحسبت جميع سكان الأرض كلا شيء، وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض. ولا يوجد مَنْ يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل؟» (دا 4: 34و35)

الله بداية ونهاية كل شيء ــ ولكن البداية زمنية والنهاية روحية:

بما أن الله هو الخالق للكون وكل الخليقة، فبداية كل شيء كائنة به، كذلك بالضرورة صارت نهاية كل شيء هي أيضاً كائنة ومنتهية إليه!! «أنا

الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر» (رؤ 22:13). لذلك كما كان لكل شيء بداية، كذلك حتماً سيكون لكل شيء نهاية، وقد أعلن الله أنه هو البداية والنهاية معاً. لذلك فكما أن الخليقة والكون وكافة المصنوعات أظهرت لنا الله وأعلنت لاهوته، كذلك فإن الآخرة ستكمِّل لنا إعلان الله وتظهره:

+ «أمَّا أنا فقد علمت أن وليِّ حيٌّ، والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدي هذا، وبدون جسدي أرى الله.» (أي 19: 25و26)

نهاية الأمور والحوادث لها مظهران: مظهر زماني يتعلَّق بالحاضر الزمني والمستقبل الزمني، ومظهر غير زماني يتعلَّق بنهاية العالم. وفي المظهر الزماني يتحكم الله ويعلن سيادته عن طريق تحكُّمه على قوانين الطبيعة، لذلك صار من السهل على الإنسان إدراك نهاية كافة الأمور والحوادث، لأن كل ما يتحكَّم فيه الله عن طريق سيادته على الطبيعة يتبع حتماً منطق الحق والمعقول، فيدخل ضمن مقدور فهم الإنسان وتقديره:

+ «قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة، عَبَر فإذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد!!» (مز 37:35)

أمَّا المظهر غير الزماني للحوادث والأمور والأشياء التي في العالم فهي تتبع قانون الأخرويات التي تتعلَّق مباشرة باستعلان الله نفسه كنهاية لكل شيء، لذلك فهي فوق المنطق المعقول بل وفوق الحق المتفق عليه، ولا يستطيع الإنسان أن يدركها إدراكاً معقولاً بأي حال من الأحوال، إنما يستطيع فقط أن يحسَّها كرؤيا مبهمة «أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريباً» (عد 24:17). وغالباً ما تكون الرؤيا غير معقولة أبداً وغير مصدّقة إطلاقاً على أساس قياس المنطق ومجريات الأمور الحاضرة. فمثلاً يقول عاموس النبي:

+ «ويل للذين يشتهون يوم الرب. لماذا لكم يوم الرب؟ هو ظلام لا

نور.» (عا 5:18)

هنا يوضِّح النبي الالتباس الحاصل في المفهوم الشعبي لحقيقة يوم الرب، أي ملكوت الله، فقد ترجوه كنهاية على مستوى زماني كما يترجون نهاية بقية الحوادث والأمور، فخلطوا بين طبيعة الأشياء المادية وطبيعة الله نفسه، لذلك انتظروا استعلان ملكوت الله على مستوى مملكة زمانية سياسية وطنية، بل وعنصرية أيضاً تشبع أطماعهم. في حين أن استعلان ملكوت الله سيكون على أساس روحي صرف وأخلاقي مبكِّت وفاضح، لذلك شبَّهه نفس النبي هكذا: « كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد فصادفه الدب، أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته الحية، أليس يوم الرب ظلاماً لا نوراً، وقتاماً ولا نور له؟ »(عا 5: 19و20)، حيث الهروب من الأسد يمثِّل هذه الحياة الدنيا والوقوع في مخالب الدب يمثِّل الحياة الأخرى بالنسبة للخاطئ. وذلك طبعاً بالنسبة للذين يطلبون مجيء الرب ومجيء ملكوته وهم خطاة على أساس تكميل شهوات وملذات زمنية.

لقد ظن شعب إسرائيل أن مجيء يوم الرب على أساس زمني كنهاية لزمن وبداية لزمن آخر، حيث يكون فيه تحطيم أعدائهم الذين ضايقوهم ونهاية كل تجبُّر الأُمم، حيث يخضع الكل تحت سلطان مملكة إسرائيل بعنق العبودية والمذلة، حتى نظام العالم نفسه سيخضع لهم حينما يعلن الله مجده لهم. وبسبب هذه النظرة الخطرة المزيفة نحو نهاية الأمور والحوادث والعالم، انبرى الأنبياء لتخطئة هذه النظرة بعنف وشدة، وأكَّدوا لهم أن نهاية الأمور الزمانية هو بعينه استعلان الله نفسه، واستعلان الله يستحيل أن يكون إلاَّ على المستوى الأخلاقي الكامل واستعلان الحق الروحي الذي سيدين به إسرائيل نفسها ـ قبل أعدائها، الذي بمقتضاه وعلى نوره ستُحاكَم كل نفس على كل الشرور

والقبائح والعادات النجسة التي اقترفتها، فيصير يوم الرب يوم خراب وليس يوم خلاص لها.

فالله أعلن قانونه الأخلاقي الروحي على مستوى الزمان الحاضر عند بداية الأمور وبداية التاريخ وعلى سير الزمن يوماً فيوماً، وجعل له هنا عقوبة وقصاصاً جزئياً لكل مَنْ يخالفه، وأقام من قوانين الطبيعة حارساً ومنتقماً، فكم وكم يكون مرعباً هذا القانون الأخلاقي الروحي عندما يُستعلن، لا على مستوى الزمن والطبيعة، أي بالتأديبات الجسدية والمادية، بل على مستوى ظهور الله نفسه كنهاية لكل أعمال الناس وسلوكهم بتأديبات روحية غير مادية؟

الله رب الناموس الأدبي:

الناموس الأدبي يعبِّر عن إرادة الله وطبيعته، فإن كان الله قد خصَّ شعب إسرائيل بإعلان ناموسه الأدبي الدقيق والمفصَّل، إلاَّ أن ناموسه الأدبي العام معروف وشائع، وليس عذرٌ لإنسان ولا لدولة أن تنتهكه أو تتحدَّاه. وقد جعل الله عقوبةً صارمةً لكل دولة تخرج عن أصوله وتقترف أخطاءً أدبية سواء تجاه الله أو تجاه أيِّ دولةٍ أو شعوبٍ أخرى كأن تنتقم منها بدون رحمة، وهو لا يعفي إسرائيل نفسها إن هي تعدَّت هذا الناموس:

+ «هكذا قال الرب: مِنْ أجل ذنوب دمشق ... لا أرجع عنهم لأنهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد، فأُرسل ناراً على بيت حزائيل فتأكل قصور بنهدد، وأكسِّر مغلاق دمشق ...

من أجل ذنوب غزَّة ... لا أرجع عنها لأنهم سبوا سبياً كاملاً لكي يسلِّموه إلى أدوم فأرسل ناراً على غزة.

من أجل ذنوب صور ... لا أرجع عنها لأنهم سلَّموا سبياً كاملاً إلى أدوم ولم يذكروا عهد الإخوة، فأرسل ناراً على صور ...

من أجل ذنوب أدوم ... لا أرجع عنها لأنها تبعت بالسيف أخاها (إسرائيل أثناء خروجهم من مصر) فأرسل ناراً على تيمان ...

من أجل ذنوب بني عمون لا أرجع عنهم لأنهم شقوا (بطون) حوامل جلعاد ... فأرسل ناراً على ربَّة ...

من أجل ذنوب موآب لا أرجع عنهم لأنهم أحرقوا عظام ملك أدوم كلساً فأرسل ناراً على موآب ...

من أجل ذنوب يهوذا لا أرجع عنهم لأنهم رفضوا ناموس الله ولم يحفظوا فرائضه ... فأرسل ناراً على يهوذا ...

من أجل ذنوب إسرائيل لا أرجع عنهم لأنهم **باعوا البار بالفضة** والبائس لأجل نعلين ...» (عا 1و2)

لذلك فكل مَنْ ينتهك الناموس الأدبي العام هو في الواقع يتعدَّى على إرادة الله، لذلك فهو حتماً يواجه عقاباً مناسباً، لأن مجرَّد الاصطدام بإرادة الله هو بحد ذاته خروج على ناموس الحياة بوجهيها الطبيعي والروحي معاً.

ففي حال ما ينحرف الإنسان أو تنحرف الدولة إلى القسوة أو التجبُّر أو الظلم مثلاً فإن هذا الإنسان أو الدولة تُحسب أنها تقاوم الله وتتحدى إرادته وطبيعته! وعلى مدى الزمن تتوقع العقوبة بدقة وصرامة حتى يتطهَّر الإنسان أو تَطْهُرَ الدولة بالتأديب الصارم من وزر الإثم، وتكفِّر بانكسارها عن انتهاكها لهذا القانون الحتمي، وفي نفس الوقت لتتزكى إرادة الله وتتبرأ طبيعته من كل لوم.

إن كل إسرائيلي كان يؤمن إيماناً مطلقاً بأن العقوبة هي حتماً ثمن لكل مخالفة أدبية، وذلك من واقع ما اختبره إسرائيل كل أيام حياته مع الله. فالله

بحد ذاته عرفناه في العهد القديم بمثابة ناموس أدبي كامل وفائق يسود على كافة الخليقة ويتغلغلها، فهو ذو كيان فعَّال في الوجود كله يعمل بقوة فائقة ليصحِّح كل انحراف بحكم مناسب وتأديب. وحتى أحكام الله وتأديباته التي يتخذها لإقرار ناموسه الأدبي وسيادته تتدرَّج في قسوتها وشدتها بنسبة إعلان الله لذاته سواء للإنسان الفرد في الضمير أو للشعب بالوصايا والأحكام وبتحذير الأنبياء:

+ «اسمعوا هذا القول الذي تكلَّم به الرب عليكم يا بني إسرائيل، على كل القبيلة التي أصعدتها من أرض مصر قائلاً: إياكم فقط عرفتُ من جميع قبائل الأرض، لذلك أعاقبكم على كل ذنوبكم.» (عا 3: 1و2)

لا يوجد غير ناموس أدبي واحد يخاطب ضمير الإنسان في كل العالم وفي كافة الشعوب، لأنه لا يوجد إلاَّ إله واحد هو الله. هكذا تُقدِّم التوراة صورة حية لله منذ بدء الخليقة، منذ آدم، كميراث ثمين ورثته كل الشعوب والأجناس، وأمَّا كل ما يُدعى آلهة فهي شياطين ولا كيان أدبي لها على الإطلاق.

لذلك بمقتضى هذا الناموس الأدبي العام وصِلته الكيانية بضمير كل إنسان الذي ورثه الإنسان منذ آدم، إنما على مستويات متفاوتة، سيقف كل إنسان في موقف المسئول أمام الله، الآن بقدر استعلان الله للإنسان سواء بالناموس الكتابي أو بحكم الضمير، وفي النهاية بحسب استعلان الله حينما يصير عاماً وشاملاً.

الله إله إسرائيل:

إذا تتبعنا العهد القديم نجد أن الله لم يتعيَّن إلهاً لشعب إسرائيل بمقتضى وعد شفاهي أو عهد كلامي، ولكن بظهور حقيقي وإعلان ذاتي. فظهور الله لإسرائيل وإعلان نفسه لهم سواء بنزوله الشخصي على جبل سيناء ثم جبل حوريب وحديثه معهم، أو بكشف طبيعته لهم بواسطة الوصايا الأخلاقية

والناموس الأدبي، أو بإعلانه عن محبته ومساعدته لهم في الضيقات والمخاطر، هذا الإعلان كله هو الذي قرَّر أن الله كان إله إسرائيل بالفعل، ولكن الله لا يمكن أن يكون إلهاً لشعب دون أن يكون الشعب شعباً لله.

فبقدر إعلان الله لنفسه وطبيعته وناموسه لإسرائيل، بقدر ما أصبح إسرائيل مطالباً بالاستجابة الروحية والأخلاقية والأدبية، وبقدر محبة الله لإسرائيل بقدر ما أُدخل الشعب في مسئولية مستمرة أمام الله! اسمع ما يقوله الله لإسرائيل في هذا الصدد: «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أُعاقبكم على جميع ذنوبكم» (عا 2:3). وفعلاً لم يُسمَع قط ولم يحدث في كل العالم وبين كافة شعوب الأرض أن الله أظهر نفسه وكشف عن طبيعته وأعلن ذاته وصفاته وحبَّه ورحمته وقوته وحقه كما صار لشعب إسرائيل. لذلك صار شعب إسرائيل مسئولاً أكثر من كافة شعوب الأرض أمام الله وبمقتضى الناموس الأدبي والأخلاقي الذي استُعلن له لكي يكون أكثر الشعوب أمانة لله وأمانة للحق وأمانة للسلوك.

ولكن إسرائيل بعد أن عرفت الله رفضت الله وعبدت آلهة أخرى صنمية، وبعد أن استُعلنت لها صفات الله الأدبية وناموسه الأخلاقي هتكت بسلوكها كل الناموس الأدبي والأخلاقي، وعملت شروراً وقبائح وفظائع لا يصدقها العقل ولا تقبلها الطبيعة: «يذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يدنِّسوا اسم قدسي »(عا 7:2). لذلك تحتَّم أن تُحرم إسرائيل من رحمة الله القدوس لأنها رفضت القداسة، وتحتَّم أن تؤدَّب لأنها قاومت الناموس الأدبي، كما تحتَّم أن تُرذل وتُفضح بين شعوب الأرض لأنها رذلت الأخلاق وفضحت الطبيعة الآدمية.

ولكن إسرائيل في خيانتها لإلهها خسرت كل ما كان لها وكل ما وُعدت

بـه، أمَّـا الله فلـم يخسـر شـيئاً إنمـا أعلـن في تركـه لإسـرائيل المحبوبـة صـرامة نـاموس النقمة والتأديب ...

الله كـان يترجَّـى في مملكـة إسـرائيل الزمانيـة اسـتعلان ذاتـه وملكوتـه الأبـدي، ولكـن إسـرائيل رفضـت أن يملـك عليهـا الله أدبيـاً ولاهوتيـاً معـاً، وانحـدرت إسـرائيل إلى مستوى أقـل مـن الحيـوان: «الثـور يعـرف قانيـه والحمـار معلـف صـاحبه أمَّـا إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهـم» (إش 3:1). فصار حقًّا لله أن يأخذ كل ما لإسرائيل ويعطيه للأُمـم: «وأمَّا مَنْ ليس له (الله) فالـذي عنـده سيؤخذ منه.» (مت 12:13)

الله وناموس العقوبة والفداء:

لا يقـف نـاموس العقوبـة منفـرداً بحـد ذاتـه، فهـو متعلـق صـميمياً بالناموسـين الأدبي والأخلاقي المنبعثين أيضـاً من طبيعة الله وبرِّه، فالإنسـان مسئول عمَّا يحل به من عقوبة، بل هو الذي يصنعها لنفسه.

الله يستطيع أن يؤجِّل العقوبة حتى ينجح الإنسان في إلغائها بالتوبة والمصالحة مع الناموس المجروح، سواء كان الناموس الروحي الأدبي أو الأخلاقي. ولكن الله لا يستطيع أن يلغي العقوبة إلغاءً سهلاً بدون قيد ولا شرط، لأن ذلك يتعارض مـع طبيعتـه ويسـيء إلى بـرِّه وإلى كافـة نواميسـه الأخـرى ... أي أن العفـو عـن خطيئة يقترفهـا الإنسـان أو الشـعب بـدون توبـة أو عـدم توقيـع العقوبـة المستحقة يعتبر إجراءً ضد ناموس البر، بل ويُحسب هدفاً للناموس الأدبي والأخلاقي وهو عمل يخالف طبيعة الله، أي يتعارض مع صلاحه وبره:

+ «الرب بطيء الغضب وعظيم القدرة ولكنه لا يبرِّئ البتة.» (نا 3:1)

فالإنسان أو الشعب إذا أساء إلى الناموس الأدبي أو إلى ناموس الأخلاق فإنه ينشيء أو يخلق في العالم طاقة شريرة حيَّة ومميتة معاً: حية بواسطة الإنسان وفيه، ومميتة لأنها تفصله عن الله مصدر الحياة الأبدية!! والشر الذي ينطلق من أي إنسان أو أي شعب لابد أن يعود بعد نهاية المطاف ويلتف حول عنق ذلك الإنسان أو ذلك الشعب، لأن الطاقة الشريرة تعود لتسكن في مصدرها. ولكن بسبب عامل الزمن والنسيان وقصر النظر الروحي وضعف الإحساس والتمييز للأمور الإلهية، يعتقد الإنسان أن الشر والعقوبة المترتبة عليه هما فعلان أو حادثان منفصلان قد يلتحما وقد لا يلتحما، ولكن في الحقيقة هما وجهان لشيء واحد مهما تباعدا، ولا يفصلهما شيء إلاَّ جهالة الإنسان أو طول أناة الله!

الله يستحيل أن يخترع العقوبة أو الإساءة لإنسان أو لشعب، ولكن شر الإنسان أو شر الشعب الذي يعمله ويفكِّر فيه هو الذي يجلب العقوبة الموازية لها تماماً: «قولوا للصديق خيرٌ لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم، وويل للشرير شرٌّ لأن مجازاة يديه تُعمل به.» (إش 10:3)

والله لا يوقع العقوبة على إنسان، ولكن فقط يستطيع أن يمنعها بشيء من التدخُّل الشخصي أو البذل يقدِّمه هو عن الإنسان: «أنا أفديهم وهم تكلَّموا عليَّ بكذب» (هو 13:7). فإذا أراد الله أن يعاقب إنساناً أو شعباً على شرِّه فإنه يتركه لناموس الشر الذي خلقه هذا الإنسان أو الشعب لنفسه. أمَّا إذا منع الله العقوبة عن إنسان فلا يكون ذلك مجاناً، ولكن الله لابد أن يتحمَّلها عن الإنسان، وحينئذ يُقال دائماً: ''إن الله **فدى** الإنسان أو الشعب''، أي قدَّم الفدية المناسبة عن الشر المعمول لتبرئة الإنسان. والله يقدِّم الفدية من برِّه الشخصي على المستوى الفائق والخارق للطبيعة بصورة لا

يستطيع الإنسان أن يتصورها:

+ «ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة **وفداكم من بيت العبودية** من يد فرعون ملك مصر.» (تث 7: 7و8)

لذلك ظل معروفاً على مدى العهد القديم كله أن الله أخرج إسرائيل من مصر على مستوى الفدية الشخصية: «الشعب الذي فديته» (خر 13:15)، «الذي فديته بعظمتك» (تث 26:9). والله نفسه يذكِّر إسرائيل دائماً بأنه تحمَّل غرامة خلاصه من مصر العبودية: «ارجع إليَّ لأني فديتك.» (إش 22:44)

على أن هناك درجات ومراحل في صنع الشر وتكميل طاقته وإخراجها لحيز الوجود، ولكن قد وُهب للإنسان من قبل الله قدرة الرجوع عن الشر ومقاومته والندامة والاعتراف بالخطأ. ولكن استحالة إلغاء سلطان الخطية الذي يظل يرافق الإنسان كشوكة في الجسد ترافقه حتى إلى القبر. وواضح أن التوبة هي توقُّف عن طريق الشر في وسط مراحله، لذلك فهي ترحم الإنسان من كل الدرجات التي كان مزمعاً أن يتمادى فيها وهو متورِّط في الشر. كما أن التوبة تفتح أمام الإنسان مجالاً لدى الله أن يتدخَّل بنفسه لكي يوقف سلطان الخطية ويرفع عقوبتها المميتة، ولكن أيضاً ليس مجَّاناً ولكن على حساب افتداء الله له من برِّه الشخصي. وهذا هو السر في أن الله يحذِّر الخاطئ بكافة الطرق ويطيل أناته عليه، حتى إذا أطاع الإنسان لصوت الله وتوقَّف توقفاً قاطعاً عن الشر الذي تفكَّر فيه أو بدأ به، فإن الله يتحمَّل بنفسه عن الإنسان كل نتائج العقوبة التي كانت مفروضة عليه بحكم نواميس الله، ويتبرأ الإنسان أمام الله بحسب العدل والرحمة معاً.

وتوجد درجة أو مرحلة من مراحل السير في الشر ومعاندة الله ومقاومة مشيئته، إذا تعدَّاها الإنسان أصبح من العسير عليه أن يتوب أو يندم، بل ويستحيل عليه أن يقاوم تكميل الشر. ولكن لا يمكن أن يبلغ الإنسان هذه الدرجة دون أن يرسل الله صوته بالتحذير مراراً بشدة وعنف، إما في الضمير أو بواسطة المنذرين من أولاد الله وعلى ضوء كلام الأنبياء، لأنها تكون في الحقيقة درجة الموت الأبدي. لذلك هنا يكون التحذير مرعباً ومشروطاً بشرط قاطع: إمَّا التوبة فالصفح وإمَّا المعاندة فالعقوبة بلا رحمة:

+ «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمرَّدتم تؤكلون بالسيف، لأن فم الرب تكلَّم.» (إش 20:1)
+ «أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا.» (تث 19:30)

فإذا رفض الإنسان أو رفض الشعب تحذير الله في هذه المرحلة الحرجة والخطرة فلابد من العقوبة ووقوع الكارثة، ولكن ليس بدون إحزان قلب الله، فالله وإن كان يسمح بأن يأخذ ناموس العقوبة مجراه، إلاَّ أنه أقسم بذاته أنه لا يُسرّ بموت الخاطئ بل بتوبته (حز11:33).

الله وناموس التكفير بالذبائح والطقوس:

من الأخطاء الشائعة جداً في مفهوم الغالبية العظمى من الناس أن طقوس الذبائح في العهد القديم هي للتكفير عن كل الخطايا، والحقيقة أنها **للتكفير عن خطايا السهو فقط** تجاه نواميس الله:

+ «وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيل قائلاً: إذا أخطأت نفس **سهواً** في شيء من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها وعملت واحدة منها:

– إن كان الكاهن الممسوح يخطئ ... يقرِّب عن خطيته ثوراً ...،
– إن **سها** كل جماعة إسرائيل ... ثم عُرفت الخطية ... يقرِّب المجمع ثوراً ...،
– إذا أخطأ رئيس وعمل **بسهو** واحدة من جميع مناهي الرب ... ثم أُعلم بخطيته ... يأتي بقربانه تيس ...،
– وإن أخطأ أحد من عامة الأرض **سهواً** ... ثم أُعلم بخطيته ... يأتي بقربانه عنزاً من المعز ...» (لا 4: 1ـ31)

أمَّا خطايا العمد مثل سب الأب أو الأُم أو مثل كل ما يتعلَّق بالزنا والنجاسة والفجور على سبيل المثال فكلها عقوبتها الموت:

+ «كل إنسان سبَّ أباه أو أُمه يُقتل ...،
ـ وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه إنهما يُقتلان كلاهما ...،
– وإذا اضطجع رجل مع كنته (زوجة ابنه) فإنهما يُقتلان كلاهما ...،
– وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة ... إنهما يُقتلان ...،
– وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما،
– وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يُقتل والبهيمة تميتونها،
– وإذا اقتربت امرأة من بهيمة ... تميت المرأة والبهيمة ...» (لا 20: 9ـ16)

أمَّا خطايا العمد التي ليست ضد وصايا الله المباشرة ولكن في المعاملات والسلوك فإنها تتفاوت في العقوبة.

أي أن كل الذبائح والطقوس في العهد القديم قد نص الوحي الإلهي عنها بكل وضوح أنها **لا تكفِّر إلاَّ عن خطية السهو والشر غير المتعمَّد**، أمَّا

الخطية مع سبق الإصرار وإتيان الشر مع التعمد ضد وصايا الله مباشرة فلا ينفع فيها التكفير لا بذبيحة ولا بصلاة طقسية، وعقوبتها الموت الحتمي: «كل واحد يموت بذنبه» (إر 30:31)، الذي يخطئ يموت.

فإذا خضعت إرادة الإنسان للخطيئة والشر بالرضى والتساهل والموافقة الحرة في الضمير مع سبق الإصرار والتعمد، أصبح من العبث الالتجاء إلى الذبائح والقرابين والصلوات الطقسية في العهد القديم. لأن كافة أوامر الله ووصاياه ونواميسه بخصوص تقديم الذبائح والقرابين والصلوات والتطهيرات تعتبر لاغية ولا قيمة لها بالنسبة للإنسان أو الشعب الذي يمارس الخطايا والشرور بتعمُّد وإصرار واستمرار.

أمَّا خطايا النسيان والسهو فلا تُحسب أصلاً انتهاكاً متعمداً لناموس الله الأدبي أو الأخلاقي، فهي لا تُحسب أنها مقاومة لمشيئة الله أو إساءة إلى طبيعته وبرِّه، لذلك رأى الله في العهد القديم أن التكفير عنها يمكن أن يكون بوسائط تخرج عن طبيعة الإنسان والله كالذبائح للتكفير على مستوى الجسد فقط:

أمَّا أي محاولة لتقديم ذبائح حيوانية أو قرابين أو بخور للتكفير عن الخطيئة أو الشر المصنوع عمداً وبالإرادة الحرَّة وبمسرَّة النفس، فهذا يُعتبر إهانة وكسراً لناموس الله، حيث لا يمكن ويستحيل أن يستوي ثمن خروف مذبوح أو قطعة فضة أو كمية بخور ليعادل ناموس الله الروحي الأدبي والأخلاقي، الذي هو معادل لطبيعة الله ومبنثق منها، لأن هذا يعني أننا نضع الأعمال ـ الذبائح ـ التي هي دون طبيعة الإنسان في مساواة طبيعة الله وبرِّه!!

كذلك فإن الالتجاء إلى الذبائح للتكفير عن خطايا العمد بهذه الصورة التافهة، بذبح ثور أو خروف، كفيل أن يطمس حساسية الضمير من نحو

خطورة طبيعة الشر والخطية، كما يطفيء نور الضمير من نحو إدراك سمو برِّ الله وقداسة طبيعته، ويحطّ من القيم الروحية لنواميسه الأدبية والأخلاقية.

فالله وضع طقس الذبائح للتكفير عن **الخطأ** الحادث سهواً ضد الفرائض والنواميس الجسدية التي حدَّدها ناموس موسى، ولكن ليس الطقس للتكفير عن الخطايا الأخلاقية وتعدِّي نواميس الله الروحية الأدبية. فدم التيوس والعجول يمكن أن يكفِّر عن سهو تعدَّى به الإنسان أو الشعب على ناموس حفظ السبت أو لمس ميت أو قَسَمٍ خاطئٍ أو حنثٍ في نذرٍ أو لتطهيرٍ من مرض أو ولادة ... إلخ. أو حسب تفسير بولس الرسول لناموس الطقوس والفرائض: «دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجَّسين يقدِّس إلى طهارة الجسد» (عب 13:9). ولكن يستحيل أن دم تيوس وعجول يكفِّر عن خطية التجديف على الله أو قتل عمد أو زنا عمد أو كذب أو قسوة أو ظلم أو طمع أو حب المال أو سحر أو عبادة أوثان، مع كافة الخطايا التي يقترفها الإنسان في الضمير ضد الناموس الروحي والأدبي أو الأخلاقي الذي يربط الإنسان بالله.

ومن ذلك نجد أن الله لا يقبل في العهد القديم أي ممارسات طقسية أو تأدية أي فرائض تعويضاً عن الخطية الأدبية والأخلاقية، وذلك لأن طبيعة الخطية لها أثر على نفس الإنسان وروحه، أي أثر على الطبيعة البشرية لإفساد العلاقة والصلة السرية التي تربط الإنسان بالله، بالإضافة إلى إساءتها لناموس الله الروحي بمعنى الإساءة إلى كرامة الله وفكره وإرادته: «لكن استخدمتني بخطاياك وأتعبتني بآثامك» (إش 24:43)، «من أجل نفسي، من أجل نفسي أفعل (السبي)، لأنه كيف يُدنَّس **اسمي**، **وكرامتي** لا أعطيها لآخر» (إش 11:48). كل ذلك لا علاقة له إطلاقاً بالطقوس والشكليات والفرائض

الجسدية والوسائط المادية: «ذبائحك لم تكرمني ... ذبائحك لم ترويني.» (إش 43: 23و24)

لذلك فالخطية، من حيث طبيعتها المضادة لله، ومن حيث أثرها الفعَّال للتخريب المستمر في الطبيعة البشرية وعلاقة الله بالإنسان، ومن حيث عقوبتها الحتمية لإعادة الموازين إلى وضعها السليم، لا يمكن أن يقوى عليها أو يلغيها طقس أو تعويض بمال أو ذبيحة أو أي شيء في العالم، ولا بموت الإنسان نفسه:

+ «لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب، اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسرُّ. حينما تأتون لتظهروا أمامي. مَنْ طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري؟ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليَّ ثقلاً. مللتُ حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم. وإن كثَّرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً.» (إش 1: 11-15)

وقد ظلَّ كل تقدُّم في معرفة الله، وكل تقدُّم في عبادته وكل محاولة للتقرُّب إلى الله وتقديس النفس له، يواجه سواء في البداية أو في النهاية على مدى أسفار العهد القديم كله ـ مشكلة التكفير عن الخطية الإرادية!!

◈═◈═◈═◈═◈

ثالثاً: مركز المسيَّا في مملكة إسرائيل

مملكة إسرائيل قامت منذ البدء على أساس تكوين لاهوتي، سواء من جهة شخصية الملك الذي يدبِّرها ويحكمها، أو من جهة دستورها الذي تعيش وتنمو به، أو من جهة غايتها في المستقبل القريب والبعيد.

فالله كان يقودها في البداية بنفسه سرًّا وعلناً، من الخارج بقوة فائقة لمواجهة أعدائها، ومن الداخل بحضوره الشخصي أحياناً وبأنبيائه يكلِّمهم عن الحياة الفضلى.

أمَّا دستور مملكة إسرائيل فكان منذ البدء الناموس الأدبي والأخلاقي الذي سلَّمه لهم في الوصايا العشر وكافة الشرائع الروحية الأخرى.

وأمَّا غاية مملكة إسرائيل فكانت إعلان مجد الله لكافة الأُمم واستعلان ملكوته الآتي على كل الشعوب في شخص المسيَّا.

والوعد باستعلان ملكوت الله في شخص المسيَّا بدأ مبكِّراً جداً مع بداية مملكة إسرائيل، ونقرأ عنه بغاية الوضوح في أول أسفار التوراة: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب »(تك 10:49)، حيث شيلون هنا بمعنى ''حاكم السلام'' وهنا أول إشارة إلى طبيعة المسيَّا الروحانية.

ومن هذا التبكير في الإشارة إلى المسيَّا، يتضح أن غاية الله من إقامة مملكة إسرائيل هي أساساً ومن البدء لاستعلان المسيَّا وملكوت الله بين كافة

الشعوب بالنهاية.

وبمرور الزمن تبلغ مملكة إسرائيل منتهى النضج من جهة إمكانية حكم الملوك عليها حكماً حكيماً عادلاً حسب مشيئة الله، كما يبلغ الشعب منتهى النضوج في قدرتهم على طاعة الله واستجابتهم لوصاياه حسب الدستور الروحي الذي وضعه لهم. وبذلك بدأت تزداد الحاجة إلى المسيَّا جداً في أواخر الأيام التي ازدادت فيها حالة المملكة سوءاً بسبب رداءة حكم ملوكها وعدم طاعة شعبها لله، الأمر الذي تسبب عنه تخلي الله عن مملكة إسرائيل ووقوعها فريسة تحت نقمة أعدائها مرَّات كثيرة.

ومن واقع الحال الذي انحطَّت إليه مملكة إسرائيل من جهة رداءة الحكم ومن جهة إخفاق الشعب في طاعة نواميس الله الأدبية والأخلاقية، بدأت تتركز حاجة إسرائيل في ملك يكون له الصفات التي تمكِّنه من الحكم الكامل والصالح، كما ظهرت الحاجة الشديدة إلى قوة روحانية تزيد الشعب قدرة على معرفة الله وطاعة وصاياه ونموهم في البر. وهنا بدأت صورة المسيَّا تأخذ كل صفاتها المطلوبة خاصة بالنسبة للأُمم.

وتحت هذا الإلحاح بدأ الروح يُعلن للأنبياء أوصاف المسيَّا:

+ «يخرج قضيب من جذع يسَّى وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح **الحكمة والفهم**، روح **المشورة والقوة**، روح المعرفة ومخافة الرب. ولذَّته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي حسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أُذنيه، بل يقضي **بالعدل** للمساكين **ويحكم بالإنصاف** لبائسي الأرض ... ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسَّى القائم **راية للشعوب، إياه تطلب الأُمم** ويكون محله مجداً.» (إش 11: 1-10)

والملاحَظ جداً أن تصوير **المسيَّا كملك** هو في الواقع تصوير مجازي، لأن حكومته حسب النبوَّة تشمل العالم كله، وهو لا يغزو الأُمم ولا يسعى وراءها، ولكن الشعوب تنجذب إليه كما ينجذب الشعب إلى راية خلاصه، وتتبارى الأُمم في طلب ودّه.

ومن هذه النبوَّة نستطيع أن نرى مقدار صحة إدراك الأنبياء لأوصاف المسيَّا الروحية وأوصاف الملكوت القادم التي تخلو من التصويرات المادية أو العنصرية الصرف، فعمومية الملكوت واضحة.

ولكن لأن الأنبياء أدركوا بالروح أن مجيء المسيَّا وتأسيس الملكوت الآتي سيقع حتماً في صميم الزمان لا في نهايته، بدأوا يصبغون نبواتهم عن الملكوت والمسيَّا بصبغة زمانية يتخللها رنة الأعمال والأوصاف التي تشابه أعمال وتصرفات الملوك المقتدرين، وهذا مما أوقع عامة الشعب والمتعصبين من إسرائيل في الإحساس بأن الملكوت الآتي سيكون مُلكاً زمانياً صرف بأمجاد أرضية، ومَلِكُه سيكون إسرائيلياً متعصِّباً لإسرائيليته.

+ «**لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدِّها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد.**» (إش 9: 6و7)

+ «**ها أيام تأتي يقول الرب وأُقيم لداود غصن برٍّ فيملك ملك وينجح ويُجري حقًّا وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمنا. وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برّنا.**» (إر 23: 6و7)

وقد تمادى الشعب وخصوصاً المتعصبون لوطنيتهم وأرضهم والمتحمسون ضد أعدائهم في تصوُّر المسيَّا لأنفسهم كملك سينتقم لإسرائيل أشد النقمة، فيسحق أعداءهم ويوسِّع تخومهم الأرضية ليمتلكوا أراضي كافة الأُمم حولهم، وبالأخص الذين أذلُّوا إسرائيل وأهانوها واستعبدوها فيما مضى، ويجعل إسرائيل فوق الممالك كلها لتسود وتحكم على شعوب الأرض.

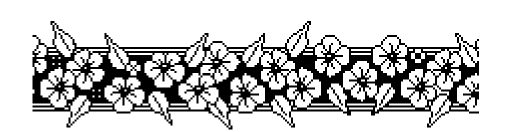
وقد وقع الشعب في هذا التصوُّر الخاطئ للمسيَّا بسبب الالتباس في فهم **وظيفة مملكة إسرائيل التي قامت على أساسها وبسببها، وهي أن تكون خادمة لشعوب الأرض لا سيِّدة عليها، لأن عملها الأول والأخير هو توصيل رسالة النور والخلاص للعالم**.

لقد أدَّت مملكة إسرائيل خدمتها العظمى والأخيرة بتقديم المسيَّا للعالم، وهنا أوج مجدها ونهاية تاريخها. فمملكة إسرائيل وشعبها بكافة تاريخها كله وملوكها وأنبيائها لم تنل مجداً في أعين الناس وكرامة لدى العالم كله إلاَّ بسبب ظهور "المسيَّا" ليكون مخلِّصاً للعالم ونوراً لكافة شعوب الأرض.

وفي الحقيقة من الصعب جداً ومن غير المعقول أن نتصوَّر إمكانية قيام مملكة إسرائيل كمملكة محصورة في ذاتها ومنتهية لذاتها بدون الوعد المستمر بمجيء المسيَّا وتسليم ميراثها لكل أُمم العالم. فالمسيَّا ليس هو رجاء إسرائيل فحسب الذي كانت تعيش كل تاريخها من أجله، بل هو قانونها الروحي الذي كانت تعيشه، ودستورها السياسي الذي تبذل حياتها من أجله، وناموسها الأدبي والأخلاقي كان ينبع منه. فالمسيَّا أساس وجودها وغاية رجائها بل ومعنى اسمها ونهاية وجودها.

ولكن الله في الأصل وفي الأساس لم يُقم مملكة إسرائيل لتكافح من أجل

شبر أرض في فلسطين تسكنه، أو الاستيلاء على صحراء لتزرعها؛ بل لكي ينبعث من حياتها وروحها وناموسها وأنبيائها «نورٌ للأمم» ! إن روح العبادة التي سلَّمتها إسرائيل للعالم بواسطة التوراة، بما فيها من ناموس أدبي فائق وناموس أخلاقي روحاني لا نظير له، يعبِّر عن أعظم ميراث ورثه العالم من شعب. ونحن لو تتبعنا مراحل النمو التي جازها هذا الناموس الروحي الأدبي والأخلاقي على مدى تاريخ مملكة إسرائيل منذ أن سلَّم الله لموسى الوصايا العشر وحتى آخر ملك انتهت إسرائيل على يديه، نجد أنه لم يظهر بدقائقه الروحانية ولم تكمل دائرته الإنسانية الهائلة وعمقه الإلهي اللانهائي إلاَّ في أيام المحن القاسية وأثناء مرارة السبي بآلامها وكأنها تستعلن آلام المسيَّا الآتي. والذي يدرس تاريخ إسرائيل الروحي يتعجَّب لأن أعظم أنبيائها وأعظم نبواتها وأعمق وأصدق تعاليمها لم تصدر إلاَّ في أيام السبي وما سبقه من مخاضٍ كمخاض الموت وما لحقه من مذلة كمذلة العبيد، كان هدفها دون أن تدري، حيث بالآلام تصفَّت روح النبوَّة من كل تعلُّق بآمال المجد الدنيوي الباطل، وكنا ننتظر أنها تنازلت نهائياً عن القوة والبأس والنقمة والقتل، واتخذت عوضها السلام والبر والأمانة ومخافة الله كمعيار أعلى لمِلك المسيَّا!



رابعاً: سر تخلِّي الله عن شعبه إسرائيل

لماذا تخلَّى الله عن شعبه إسرائيل؟

الذي يتتبع تاريخ مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا، الذي انتهى بسقوطهما المريع في السبي وتشتيتهما في كل أنحاء العالم، يظن أن انهيار إسرائيل كان ـ كما يظهر لنا من سرد تاريخها ـ نتيجة مباشرة لازدياد قوة أشور من جهة، ثم مصر من جهة أخرى، مما أدَّى إلى التضييق عليها حتى وقعت صريعة بين الاثنتين. والحقيقة ليست كذلك، فدولة إسرائيل كانت دولة غير زمانية، بل قَصَدها الله أن تكون دولة روحانية، ولم تقم بالقوة البشرية حتى تنهار وتسقط بالقوة البشرية. إسرائيل أقامها الله بنفسه، والله هو الذي أسقطها بنفسه. إن تحذير الله لإسرائيل كان مستمراً بأنها إذا زاغت من تحت تدبيره فهو حتماً مزمع أن يرفضها ويتخلَّى عنها، وذلك واضح كل الوضوح، وقد جاء هذا التحذير مبكِّراً جداً في نفس وقت بداية إقامة العهد معهم على يد موسى النبي. اسمع ما يقوله الله لشعب إسرائيل:

+ «أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب إلهكم ... لكي تدخل في عهد الرب إلهك وقَسَمِه الذي يقطعه الرب إلهك معك اليوم. لكي يقيمك اليوم لنفسه شعباً وهو يكون لك إلهاً ... **وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القسَم بل مع الذي هو ههنا معنا واقفاً اليوم أمام الرب إلهنا ومع الذي ليس هنا معنا اليوم ...**،

انظر قد جعلتُ اليوم قدَّامك الحياة والخير، والموت والشر. بما أني

أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه، لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها، **فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها، فإني أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون، ولا تطول أيامكم على الأرض التي أنت عابر الأُردن لكي تدخلها وتمتلكها**. أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة.» (تث 29: 10-15، 30: 15-19)

ثم يضيف موسى النبي قبل موته هذه الكلمات الحزينة التي تكشف مقدار وضوح الرؤيا أمام هذا النبي العظيم، وكيف أدرك المصير المحتوم الذي سيواجه شعب إسرائيل:

+ «إنهم أُمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم، لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأمَّلوا آخرتهم كيف يطرد (الآن) الواحد ألفاً ويهزم اثنان ربوة، لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم.» (تث 32: 28-30)

وقد تكرَّر تحذير الله لهم في كافة المناسبات وعلى فم جميع الأنبياء معلناً لهم أنه مزمع أن يرفضهم ويسلِّمهم لأعدائهم ويتخلَّى عنهم، بسبب فساد حياتهم الداخلية وتعدِّيهم على كافة النواميس الأدبية والأخلاقية التي سلَّمها لهم، علاوة على عبادتهم الأصنام.

وسنكتفي بتصوير الصورة الأخيرة للحالة الروحية والأدبية والأخلاقية التي كان عليها شعب إسرائيل قبل انهيار مملكة إسرائيل مباشرة بينما كان الأعداء حول أُورشليم، نستطيع من خلال هذه الصورة أن ندرك سر وقوع قضاء الله المحتوم عليها وانهيارها وزوال المملكة عنها وتبدد الشعب في السبي.

هذه الصورة يرسمها لنا إرميا النبي بقوله:

+ «أما ترى ماذا يعملون في مدن يهوذا وفي شوارع أُورشليم؟ الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والنساء يعجنَّ العجين ليصنعن كعكة لملكة السموات (عشتاروت) ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظوني ... هذه هي الأُمة التي لم تسمع لصوت الرب إلهها ولم تقبل تأديباً.» (إر 7: 17و18و28)

ضياع هيبة الأنبياء:

ثم ينقل لنا إرميا النبي صورة فاجرة لحديث دار بينه وبين نساء الشعب وهم في منفاهم عندما كان يوبِّخهم على عبادة الأصنام ويذكِّرهم بكلام الله:

+ «إننا لا نسمع لك الكلمة التي كلَّمتنا بها باسم الرب. بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخِّر لملكة السموات (عشتاروت) ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا في أرض يهوذا وفي شوارع أُورشليم، فشبعنا خبزاً وكنا بخير ولم نَرَ شرًّا.» (إر 44: 16و17)

وهذا بعينه سبق أن رآه موسى بعين النبوة قبل ذلك بسبعمائة عام تقريباً، فقد تمت رؤية موسى وترك الشعب عبادة الله ومخافته تركاً كاملاً بفجورٍ وتحدٍ.

تسفُّل الأخلاق والدين معاً:

ولكن لم تكن عبادتهم لعشتاروت ملكة السموات مجرَّد غواية دينية، بل وقد امتد العفن إلى الأعماق وانضربت الحياة الداخلية بالفساد والانحلال الخلقي المريع. وها هو عاموس النبي الذي تنبأ بقرب وقوع السبي يصف لنا درجة التسفُّل الخلقي والانحلال الأدبي في الأسرة اليهودية التي بلغت حد مشاركة الأب لابنه في اقتراف القبائح: «ويذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يدنِّسوا اسم قدسي.» (عا 2:7)

ثم يعود عاموس النبي ويصف الهوَّة التي تفصل بين الأغنياء والفقراء ووقوع الفلاح الصغير تحت ظلم المرابين الذي يمكن أن ينتهي بالعبودية (عا4: 6و9)، مع فساد الضمير وانهيار القيم الاقتصادية والعرف السائد:

+ «القائلين لنصغِّر الإيفة ونكبِّر الشاقل ونعوِّج موازين الغش، لنشتري الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح. قد أقسم الرب بفخر يعقوب أني لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم.» (عا 8: 5-7)

ويأتي هوشع النبي ويصف حال إسرائيل بأوصاف تقشعر منها النفس الطيبة، وأخيراً يُجمل حالة أرض إسرائيل بهذه الكلمات:

+ «لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض، لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق ... ودماء تلحق دماء ... روح الزنى قد أضلَّهم ... لذلك تزني بناتكم وتفسق كنَّاتكم ... وشعب لا يعقل يُصرع.» (هو 6: 1و2و12-14)

ويضيف هوشع إلى هذه الصورة الحزينة منظراً آخر أشد إيلاماً على النفس من كل ما سبق:

+ «وكما يكمن لصوص لإنسان كذلك زمرة الكهنة في الطريق يَقتُلون نحو شكيم، إنهم قد صنعوا فاحشة في بيت إسرائيل رأيت أمراً فظيعاً ...» (هو 6: 9و10)

وتختم هذه الصورة بوصف إجمالي يقدِّمه **إشعياء النبي** لحالة إسرائيل كلها:

+ «تركوا الرب، استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء ... كل الرأس مريض وكل القلب سقيم، من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة، بل جُرح وإحباط وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تليَّن بالزيت.» (إش 1: 5و6)

هذه هي الصورة التي انتهت إليها حالة شعب إسرائيل قبل سقوطها ومن بعدها اليهودية وأُورشليم وانهيار المملكة، وهي تكشف لنا الأسباب المباشرة التي جعلت الله يفرِّط في مملكته ويبدِّد شعبه ويكسر عهده ويغلق رحمته عن إسرائيل، فيتبدَّدون في وسط شعوب الأرض ويبلغون منتهى اليأس والقنوط، كما يصفهم إشعياء النبي:

+ «فيعبرون فيها مضايقين وجائعين. ويكون حينما يجوعون أنهم يحنقون ويسبُّون ملكهم وإلههم، ويلتفتون إلى فوق وينظرون الأرض وإذا شدَّة وظلمة وقتام الضيق وإلى الظلام هم مطرودون.» (إش 8: 21و22)

انتهى

أغسطس سنة 1997